العرب (الثقافي)

«مولانا» فيلم يواجه التطرف الديني بخطاب الاعتدال

الفيلسوف سلافوي جيجك: أدعو إلى تأسيس أممية جديدة

عزت العلايلي: السينما ظل المجتمع على الأرض

شرف الدين ماجدولين: عبقرية النذالة

لطفية الدليمي: عطر الورق ووميض الشاشات

نوري الجراح: كبوة الآباء ونهوض الأبناء

ص 11 إلى 16

وجوه

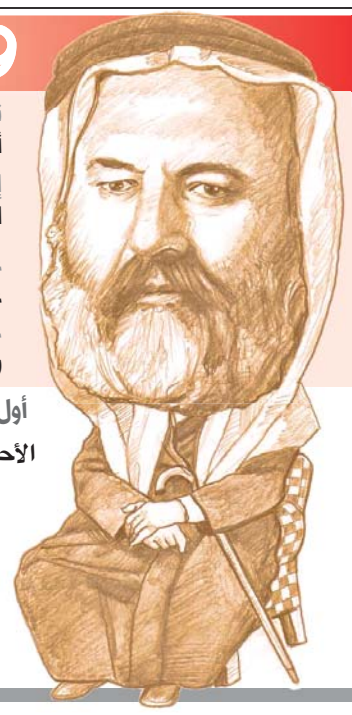

تحسين بيك ص7
أمير الإيزيدية يحتمي بالعلمانية

إيمانويل ماكرون ص8
السياسي الأصغر في تاريخ فرنسا الحديث

علي البخيتي ص9
عاشق الأضواء الذي خسر كل أوراقه

عمار فرحات ص10
رسام الحياة اليومية بإيقاع موسيقي

العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2017/01/15 الموافق لـ 17 ربيع الثاني 1438
السنة 39 العدد 10513

Sunday 15/01/2017
39th Year, Issue 10513

المشروع السياسي لأردوغان في مأزق

● الجنسية للأجانب الذين يستثمرون مليوني دولار في تركيا

❑ إسطنبول – لا يألو الرئيس التركي رجب طيب أردوغان جهدا في تقديم إغراءات لرؤوس الأموال الأجنبية كي تستثمر في البلاد، وتخرجها من الأزمة العميقة التي قادتها إليها سياسته القائمة على خلق دائرة أوسع من الأعداء في المحيط الإقليمي.

وأعلن أردوغان السبت عن قراره بمنح الجنسية لمن يستثمر مليوني دولار أميركي في تركيا، معتبرا أن"هذه خطوة هامة. ونسعى من وراء ذلك إلى تأسيس كيان عالمي عبر طرح مفهوم جديد هو المواطنة العالمية".

ووصف مراقبون هذه الخطوة بأنها دليل آخر على أن المشروع السياسي للرئيس التركي قد وصل إلى مأزق حقيقي يتم فيها بيع الجنسية التركية لمن يدفع أكثر، معتبرين أن فكرة المواطنة العالمية تضرب هوية الشعوب في الصميم، وأنها تجعل الجنسية حكرا على الأثرياء دون الفقراء أو متوسطي الحال.

ومن الواضح أن هذا العرض يهدف لجذب ممثلي الشركات العالمية الكبرى، ورجال الأعمال والمستثمرين الخليجيين بالدرجة الأولى. لكن حدود الاستجابة لهذا العرض ضعيفة في ظل الوضع الأمني المهتز الذي تعيشه تركيا بسبب التفجيرات واستهداف الدبلوماسيين والأجانب التي تأتي ردا على تورط تركيا في الصراع السوري.

وأشار المراقبون إلى أن عرض منح الجنسية للأثرياء قد يجعل الآلاف من الذين حرضهم الرئيس التركي على مغادرة بلادهم واللجوء إلى تركيا مستثنين من هذا الإجراء عكس ما وعد به سابقا.

وكان أردوغان سعى للحصول على 3 مليارات يورو للاحتفاظ بعشرات الآلاف من اللاجئين قبل أن يهدد بإغراق أوروبا بهم بعد أن فشل في تحقيق هدفه.

ولم يستبعد متابعون أن تعمد أنقرة إلى دفع أعداد ممن استقبلتهم خلال ثورات "الربيع العربي" إلى المغادرة بعد أن فشل الرهان على هذه الثورات، وعجز أردوغان عن تحقيق حلمه العثماني من بوابتها، وأنه قد يلجأ إلى الاحتفاظ فقط بأصحاب رؤوس الأموال والماسكين بالشبكات المالية للجمعيات والتنظيمات الإسلامية المختلفة مثل جماعة الإخوان.

وخاطب أردوغان المستثمرين قائلا إن "تركيا بحاجة اليوم إلى المستثمرين ورجال الأعمال الذين يؤمنون ويثقون بأنفسهم والمستعدين لتحمّل المخاطر، وكما أسلفت لا تؤجلوا هذا الأمر ونفذوا استثماراتكم، وثقوا بأنفسكم وبهذا البلد فهو مستقر وآمن".

الجنسية لمن يدفع أكثر

ووجه حديثه إلى الأتراك قائلا "أدعو كل من يحب بلاده وشعبه ويشعر بالمسؤولية تجاهها، إلى التحرك للمساهمة في تسريع عجلة النمو الاقتصادي من خلال اتخاذ الخطوات التي من شأنها زيادة حجم الاستثمارات وفرص العمل والإنتاج والتجارة، ونحن نرى اليوم عودة اهتمام المستثمرين الدوليين تجاه بلادنا مجددًا".

وأكد أردوغان على "ضرورة اتخاذ الخطوات بسرعة وحزم فيما يتعلق بتجاوز المصاعب التي يعاني منها الاقتصاد التركي".

واعتبر أن إقرار البرلمان التركي للتعديل الدستوري لتغيير نظام الحكم بالبلاد، الذي ترفضه المعارضة، ستكون له انعكاسات إيجابية على اقتصاد البلاد، قائلاً "دخول التعديل الدستوري حيز التنفيذ سيكون له تأثير منشّط على بلادنا".

وبدأت الجمعية العامة للبرلمان التركي، الاثنين الماضي، مناقشة مقترح دستوري قدمته الكتلة النيابية لحزب العدالة والتنمية الحاكم، بشأن تغيير نظام الحكم في البلاد من برلماني إلى رئاسي.

شبح الـ«كي جي بي» يخيم على أوروبا وأميركا

❑ واشنطن – أخذ الخوف من الاختراق الروسي في التوسع ليخرج من الدائرة الأميركية إلى دائرة غربية أوسع في تأكيد على أن شبح الاستخبارات السوفييتية الـ"كي جي بي" خلال الحرب الباردة يسيطر على تفكير الأجهزة الغربية، وأن الأمر أبعد من ليّ الذراع بين أجهزة الاستخبارات الأميركية والرئيس الجديد دونالد ترامب.

وحذرت أجهزة المخابرات الألمانية السبت، من "تزايد النفوذ الروسي في الدول الأوروبية، ومحاولة موسكو تخريب العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة".

وجاء ذلك في تقرير مشترك للدائرة الاتحادية للاستخبارات الألمانية، والمكتب الاتحادي لحماية الدستور، نشرت مجلة "دير شبيغل" مقتطفات منه السبت.

وحسب المجلة، فإن "التقرير الاستخباراتي، يظهر أن النفوذ والتأثير الروسي داخل الاتحاد الأوروبي تزايدا. وأن موسكو تحاول أن تؤثر على المناخ السياسي وتغذية النزاعات داخل أوروبا".

وأثار التقرير "مخاوف من محاولة موسكو التأثير على الانتخابات التشريعية الهولندية في الربيع المقبل، وانتخابات الرئاسة الفرنسية في مايو 2017، لكنه لا يتوقع التأثير على الانتخابات العامة في ألمانيا في سبتمبر المقبل".

وقال مراقبون إن ذاكرة الحرب الباردة نشطت بقوة في الغرب بعد الجدل الذي صاحب نتائج الانتخابات الأميركية، وخاصة بعد الدور الذي باتت تلعبه روسيا في الأزمة السورية وانفرادها بالحل، فضلا عن الدخول على خط الملفين الليبي والفلسطيني.

وينظر مسؤولون صاعدون في دول غربية كبرى بإكبار للرئيس الروسي فلاديمير بوتين بسبب قدرته على إعادة روسيا إلى الدور الذي كانت تلعبه في الستينات والسبعينات من القرن الماضي كقطب رئيسي في الحرب الباردة.

ويريد هؤلاء المسؤولون السير على خطى بوتين في إحياء النزعة القومية لبلدانهم، ما يعنيه من رغبة في التخلص من التنوع الثقافي والتضييق على خصوصيات المهاجرين، ووضع عراقيل أمام التحاق مهاجرين جدد كردة فعل على موجة التطرف والعنف.

ويرى المراقبون أن التخويف من موسكو، الذي لجأت إليه بعض الدوائر الغربية، يهدف إلى الحيلولة دون الانفتاح على روسيا الجديدة التي ستنافس الغرب ليس فقط على صراع النفوذ السياسي في الشرق الأوسط، ولكن، أيضا، على نموذج الديمقراطية، وإدارة التنوع الثقافي والديني، والمنافسة للاستئثار بأكبر قدر ممكن من المكاسب الاقتصادية، أي المنافسة على الاستئثار بالعولمة ذاتها.

وأظهر استطلاع للرأي أجرته رويترز ومؤسسة إبسوس لاستطلاعات الرأي أن الأميركيين باتوا أكثر قلقا من التهديد المحتمل الذي تشكله روسيا مما كانوا عليه قبل بدء حملة انتخابات الرئاسة في 2016.

ووجد الاستطلاع الذي أجري في الفترة من التاسع إلى الثاني عشر من يناير أن 82 بالمئة من الأميركيين منهم 84 بالمئة ديمقراطيون و82 بالمئة جمهوريون وصفوا روسيا بأنها مصدر "تهديد" عام للولايات المتحدة.

وتجيء هذه الزيادة في مشاعر القلق بعد موسم انتخابي شرس أثار خلاله الديمقراطيون وغيرهم أسئلة عن علاقات ترامب المالية مع روسيا واتهمت فيه المخابرات الأميركية موسكو بالضلوع في هجمات إلكترونية خلال الانتخابات.

وبدأ انتقاد روسيا يخرج من دائرة تأثيرها المفترض على سير الانتخابات إلى دائرة اعتبارها خطرا استراتيجيا أكثر شمولا في استعادة واضحة لزمن الحرب الباردة.

ورغم أن الحملة على موسكو تبدو متعلقة فقط بمسألة اختراق الانتخابات، إلا أن أوساطا دبلوماسية اعتبرت أن الأمر أكبر من ذلك، خاصة أن الكرملين نجح في استثمار "الفترة الرمادية" بين تخلي باراك أوباما وتسلم دونالد ترامب للرئاسة في فرض واقع جديد بالشرق الأوسط.

ونجح الكرملين في فرض حلّ بمقاسات روسية في سوريا، ويجري الآن الترتيب لمصالحة فلسطينية-فلسطينية في موسكو التي استقبلت السبت وفودا تمثل أغلب الفصائل الفلسطينية بينها حركتا فتح وحماس.

ويضاف إلى ذلك انفتاح روسيا على المشير خليفة حفتر، قائد الجيش الليبي، وما حمله لقاؤه مع عسكريين روس من إيحاء بأن موسكو قد تضع حلّ الأزمة الليبية، على الطريقة السورية، كإحدى أولوياتها، وما يعنيه من سحب البساط من تحت أقدام الدول الغربية التي فشلت في حلحلة الملف طيلة السنوات الخمس الماضية.

مرحلة الحذر بين أميركا وإيران

خيرالله خيرالله

ص5

كتاب لوزارة التربية المغربية يثير ضجة بين المدرسين بسبب تحقير الفلسفة

❑ الرباط – يعيش المغرب على وقع جدل تربوي حاد بخصوص العلاقة بين الفلسفة والدين بين مدرّسي الفلسفة والتربية الإسلامية، وذلك في ضوء ما جاء في كتاب للتربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية يعتبر "الفلسفة أسّ السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة".

وأثار مقرر جديد خاص بقسم "الإيمان والفلسفة" في كتاب التربية الإسلامية لمستوى السنة أولى بكالوريا، صدر منتصف ديسمبر الماضي، انتقاد أساتذة ومدرسي مادة الفلسفة في المدارس الثانوية المغربية.

ويورد هذا الجزء من الكتاب كلاما لأحد علماء المسلمين يدعى ابن الصلاح الشهرزوري (توفي سنة 643 هجرية) عمن يشتغل بالمنطق والفلسفة.

ويقول الشهرزوري "الفلسفة أسُّ السّفَه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، ومن تلبّس بها قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان".

وتم إدراج هذا الكلام في سياق تناول الكتاب للفرق بين الوحي كوسيلة لمعالجة قضايا الحق والخير والجمال بشكل يفضي إلى إيمان "لا شك فيه ولا ارتياب"، والفلسفة التي اعتبرها الكتاب "ليست كفيلة بإرشاد الإنسان إلى الصواب".

ولم تستسغ الجمعية المغربية لمدرّسي مادة الفلسفة مضامين الكتاب، معتبرة أنها "مسيئة لمادة الفلسفة والعلوم الإنسانية والعلوم الحقة والطبيعية".

وطالبت الجمعية وزارة التربية المغربية بـ"التراجع الفوري عن هذه الكتب المدرسية وسحبها من التداول المدرسي درءا للفتنة".

وترفض وزارة التربية والتعليم المغربية فكرة سحب الكتاب المعنيّ من السوق. ووصف أحد مسؤولي الوزارة الجدل القائم بأنه "محاكمة للنوايا"، لافتا إلى أنه تمت قراءة المقطع "خارج السياق".

وقالت الوزارة في بيان أول نهاية ديسمبر 2016 إن منهاج التربية الإسلامية يستند إلى "مبدأ الوسطية والاعتدال، ونشر قيم التسامح والسلام والمحبة، ويؤكد على تعزيز المشترك الإنساني بالبعد الروحي الذي يعطي معنى للوجود الإنساني".

واتسع الجدل ليشمل مدرّسي مادة التربية الإسلامية الذين اعتبروا في بيان أن "الفلسفة التي أنكرها بعض الأئمة الفقهاء، كان يقصد بها الفلسفة الإلهية التي كانت أصولها ترجع إلى فلسفة أفلاطون الوجودية وهي تناقض في أساسها عقيدة الإسلام في التوحيد".

وبعد أن أكدت الجمعية أنّ لا عداوة لها مع مدرسي الفلسفة، استنكرت مضامين الكتاب باعتبار أن واضعيه "جاؤوا بنصوص فوق مستوى المتعلمين وركزوا في مفهوم الفلسفة على الوجه القديم لها، ولم يتفاعلوا مع مفهومها الحديث".

وحذر باحثون مغاربة من أن تكون البرامج الدراسية جزءا من اللعبة السياسية، أو أن يسمح للجمعيات المتحالفة مع حزب العدالة والتنمية بأن تتلاعب بالبرامج المدرسية، وأن تمرّ ثقافة متشددة في المغرب الذي عرفت برامجه المدرسية بالاعتدال والانفتاح على القيم الإنسانية.

وأشار عبدالإله السطي، الباحث المغربي في الجماعات الإسلامية والعلوم السياسية، إلى أنه من المفروض في إصلاح مناهج التعليم الديني أن يتيح الانفتاح على المعارف الكونية حتى يتسنى استعمال ملكة العقل والنقد في مقاربة النص الديني بعيدا عن القراءة النصية الخطية التي تعتبر أصل الداء في إنتاج أشكال التشدد الديني.

وأضاف السطي، في تصريح لـ"العرب"، أن نبذ فيوض الفلسفة والتفكير العقلاني في الكتاب المدرسي يعتبر نكوصا خطيرا عن أهداف الإصلاح، الذي من المفروض أن يتجه نحو تشجيع الانفتاح على باقي المعارف الإنسانية، وعدم الانحصار على زاوية ضيقة في مقاربة النص الديني.

واعتبر الباحث في الجماعات الإسلامية إدريس الكنبوري، في تصريح لـ"العرب"، أن بعض مدرسي مادة الفلسفة يدعون إلى سحب مقررات التربية الإسلامية الجديدة لأنها تتعارض مع الفلسفة، متسائلا لماذا يرفضون تصورا للدين يعادي الفلسفة إذا كانوا يحملون تصورا للفلسفة يعادي للدين.

ويرى الصادق العثماني، مدير الشؤون الإسلامية باتحاد المؤسسات الإسلامية بالبرازيل، في تصريح لـ"العرب" أن واضع الكتاب مثار الجدل ستجده من أنصار الجبهة الأصولية الذين يقدسون النصوص بدون فهم ووعي لسياقاته وزمانه ومكانه.

ورغم محاولات التهدئة، يرى عبدالكريم سفير، رئيس الجمعية المغربية لمدرسي مادة الفلسفة، أن "تفسيرات وزارة التربية غير كافية لأن المشكل أكبر من مجرد اقتباس وارد في كتاب".

وبحسب رئيس هذه الجمعية فإن "ما كان منتظرا من الإصلاح مثلا (هو) أن يتم تغيير اسم التربية الإسلامية إلى التربية الدينية، لكن لم يحصل أيّ تطور حيث ما زالت الكتب تتحدث عن الكفرة، وما زلنا نخبر التلاميذ أن الإسلام أحسن ديانة في العالم".

العرب و«فرق تسد» في ذاكرة التاريخ

سميرة رجب

ص6

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الجزائر تتكئ على نظرية المؤامرة لاحتواء الاحتجاجات

الجزائريون يرتابون في دوافع الكشف عن شبكات تجسس دولية

يواجه الجزائريون وضعا اقتصاديا واجتماعية دقيقا جدا نتيجة الاختلالات القائمة وغياب رؤية استراتيجية واضحة لدى الحكومة، وخرج مؤخرا المئات في عدد من المحافظات للتعبير عن احتجاجهم على حالة التردي التي وصلوا إليها بيد أنه وكالعادة خرجت السلطات لتحمّل جهات خارجية مسؤولية هذه التحركات.

صابر بليدي

أصوات ثائرة

❏ **الجزائر** – تشكل نظرية المؤامرة إحدى أساليب النظام الجزائري الناجحة في احتواء التحركات الاحتجاجية، وهو ما بدا واضحا في كل تحرك حيث عادة ما تسارع السلطات إلى القول بوجود جهات خفية خارجية وداخلية تقف خلفه.

وكشف الأمن الجزائري مؤخرا، عن تفكيك شبكة تجسس دولية، في مدينة غرداية (600 كلم جنوبي العاصمة)، تعمل لصالح إسرائيل، وهي شبكة متكونة من عشرة أشخاص، ينتمون إلى جنسيات عربية وأفريقية مختلفة، على غرار ليبيا ومالي وأثيوبيا وغانا ونيجيريا وكينيا، كما عثر بحوزتهم على تجهيزات ووسائل اتصال متطورة وجدّ حساسة، وفق ما تم الإعلان عنه.

وأكد بيان مديرية الأمن في الجزائر، بأن أعضاء الشبكة الموقوفين، قد أحيلوا على القضاء في مدينة غرداية، بعد استكمال مجريات التحقيق معهم، بتهمة التجسس لصالح جهة عدوّة، وخلق البلبلة والمساس بالأمن العام، ولم يشر إلى باقي التفاصيل المتعلقة بامتدادات الشبكة الداخلية والخارجية، وأساليب اشتغالها في المدينة، أو كيفية تغلغلها في النسيج الاجتماعي المحلي المحافظ.

وكانت مدينة غرداية وضواحيها قد شهدت منذ سنوات، مواجهات عرقية بين أنصار المذهبين الإباضي والمالكي، أفضت إلى سقوط العشرات من الضحايا إضافة إلى خسائر مادية معتبرة في الممتلكات، وظل الوضع هشا وحذرا في المنطقة رغم محاولات الوساطة بين الطرفين، إلى غاية اضطلاع القيادة العسكرية للناحية العسكرية الرابعة بمهمة ضبط الأمن المحلي وإعادة الحياة العادية إلى مسارها.

وظل تشبث السلطة بنظرية الأيادي الخارجية والمخططات المشبوهة لضرب استقرار البلاد، محلّ ازدراء المعارضة السياسية والناشطين، بالنظر للاختلالات المسجّلة في التنمية المحلية وتطوير الخدمات الحكومية، ولتقاطع الأحداث مع حالة غليان شعبي وانسداد سياسي في البلاد، حيث ظلت متهمة بتعليق الفشل الحكومي على شماعة الجهات التي تستهدف ضرب استقرار الجزائر، ونقل موجة الربيع العربي إلى ربوعها أسوة بما حدث ويحدث في دول الجوار وسوريا واليمن.

> تشبث السلطة بنظرية الأيادي الخارجية والمخططات المشبوهة لضرب استقرار البلاد، يستفز المعارضة السياسية والناشطين

وبالموازاة مع ذلك كشف بيان مديرية الأمن، عن حجز عناصرها لكمية من المقذوفات الحارقة (كوكتيل مولوتوف) وكمية من المواد الأولية، على غرار السوائل المشتعلة وقارورات زجاج ورمل، فضلا عن 55 قنبلة جاهزة للاستعمال، وذلك في ضاحية براقي (شرقي العاصمة)، بغرض استعمالها في أحداث الشغب التي أجهضت خلال الأيام الفارطة، كما تم توقيف العشرات من الشبان بالعاصمة وبجاية والبويرة في أعقاب أحداث الشغب التي عاشتها المنطقة مطلع الشهر الجاري.

وكانت محافظات في منطقة القبائل كبجاية والبويرة وبومرداس، قد عاشت مطلع الشهر الجاري، حالة إضراب شامل شنه التجار والحرفيون احتجاجا على "قانون المالية 2017" المثير للجدل، تلبية لدعوات أطلقها نشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي، وتحولت إلى أحداث شغب وتخريب وقطع للطرقات في مختلف محافظات ومدن الجمهورية.

ووجهت الحكومة اتهامات لجهات لم تسمّها بمحاولة ضرب استقرار البلاد، واستنساخ موجة جديدة من الربيع العربي في الجزائر، ما لم يستسغه الشارع المحلي والمعارضة السياسية، كون الحكومة علّقت فشلها في احتواء الغضب الاجتماعي على شماعة الأيادي الخارجية، وهو ما يكون قد دفعها للإيعاز لمصالح الأمن بكشف مضمون التحقيقات المتوصل إليها، بغية تأكيد معالم المخطط الذي يستهدف البلاد، واحتواء موجة الانتقادات رغم حالة الإجماع على رفض أيّ انزلاق أو توظيف الاحتقان الداخلي لأغراض مشبوهة.

وسبق لمختصّين أن حذّروا من موجة النزوح الأفريقي والهجرة الجماعية لرعايا دول الجوار الجنوبي، بسبب المخاوف من استغلالها في أغراض أمنية أو مخططات استراتيجية، كإمكانية تجنيد النازحين من طرف التنظيمات الجهادية، وتسلل عناصر تشتغل لحساب جهات تستهدف المساس باستقرار الجزائر.

واستقبلت الجزائر منذ تدهور الوضع الأمني في سوريا ومالي العام 2011، زهاء الـ60 ألف مهاجر سوري وأفريقي، بسبب تدهور الأوضاع السياسية والأمنية في بلدانهم، وتحولوا مع مرور الوقت إلى بؤر اجتماعية ومخاطر فئوية، نظير مساهمة البعض منهم في تجنيد أتباع جدد للمذهب الشيعي، أو تكوين عصابات الاعتداء والتزوير وشبكات الهجرة السرية.

وظلت الحكومة الجزائرية تتحفظ على كشف هوية الشبكات التي تستهدف المساس بأمن البلاد، وتكتفي تصريحات مسؤوليها بترديد مصطلحات فضفاضة عن مشاريع الاستهداف، ما جعلها في فوهة الانتقادات في ظل غياب الأدلة الملموسة أو التفاصيل المتعلّقة بخطاب المؤامرة الخارجية، ولو أن الجيش لا يتوانى في الكشف عن نشاطه في مكافحة الإرهاب والعناصر الأجنبية المتسللة عبر الحدود.

وكانت الجزائر قد قررت على مرحلتين تهجير اللاجئين الأفارقة وإعادتهم إلى بلدانهم كمالي والنيجر، في ظروف وصفتها بـ"المريحة"، بينما جهات إقليمية ومنظمات حقوقية وظفتها لانتقاد السلطات الجزائرية تحت يافطة حقوق الإنسان والمعاملة الإنسانية.

المغرب: البرلمان يتجه للتصديق على العودة إلى الاتحاد الأفريقي

❏ **الرباط** – قررت الأحزاب المغربية الممثلة في مجلس النواب (الغرفة الأولى بالبرلمان)، عقد جلسة عمومية غدا الاثنين، لانتخاب رئيس المجلس وهياكله.

وجاءت هذه الخطوة؛ بهدف المصادقة على معاهدة القانون التأسيسي للاتحاد الأفريقي (وُقّع في توغو في 11 يوليو 2000)، التي من خلالها سيستكمل المغرب الإجراءات القانونية المطلوبة للانضمام للاتحاد، قبل القمة الأفريقية المقررة في الـ22 من يناير الجاري، بالعاصمة الإثيوبية أديس أبابا، والتي سيحضرها العاهل المغربي الملك محمد السادس.

وترأس عبدالإله بن كيران، رئيس الحكومة المكلف، وعبدالواحد الراضي، النائب البرلماني الأكبر سنا، الذي يخوّله القانون المغربي، رئاسة جلسة تشاورية بشأن تحديد موعد انتخاب رئيس مجلس النواب، مساء الجمعة، اجتماعا لرؤساء 12 حزبا مغربيا ممثلا في مجلس النواب.

وفي تصريح للصحافة، عقب الاجتماع قال عبدالواحد الراضي، إنه "جرى الاتفاق على يوم الاثنين الـ16 من يناير 2017 لعقد جلسة عمومية لانتخاب رئيس مجلس النواب".

وأضاف الراضي، أن "الاجتماع (الجمعة) كان مخصصا للتشاور حول المرحلة المقبلة، والتي تهم انتخاب الرئيس، والهياكل لتكون جاهزة للدراسة والتصويت على قانون عودة المغرب إلى الاتحاد الأفريقي".

وأضاف أنه تم خلال الاجتماع "توقيع الاتفاق بين المكونات الحزبية"، معربا عن أمله في أن تتم المصادقة على القانون التأسيسي للاتحاد الأفريقي يوم الجمعة المقبل لإحالته إلى مجلس المستشارين.

تجدر الإشارة إلى أن المجلس الوزاري برئاسة العاهل المغربي الملك محمد السادس، صادق الثلاثاء الماضي، على القانون التأسيسي، وبعد المصادقة عليه في مجلس النواب سيعرض على مجلس المستشارين (الغرفة الثانية للبرلمان) لإقراره، وبعدها ينشر في الجريدة الرسمية ليدخل حيز التنفيذ. وينتظر أن يصادق المجلس بعد انتخاب رئيسه وهياكله في جلسة عمومية قبل يوم 21 يناير الجاري على القانون التأسيسي للاتحاد الأفريقي، حتى يتسنى له التقدم رسميا بقرار العودة للاتحاد، خلال القمة الـ28 للاتحاد بأديس أبابا.

وكان رئيس الوزراء المكلف عبدالإله بن كيران قد أعلن مساء الخميس، عن حضور العاهل المغربي الملك محمد السادس قمة الاتحاد الأفريقي المرتقبة في نهاية يناير من أجل الدفاع عن عودة المغرب إلى الاتحاد.

وجدير بالتذكير أن الملك محمد السادس كان وجّه في يوليو 2016، وخلال قمة الاتحاد الأفريقي التي استضافتها العاصمة الرواندية كيغالي، رسالة إلى القادة الأفارقة، عبّر فيها عن رغبة بلاده في استعادة عضويتها بالاتحاد، ورحبت 28 دولة أفريقية شاركت في القمة بالطلب.

التوتر الاجتماعي يطغى على ذكرى الثورة التونسية

❏ **تونس** – يخيم التوتر الاجتماعي على تونس في ذكرى الاحتفاء بسقوط حكم الرئيس زين العابدين بن علي قبل ست سنوات، مع استمرار مطالب التشغيل والتنمية ذاتها التي أشعلت فتيل الثورة.

وعزف غالبية التونسيين عن الاحتفال بالذكرى، فيما حاولت بعض الأحزاب وعلى رأسها حركة النهضة الإسلامية حشد أنصارها في شارع الحبيب بورقيبة وسط العاصمة للاحتفال بما تعتبره "عرسا ثوريا".

وسجلت تحركات احتجاجية في أكثر من مدينة تونسية للمطالبة بتحقيق أهداف الثورة من شغل وتنمية. ففي مدينة بنقردان القريبة من الحدود الليبية، تم إلغاء معظم التظاهرات الاحتفالية وسط تواصل الاحتجاجات للمطالبة بحلول في معبر رأس جدير الحدودي، وإفساح المجال لانسياب السلع والحركة التجارية، وهي المتنفس الاقتصادي الوحيد للمنطقة.

وينفذ تجار في المدينة اعتصاما منذ نحو شهرين ما عمّق حالة الركود بهدف الضغط على الحكومة من أجل استئناف أنشطتهم التجارية.

ويتزامن ذلك مع تحركات اجتماعية أخرى في مدينة المكناسي التابعة لمحافظة سيدي بوزيد مهد الثورة التونسية. ويطالب المحتجون الحكومة بالإسراع في تنفيذ برامج للتنمية وخلق فرص عمل للشباب العاطل في الجهة.

ويقول محتجون إن منطقتهم لم تشهد تغييرا يذكر على الأرض منذ احتجاجات الثورة، التي أشعلها محمد البوعزيزي بانتحاره حرقا، وأطاحت في النهاية بالنظام السابق في مثل هذا اليوم من عام 2011 بسبب مطالب مماثلة.

وفي القصرين ومناطق أخرى من البلاد، تنتشر حالة من التململ الاجتماعي في عام يلوح صعبا خاصة في المناطق الداخلية الفقيرة خاصة حيث يمكن أن ترتفع البطالة إلى ضعف المعدل على المستوى الوطني والبالغ 15 بالمئة.

وعلى امتداد سنوات الانتقال الديمقراطي منذ 2011، قارب معدل النمو واحد بالمئة، وتقول الحكومة الحالية إنها تأمل الوصول بتلك النسبة إلى 2.5 بالمئة في 2017. وحاول الرئيس الباجي قائد السبسي خلال الزيارة التي أدها السبت، إلى محافظة قفصة الواقعة في الجنوب الغربي، بث رسائل تفاؤل للمواطنين الذين استقبلوه.

وأعلن السبسي عن توقيع حزمة من المشاريع الصغرى لتوفير ثلاثة آلاف موطن شغل في المنطقة بجانب مشروعين فلاحيين ومشروع آخر في الحوض المنجمي لمشتقات الفوسفات. وأكد السبسي من المدينة التي تشتهر بإنتاج مادة الفسفاط أن "الوضع الاقتصادي يتطلب وقفة واعية لمنع تعطيل إنتاج الفسفاط".

واعتبر أن "الأمل الوحيد لتحقيق التنمية هو مواصلة الإنتاج"، مشددا على ضرورة توعية وتأطير المحتجين والمعتصمين بالوضع الاقتصادي الذي تعيشه البلاد.

النهضة تحتفي بالثورة

وتشهد مدينة قفصة كباقي مدن الداخل تحركات احتجاجية مستمرة أدت إلى تعطيل إنتاج الفسفاط في أكثر من مرة الأمر الذي أثر بشكل كبير على عجلة الاقتصاد.

واختار الرئيس التونسي الاحتفال بذكرى الثورة من قفصة لعدة اعتبارات لعل أهمها أن هناك الكثيرين ممن يرون أن الحراك الثوري قد انطلق أساسا من تلك المدينة وتحديدا في العام 2008 فيما يعرف بأحداث الحوض المنجمي.

وقابل سياسيون معارضون ونشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي تعهدات السبسي بالكثير من الارتياب وعدم الثقة، باعتبار أن تعهدات سابقة تم إطلاقها دون أن تلقى طريقها إلى التنفيذ.

وقال النائب عن الجبهة الشعبية (يسارية) أحمد الصديق "نعيش وضعية مزرية في تونس. الناس ملّوا من الوعود وهو ما ولد التوتر وانعدام الثقة وفقدان الأمل".

ويرى متابعون للمشهد التونسي أن على السلطة أن تعمل على ترميم الصورة المهتزة لدى الرأي العام التونسي وتعزيز ثقة الشعب بها باعتباره الأساس في تحقيق الاستقرار، ومنع الانجرار نحو ما لا تحمد عقباه.

ويشير هؤلاء إلى أنه ورغم خيبة الأمل المسجلة جراء الوضع الاقتصادي إلا أنه لا يمكن تجاهل أن هناك نقاطا مضيئة تحققت خلال السنوات الأخيرة وأهمها حرية التعبير. ويحذّر العديد من أن هذا المكسب قابل للتراجع في حال لم يتنبه الشعب.

وعبّر الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل حسين العباسي، السبت، عن خشيته من "الالتفاف" على مكاسب الثورة التي تحققت، وعن تخوفه من "تعطل" المطالب التي نادى بها الشعب منذ 6 سنوات.

> الرئيس التونسي اختار قفصة للاحتفال بذكرى الثورة لعدة اعتبارات لعل أهمها أن هناك الكثيرين ممن يرون أن الحراك الثوري قد انطلق أساسا من تلك المدينة وتحديدا في العام 2008 فيما يعرف بأحداث الحوض المنجمي

وخلال كلمة له في مؤتمر انعقد بدار الثقافة ابن رشيق بالعاصمة تونس، بمناسبة إحياء ذكرى الثورة، قال العباسي "هناك دعوات خافتة تريد جذبنا للخلف حتى يقع الحد من مكسب الحرية الذي حققته الثورة".

وأضاف "لكننا سنبقى منتبهين ويقظين في ظل وجود تضييقات على الحريات".

وأشار العباسي، إلى أن "الحكومة التونسية، مطلوب منها خطاب يتطرق للواقع الاقتصادي والاجتماعي في البلاد على المدى المتوسط والبعيد بكل وضوح".

وأوضح الأمين العام لاتحاد الشغل "يجب التحدث عن الواقع في بلادنا، ومن المؤكد أن شبابنا سيتفهم ذلك، وإلا فإننا سنسير نحو إخلالات أخرى وعدم استقرار إن لم تعالج المطالب".

سباق إيراني أميركي للسيطرة على الحدود العراقية السورية

العبادي: لا توجد قوات من دول الجوار تقاتل في الموصل

تداخلت في معركة الموصل الحسابات السياسية مع العسكرية، فالمدينة التي تعد المعقل الرئيسي لتنظيم داعش في العراق تقع بالقرب من الحدود السورية العراقية وهذا ما يجعلها محط أنظار الطرفين الأميركي والإيراني اللذين يتسابق كل منهما للسيطرة على هذه الحدود.

معركة معقدة

□ **بغداد** – تعد معركة الموصل الأكثر تعقيدا منذ الغزو الأميركي للعراق في العام 2003، فرغم التقدم الذي تحرزه القوات العراقية بالمدينة، حيث نجحت في تحرير الجزء الجنوب الشرقي منها، فإن هناك الكثير من الصعوبات التي تواجه هذه القوات.

ولا تقتصر هذه الصعوبات على مسألة الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية وإخراجه من آخر معاقله في العراق، لا بل تتعداها إلى الحسابات الأميركية والإيرانية المتضاربة، حيث يتسابق الطرفان إلى وضع يده على الحدود السورية العراقية.

وقال رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي السبت، إن من يقاتل في الموصل هم أبناؤه وليست هناك قوات أجنبية على الأرض.

وأوضح العبادي "هناك خلط كبير بشأن دور القوات الأجنبية في المعارك ضد داعش، ونحن نؤكد عدم وجود قوات من دول الجوار تقاتل معنا ضده، فيما هناك قوات أميركية وأسترالية ومن دول عديدة ضمن التحالف الدولي مهمتها التدريب والدعم الجوي، أما من يقاتل على الأرض فهم العراقيون".

كلام العبادي فيه جانب كبير من الصحة، فمن يقاتل على الجبهات الأمامية اليوم هم عراقيون ولكن جانب منهم يقاتل لحساب أجندات معينة. فقوات "الحشد الشعبي" على سبيل المثال تحاول السيطرة على الحدود العراقية-السورية عبر الآلاف من المقاتلين المدعومين من إيران، كما أن الولايات المتحدة بدأت التحرك نحو هذه الحدود أيضا وهي تشجع العشائر السنية على إطلاق عملية عسكرية لهذا الغرض، فلهذه الحدود أهمية جيوسياسية.

والمعركة على الحدود ليست عسكرية فحسب وإنما سياسية أيضا، فالتحرك على حدود دولية يتطلب تنسيقا بين العراق وسوريا أولا، ومن ثم تنسيقا مع الولايات المتحدة وإيران ثانيا، إذ تسعى إيران لإيجاد طريق بري بينها وبين حليفتها سوريا منذ سنوات، بينما تعمل الولايات المتحدة وحلفاؤها على منع حصول ذلك بأيّ ثمن.

وعندما انطلقت الحملة العسكرية لاستعادة مدينة الموصل من المتطرفين في 17 أكتوبر الماضي، أصرّت الفصائل الشيعية القريبة من إيران على المشاركة في القتال برغم التحفظات المحلية والدولية على ذلك، وتمكنت هذه الفصائل من فرض إرادتها، ولكنها ابتعدت عن الموصل وتوجهت إلى منطقة أهم استراتيجيا وهي بلدة تلعفر القريبة من الحدود مع سوريا.

وفي نوفمبر الماضي قال رئيس الوزراء حيدر العبادي خلال مؤتمر صحافي إن "الحدود العراقية-السورية تحتاج إلى إجراءات أمنية لمنع عودة المتطرفين إلى العراق بعد طردهم من الموصل"، وأرسل العبادي وفدا إلى سوريا برئاسة مستشار الأمن الوطني فالح الفياض لمناقشة ذلك مع الرئيس السوري بشار الأسد.

وبعدها أعلن عدد من قادة الفصائل الشيعية استعدادهم لانتشار مقاتليهم على الحدود مع سوريا، وقدموا طلبا إلى رئيس الوزراء حيدر العبادي لمنحهم هذه المهمة، ولكن العبادي لم يوافق على هذا الطلب حتى الآن.

منظمة "بدر" بزعامة هادي العامري التي تمتلك فصيلا مسلحا قويا ولها تمثيل سياسي في الحكومة والبرلمان طالبت بأن تقوم قوات "الحشد الشعبي" بحماية الحدود مع سوريا.

ويقول النائب عن "بدر" في البرلمان رزاق الحيدري لموقع "نقاش" إن "حماية الحدود مهمة لقطع إمدادات داعش، والحشد الشعبي يستطيع مساعدة القوات الأمنية في تحقيق ذلك لأن قواته مدربة جيدا على قتال المتطرفين".

من جانبه أعلن رئيس الوزراء السابق نوري المالكي المعروف بعلاقته الوثيقة مع "الحشد الشعبي" خلال زيارته إلى طهران الأسبوع الماضي أن "بإمكان الحشد الشعبي عبور الحدود والتوجه إلى سوريا لمساعدة إخواننا في القضاء على هذا التنظيم".

هذه التصريحات، تثير قلق الولايات المتحدة التي سارعت إلى وضع خطط عسكرية لتنفيذ عملية عسكرية على الحدود العراقية-السورية في محافظة الأنبار، لمواجهة خطة إيران بدفع قوات "الحشد الشعبي" نحو الحدود العراقية-السورية عبر محافظة نينوى.

ويبلغ طول الحدود العراقية-السورية أكثر من (600 كيلومتر) تمتد من محافظة الأنبار غرب العراق وصولا إلى محافظة نينوى شمالا، وهي حدود صحراوية وعرة تضم ثلاثة معابر حدودية فقط، معبر الوليد ويسيطر عليه الجيش العراقي، ومعبر القائم ويسيطر عليه داعش، ومعبر ربيعة وتسيطر عليه قوات البيشمركة الكردية.

وكان داعش قد أعلن في أغسطس 2014 عن "ولاية الفرات" ضمن عملية "كسر الحدود" ملغيا حدود سايكس بيكو التي رسمت الحدود العراقية السورية قبل 100 سنة، ودمر المتطرفون في حينها السواتر الترابية الحدودية بين الدولتين لتصبح منذ ذلك الحين طريقا استراتيجيا يتم خلالها نقل الأسلحة والمقاتلين بسهولة. والخميس الماضي أعلن مقاتلو العشائر في الأنبار إطلاق عملية عسكرية لاستعادة السيطرة على ثلاث مدن ما زالت تحت سيطرة المتطرفين وهي عانة وراوة والقائم التي تمثل معقلا مهما لقادة داعش، والغريب أن الحكومة العراقية لم تعلن عن هذه العملية ولم تصدر بيانات يومية عن سير المعارك هناك.

ولكن مقاتلي العشائر في الأنبار قالوا إن العملية العسكرية جرت بالتنسيق مع الحكومة وبتشجيع من القوات الأميركية الموجودة في قاعدة "عين الأسد" ذات الموقع الاستراتيجي القريب من الحدود.

عمر المحلاوي وهو أحد مقاتلي العشائر في بلدة حديثة التي انطلقت منها العملية العسكرية نحو الحدود، يقول لـ"نقاش" إن "قوة مشتركة من العشائر بلغ عددها أكثر من ألفي مقاتل وقوات أخرى من الفرقة السابعة التابعة إلى الجيش شنت هجوما مفاجئا على بلدة عانة ضمن خطة سرية لم يعلن عنها لمنع المتطرفين من الاستعداد لها". وأكد المحلاوي أن "العملية العسكرية جرت بالتنسيق مع ضباط كبار من الجيش الأميركي تم الإعداد لها في قاعدة عين الأسد".

وفي الأسابيع الماضية كانت الغارات الجوية للتحالف الدولي محدودة على مناطق غرب الأنبار الواقعة على الحدود مع سوريا، ولكن منذ أيام ازدادت الغارات الجوية بشكل كثيف وساهمت بتقدم أفواج العشائر نحو بلدة عانة أولى البلدات الواقعة على الطريق المؤدي إلى الحدود مع سوريا، كما يقول المحلاوي.

الصراع على الحدود العراقية -السورية بين الولايات المتحدة وإيران ما زال في بدايته، والحديث عن الحدود بين نينوى وسوريا مرتبط بانتهاء المعارك في الموصل أما المعركة من أجل الحدود في الأنبار ما زالت في بدايتها وستكون أشد صعوبة خلال الأسابيع القليلة المقبلة خصوصا عندما تقترب المعركة من "القائم" تلك المدينة التي تمثل عاصمة سرية لقادة تنظيم داعش، ولم تتعرض لأيّ عملية عسكرية برية منذ عامين. اختار داعش مدينة القائم لتكون المقر السري لقادته، وفيها يوجد أكبر مصانعه للعبوات الناسفة، ويتم استقبال المتطوعين في صفوفه من جميع أنحاء العالم هناك، وتحوي أهم معسكرات التدريب، وفي هذه المدينة يعقد قادة داعش في العراق وسوريا اجتماعات دورية لمناقشة أوضاع دولتهم، كما يقول ضابط كبير في قوات الجيش غرب الأنبار.

ويقول هذا الضابط لـ "نقاش" إن "المعركة لتحرير بلدتي عانة وراوة تبدو سهلة، ولكن المشكلة الحقيقية ستكون في القائم، ونتوقع أن يدافع المتطرفون عنها بشراسة بنفس الطريقة التي يقومون بها الآن في الموصل".

التنافس بين إيران والولايات المتحدة على الحدود العراقية-السورية سيكون شديدا بعد معركة الموصل، وسيستخدم كل طرف حلفاءه المحليين في هذا التنافس، تستخدم إيران حلفاءها من الفصائل الشيعية، بينما تستخدم الولايات المتحدة حلفاءها من مقاتلي العشائر السنية، ولكن الشيء المؤكد أن حماية هذه الحدود هو مفتاح انتصار العراقيين على تنظيم داعش.

مؤتمر باريس يعيد الملف الفلسطيني إلى دائرة الضوء

سعيد قدري

□ **باريس** – ينطلق اليوم الأحد، في العاصمة الفرنسية، "مؤتمر باريس للسلام"، بمشاركة 70 دولة ومنظمة دولية، لبحث سبل تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ويشارك في المؤتمر عدد من وزراء خارجية الدول العربية والأجنبية، على رأسهم وزير الخارجية الأميركي جون كيري، وبحضور وزير الخارجية المصري سامح شكري، وأمين عام الجامعة العربية أحمد أبوالغيط، لبحث تنفيذ حل الدولتين وفق جدول زمني محدد.

وأكدت مصادر على صلة بالملف الفلسطيني، لـ"العرب"، أن الشهور المقبلة، ستكون بمثابة نقطة مفصلية في تاريخ القضية الفلسطينية، من خلال إعادتها مرة أخرى إلى دائرة الضوء، بعد فترة كبيرة من تراجعها على أجندة الأولويات الدولية، نتيجة لما شهده العالم من أحداث وتحولات كبيرة، أدت إلى انشغال الأطراف الفاعلة في هذا الملف بأوضاعها الداخلية. فعلى المستوى العربي، انشغلت الدول العربية، بالتعامل مع نتائج وتداعيات، ما بات يعرف بـ"الربيع العربي"، الذي كان سببا في تفكيك أنظمة عتيدة، وولادة نظم جديدة، وإقليميا، انشغلت الدول الفاعلة في الملف الفلسطيني، بقضايا داخلية على حساب الملف الفلسطيني.

وأرجأت الولايات المتحدة، البت في نقاط رئيسة بالملف الفلسطيني، إلى حين الانتهاء من الانتخابات الرئاسية، وهو ما أعطى فرصة لدول مثل فرنسا، لتدخل على الخط بمبادرتها الحالية، بالإضافة إلى أن ملفات أخرى أكثر سخونة، كان لها من التركيز الدولي نصيب الأسد، مثل سوريا واليمن وليبيا.

وفي إطار المبادرة الفرنسية، كان قد عقد في باريس، في الثالث من شهر يونيو 2016، لقاء وزاري، حضره وزراء خارجية أكثر من 25 دولة، وشددوا خلاله، على أن "الحفاظ مجددا على حلّ لدولتين تعيشان جنباً إلى جنب في سلام وأمن، هو السبيل الوحيد لتحقيق السلام الدائم"، غير أن اللقاء تم بدون الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني كما كان مقررا.

وسبقت المؤتمر مجموعة من المؤشرات، جعلت منه فرصة قوية لاستئناف عملية السلام في الشرق الأوسط، رغم ما سبقه من تشكيك في مخرجاته، خصوصا بعد إعلان رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، موقفه منه، حيث اعتبره مجرد "خدعة"، الغرض منها خلق مواقف معادية لإسرائيل، بمساعدة فرنسية.

ومن بين تلك المؤشرات، تبنى مجلس الأمن الدولي، في الـ23 من ديسمبر الماضي، قرارا (2334) بوقف الاستيطان الإسرائيلي، ولم تلجأ إدارة أوباما إلى الفيتو، بالإضافة إلى خطاب جون كيري، في الـ28 من ديسمبر 2016، والذي جاء مؤيدا لحل الدولتين، كأساس لإقرار السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

وعكست البيانات الصادرة من الدول الفاعلة في هذا الملف، حرصا على ضرورة إحداث اختراق حقيقي فيه، لا سيما التأكيد على مسألة حل الدولتين، ففي فرنسا (الحاضنة للمؤتمر) أكد المتحدث الرسمي باسم الخارجية الفرنسية، أن المؤتمر يهدف إلى خلق بيئة مواتية لاستئناف المفاوضات الثنائية والمباشرة بين الطرفين، بتقديم دعم ملموس لجهودهما من أجل السلام، وأوضح أن المشاركين سوف يشدّدون على الضرورة العاجلة، للحفاظ على هذا الحل، الذي أصبح مهددا، بسبب استمرار الاستيطان والعنف.

وحسب البعض من المحللين، فإن مجموعة من النقاط يمكن أن تكون حجر عثرة أمام تحقيق أيّ إنجازات تذكر في هذا الملف، منها على سبيل المثال، الرفض الإسرائيلي الذي سينعكس بلا شك على تنفيذ مخرجاته مهما كانت طبيعتها، حيث يفضل نتنياهو المفاوضات المباشرة مع الطرف الفلسطيني، في خطوة اعتبرها المتابعون مبررا لإفساد الوساطة الفرنسية.

يضاف إلى ذلك، أن تسلم دونالد ترامب، الرئاسة في الولايات المتحدة، بعد أيام قليلة من انعقاد المؤتمر، يعزز الموقف الإسرائيلي، على خلفية تصريحات ترامب السابقة، التي تضمنت دعما غير محدود للسياسات الإسرائيلية، وخاصة في ما يتعلق بالبناء الاستيطاني على أراضي الفلسطينيين في الضفة الغربية وشرقي القدس، وعدم اعتبار الاستيطان عقبة أمام حل الدولتين، وكذلك ما يتوارد من معلومات حول نيته نقل سفارة بلاده من تل أبيب إلى القدس المحتلة.

ولفت عبدالعليم محمد، مستشار مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام، إلى أن سلسلة الضغوط العربية والغربية، والمطالبات الدولية بضرورة وقف الاستيطان، وتحميل إسرائيل أسباب تعثر عملية التسوية ، كلها أمور تجعل الاحتلال أقرب إلى العزلة الدولية، ويجبره على ضرورة التعاطي مع المواقف الدولية حتى لا يكون وحيدا.

وأشار لـ"العرب"، إلى أن هناك مجموعة من الإجراءات، رغم صعوبة اتخاذها، يمكن أن تشكل عوامل ضغط على إسرائيل، منها التهديد بفرض عقوبات اقتصادية أو سياسية، أو تبني مقترحات بالتوجه لمجلس الأمن والأمم المتحدة، وهو ما تخشاه إسرائيل، ويكرّس من زيادة عزلتها دوليا.

وأشار إلى حجم الدول التي تحضر مؤتمر باريس، والتي تجعل من فرص تحقيق إنجاز ملموس أمرًا ممكنًا، حيث تعتبر فرنسا عضوًا بالأمم المتحدة، كما أن الاتحاد الأوروبي عضو بالرباعية الدولية لعملية السلام، وكلها أمور يجب أن تؤخذ في الاعتبار، عند تقييم ما يمكن أن تؤول إليه نتائج المؤتمر ومخرجاته.

وقالت مصادر في القاهرة لـ"العرب"، إن مسودة البيان الختامي للمؤتمر، ستتعرض لـ"المبادرة العربية للسلام"، وعدم الاعتراف بأيّ تعديل لحدود يونيو 1967، بما في ذلك القدس. ورأى عبدالمنعم المشاط، أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، أن هناك عاملا مهما يمكن اعتباره أحد أهم مقومات نجاح المؤتمر وهو حرص واشنطن وفرنسا على ألا يكون لروسيا دور في هذا الملف المهم.

وتحتضن روسيا مؤتمرا لرأب الصدع الفلسطيني الذي تعتبره البوابة الرئيسية لإمكانية احتضان محادثات جادة حول السلام.

وقد وصل السبت، وفد من حركة حماس إلى موسكو للمشاركة في المؤتمر بقيادة موسى أبومرزوق. وسبق وأن طرحت روسيا مبادرة لاحتضان مباحثات مباشرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وجددت الطرح قبل يومين من انعقاد مؤتمر باريس.

عباس يزور الفاتيكان قبيل مؤتمر باريس

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

ما بعد زيارة عون إلى السعودية: قبول لبناني بالسيطرة الإيرانية

حزب الله يجر لبنان إلى مربع هيمنته تمهيدا لعودته الإجبارية من سوريا

تجميد التصعيد لتعبيد طريق عودة حزب الله من سوريا

توحي التفاعلات اللبنانية التي أحاطت بزيارة الرئيس اللبناني ميشال عون إلى السعودية بأن الزيارة كانت سياقا متفقا عليه في إطار التفاهمات الرئاسية والحكومية، حيث يريد حزب الله تجميد الصراعات في هذه الفترة تمهيدا لإحكام قبضة إيران على البلد، ولضمان أرضية مناسبة له يحتمي بها عند عودته من سوريا في ظل تضارب المصالح الروسية الإيرانية؛ وهي عودة يريدها حزب الله أن تأتي بعد انتخابات نيابية يمكن أن تؤمّن له الحضور الأبرز في ظل تماسك جمهوره وتفكك جماهير الأطراف الأخرى المسيحية والسنية والدرزية.

شادي علاء الدين
كاتب لبناني

❑ **بيروت** – لم تنجح زيارة الرئيس اللبناني ميشال عون إلى السعودية في تحقيق ما كانت الأطراف المشاركة في تركيبة الحكومة تصبو إليه، والمتعلق بعودة الدعم السعودي المالي والسياسي إلى لبنان.

ساهمت هذه الزيارة في إظهار عمق أزمة السياسة اللبنانية بشكل كبير والتي تجعل لبنان بلدا غير قادر على توفير البيئة السياسية والاقتصادية المناسبة التي يمكن من خلالها للسعودية أو لأيّ دولة تقديم المساعدات والهبات، أو الشروع في تفعيل الاستثمارات بشكل لا يتضارب مع مصالحها، أو يهدد أمنها واستقرارها.

من هنا، تكشف قراءة الزيارة وآثارها وتوقيتها أنها كانت مرعية من قبل إيران وحزب الله. لأن إيران تريد تجميد التصعيد مع السعودية في هذه المرحلة تمهيدا للعودة الإجبارية لحزب الله من سوريا، بعد أن بات استمرار وجوده مرفوضا من قبل التحالف التركي الروسي الفاعل، والقائم على أسس ميدانية واقتصادية وسياسية متينة. يضاف إلى ذلك أن وقف إطلاق النار وتطبيق كل بنود الاتفاق التركي الروسي والقاضية بانسحاب كل الميليشيات من سوريا ينسجم مع مصلحة الرئيس السوري بشار الأسد.

تجدر الإشارة كذلك إلى أن كل هذه القوى لم تدّخر وسعا في الفترة الأخيرة في توجيه الرسائل الدموية المباشرة لحزب الله. وقد شهدت الفترة الأخيرة غارات روسية وسورية على مواقع لحزب الله، قيل إنها كانت عن طريق الخطأ.

لكن، هذا الاحتمال أقرب إلى المستحيل نظرا للتنسيق المتواصل لهذه القوات مع بعضها البعض، ومعرفتها المسبقة بأماكن وجود حزب الله وغيره من التنظيمات. كما أن روسيا سمحت مؤخرا لإسرائيل بإطلاق رسالة تحذيرية شديدة اللهجة إلى حزب الله عبر غارة قامت بها مجموعة طائرات قتالية من طراز أف 35، والتي تعدّ الأكثر تطورا في العالم، على مطار المزة، في محيط العاصمة دمشق، واستهدفت شحنة أسلحة موجهة إليه.

لا يستطيع حزب الله البقاء في سوريا إذن كما أنه لا يستطيع العودة إلى لبنان دون تأمين شروط المعادلة التي يسعى إلى تطبيقها، وهي تتطلب أن يكون ممثل الدولة والشرعية والممسك بزمام الاقتصاد.

تظهر كل الأطراف اللبنانية ميلا إلى السير وراء السيطرة الإيرانية على البلد، كما يمثلها حزب الله. وتتعامل معها بوصفها قدرا لا مفر منه. تبني سياساتها انطلاقا من هذا الواقع وتتعامل معه. ومؤخرا أعلن رئيس حزب القوات اللبنانية عن عدم ممانعته واعتراضه على زيارة الرئيس ميشال عون إلى إيران. وبرّر رأيه هذا بأن إيران دولة قائمة ولم تقتل نصف شعبها. وكان جعجع قد عبر عن رفضه التام لأيّ زيارة رئاسية إلى سوريا لأنه ليس هناك، انطلاقا من وجهة نظره، دولة في سوريا.

اللافت أن السياقات التي عبّر عنها رئيس حزب القوات اللبنانية تردد أصداء تطورات علاقات حزب الله والنظام السوري، حيث يسعى الحزب إلى إحكام سيطرته على لبنان بشكل كامل لصالح إيران على أن يتم إدماج مكونات النظام السوري في تركيبة النفوذ الإيراني بشكل تكون فيه جزءا من هذا النفوذ ولا تستطيع الخروج على قراراته.

كذلك كان قرار الحزب بفرض بعض الأسماء الوزارية في الحكومة مرتبطا بمشروع إحكام السيطرة على الداخل اللبناني لناحية اختيار سليم جريصاتي لوزارة العدل مثلا وهو المعروف بمناهضته الشرسة للمحكمة الدولية، واختيار يعقوب الصراف المقرب منه لتولي وزارة الدفاع من أجل إنتاج سياسة دفاعية تنسجم مع طروحاته، وتمهيدا لفتح معركة خلافة قائد الجيش الحالي.

لا يبقى أمام الحزب من أجل إتمام مشروعه سوى أمرين أولهما تغيير حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة، والثاني هو إجراء الانتخابات النيابية وفق قانون الستين الذي يناسبه تماما، في ظل تعذر إقرار أيّ قانون جديد في المهلة القصيرة التي تفصل البلاد عن موعد دعوة الهيئات الناخبة.

معركة تغيير رياض سلامة

يحتاج حزب الله إلى إحكام السيطرة على القطاع المصرفي اللبناني وعلى حاكمية مصرف لبنان لارتباط هذا الموضوع مع شبكة الظروف التي يمهد من خلالها لعودته السلسة من سوريا. ستضعه هذه العودة أمام استحقاقات مالية واجتماعية ضخمة، لا يمكن لها تغطيتها إلا من خلال تحويل النظام المصرفي اللبناني إلى غطاء يمرّر من خلاله صفقاته غير المشروعة.

ولا يزال القطاع المصرفي اللبناني، ومن خلال السياسة التي ينتهجها حاكم المصرف، قطاعا صامدا إلى حد كبير في وجه سيطرة حزب الله، وحريصا على الانسجام مع معايير القوانين الدولية المرتبطة بمكافحة تبييض الأموال، أو تمويل الإرهاب والتهرب الضريبي.

يتوقع أن يخوض حزب الله في المرحلة القادمة معركة تغيير رياض سلامة أو محاولة الإمساك بقرار حاكمية المصرف. وتفرض متطلبات العودة من سوريا عليه ضرورة تغطية التضحيات الكبيرة التي فرضها على جمهوره، والتي سينكشف حجمها الذي يرجح أنه يفوق بكثير ما يعلنه، بنوع من الإنفاق المالي الكبير والمباشر والذي يتطلب السيطرة السريعة على مالية الدولة اللبنانية.

ترتبط سياسة حاكم مصرف لبنان بضرورة الخضوع لمتطلبات النظام المالي العالمي، الذي يفترض بدوره قيام شبكة قوانين وأنظمة تراعي آلية عمل هذا النظام ومتطلباتها. ولا يمكن للمنطق المالي لحزب الله أن ينجح وأن ينمو في ظل سيادة هذه السياسة وتحكمها بالشأن المالي في لبنان.

وكانت المصارف اللبنانية قد عمدت إلى إقفال حسابات المؤسسات والأشخاص المرتبطين بحزب الله، والذين طالتهم شبكة القوانين التي طالب النظام المصرفي العالمي لبنان بتنفيذها تحت طائلة العقوبات. وأطلق حزب الله رسالة تحذيرية للمصارف مع تفجير بنك لبنان والمهجر وبادر الحاكم إلى إنشاء حزمة تسويات في محاولة للتوفيق بين إلزامات القوانين الدولية ومخاوف حزب الله، ونجح في لجم الأزمة إلى حد ما.

خطاب النصر الذي يفترض أن يواري به الحزب دماء شباب الطائفة الشيعية المبذولة هدرا في الميدان السوري لا يمكن أن يقوم إلا على أساس إيجاد بيئة مالية ومصرفية واقتصادية تقع بالكامل تحت سيطرته، تصبح فيها إيران، التي أعلنت أكثر من مرة عن رغبتها في الاستثمار في لبنان، هي رب العمل الأكبر في البلد.

وهنا يبرز الفرق بين طبيعة الاستثمارات التي يمكن أن يستجلبها لبنان في ظل سياستين متناقضتين، حيث يمكن أن تستجلب سياسة حاكم مصرف لبنان الحالية والتي سمحت بتجنب الكوارث المالية والاقتصادية استثمارات عربية ودولية، خصوصا إذا ما تم تثبيت الاستقرار المالي ودعمه باستقرار أمني يخلق بيئة مناسبة تسمح له بالنمو والازدهار.

سياسة حزب الله يمكن أن تستجلب استثمارات إيرانية، فقد بات واضحا أن إيران هي بلد ينمو في ظل الحرب والخراب، ويضعف مع الاستقرار والتسويات. لذا قد يكون من السهل تبيان طبيعة هذا الاقتصاد الذي يتناسب مع زمن السيطرة الإيرانية على البلد والذي يتطلب إقصاء رياض سلامة عن المشهد كي تسهل عملية تحويل لبنان إلى مركز لتبييض الأموال، والخروج على النظام المالي والمصرفي الدولي.

لا يزال قانون الستين الانتخابي الذي يعتمد القضاء وليس المحافظة نافذا على الرغم من كل الورشات القانونية ومشاريع القوانين التي قدمتها القوى السياسية اللبنانية. وكانت جميع الأطراف في لبنان قد عبّرت في المرحلة السابقة عن رفضها لهذا القانون، وعن ضرورة التوصل إلى إقرار قانون انتخابي جديد تقام الانتخابات القادمة على أساسه، دون أن يعني ذلك وجود توافق فعلي منجز على أيّ من القوانين المطروحة.

مجموعة القوانين التي قدمتها القوى السياسية كانت تعكس مصالح الطرف الذي قدمها بشكل تكون فيه مفصلة على قياسه. ويبدو الستين وفي ظل الاعتراف العام بدخول لبنان في الزمن الإيراني هو القانون الذي لا يؤمّن إعادة إنتاج الطبقة السياسية وفق خريطة القوى القائمة حاليا، ولكنه القانون الذي قد يحدّ من الخسائر.

وتكمن المفارقة في أن إجراء الانتخابات النيابية بناء على هذا القانون أو على أيّ قانون آخر سيعدّل إلى حدّ ما من توزيع النواب على القوى السياسية الكبرى، ولكن الساحة الوحيدة التي لن يطالها أيّ تعديل يذكر هي الساحة الشيعية.

يتوقع أن يكون إجراء الانتخابات على أساس الستين أمرا واقعا وخصوصا مع إعلان الزعيم الدرزي وليد جنبلاط عن تفضيله له في محاولة لتجنب فرض قانون النسبية الكاملة الذي يريده حزب الله. وقد سهل إعلان جنبلاط الصريح على بعض القوى السياسية الكشف عن عدم ممانعتها إجراء الانتخابات على أساس هذا القانون الذي كان اللبنانيون قد اعتقدوا أنه مات وشبع موتا لشدة ما اجتهدت كل القوى السياسية في شيطنته.

ساحات مضطربة

تتجلى هشاشة الساحة السنية من خلال جملة عناوين عريضة لعل أبرزها ما كشفه الصراع المعلن بين وزير العدل السابق أشرف ريفي ووزير الداخلية الحالي نهاد المشنوق. لم يتخذ هذا الصراع شكل تنافس سياسي بين شخصيتين سنيّتين، بل عكس نشوء صراع بيروتي شمالي، يشي باحتمال خروج الشمال عن دائرة سلطة تيار المستقبل، وبأن تؤدي الانتخابات النيابية القادمة إلى تقلص كتلة تيار المستقبل النيابية، وخلق كتلة نيابية سنية أخرى.

يرجّح أن تسيطر ثنائية التيار الوطني الحر والقوات على الساحة المسيحية في الانتخابات القادمة، مع ما يتضمنه ذلك من إقصاء مباشر للمكونات المسيحية الأخرى مثل تيار المردة وحزب الكتائب. وكان الخلاف بين القوات اللبنانية وحزب الكتائب قد وصل مؤخرا إلى حدود غير مسبوقة، ما دفع بقيادات الحزبين إلى التدخل المباشر لوقف الحملات الحادة المتبادلة التي يطلقها أنصارهما عبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها. كل هذا يقول إن انتصار تحالف التيار الوطني الحر والقوات المتوقع في الانتخابات النيابية القادمة، لن يكون انتصارا مسيحيا يتخذ هيئة تمكين الساحة المسيحية وتفعيل تمثيلها، بل سيكون انتصارا على القوى المسيحية الأخرى، وهو ما من شأنه أن يجعل هذه الساحة أرضا خصبة للخلافات والصراعات.

> حزب الله لا يستطيع البقاء في سوريا كما أنه لا يستطيع العودة إلى لبنان دون تأمين شروط المعادلة التي يسعى إلى تطبيقها وهي تتطلب أن يكون ممثل الدولة والشرعية والممسك بزمام الاقتصاد

الساحة الدرزية بدورها تعاني من مشاكل، فعلى الرغم من عدم وجود طرف قادر على منافسة دور الزعيم الدرزي وليد جنبلاط، يشكل وجود أصوات متعددة الولاءات داخل هذه الطائفة الصغيرة من طلال أرسلان إلى وئام وهاب عامل تفكك يهدد تماسكها. يضاف إلى ذلك اضطرار وليد جنبلاط إلى الدخول في تسويات انتخابية مع أطراف سنية ومسيحية في أكثر من منطقة.

الساحة الخالية من الصراعات مبدئيا هي الساحة الشيعية حصرا وبذلك فان الانتخابات النيابية القادمة في ظل هذا الواقع الشيعي الخاص، ومع شبكة التحالفات العريضة التي يقيمها الحزب مع التيار الوطني الحر وغيره من القوى، ستنتج واقعا نيابيا يحوّل حزب الله إلى السلطة التشريعية الشرعية في البلد. هكذا تكتمل دائرة السحر الأسود، إذا صح التعبير، فيصبح الحزب هو الدولة.

ربما يشكل هذا الهدف التموضع الجديد للحزب فهو سابقا كان يكتفي بأن يكون السلطة ولكنه في المرحلة القادة يريد أن يكون الدولة. بدأ هذا المسار يتراكم مع الإصرار على انتخاب العماد عون وتشكيل حكومة يسيطر عليها عدديا وليس عبر الوصاية على قرارها وحسب، وستكتمل الدائرة مع الانتخابات النيابية التي يرجّح أن تنتج صيغة نيابية تؤمّن له مع حلفائه الأكثرية المباشرة.

إنه الزمن الإيراني الفظ في لبنان، ولا يبدو أن هناك من يبدي اهتماما بانتشال لبنان من السقوط في بئره التي لا قرار لها.

مرحلة الحذر بين أميركا وإيران

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ ليس سرّا أن إيران تريد إيصال رسالة واضحة كل الوضوح إلى الإدارة الأميركية الجديدة. فحوى الرسالة أن العراق يقع تحت سيطرتها كليّا وأن لا مجال لإعادة عقارب الساعة إلى الخلف، خصوصا أنّ هناك في الإدارة من يعتقد أنه لا بدّ من وضع حدّ للسيطرة الإيرانية على العراق. هذا على الأقلّ الموقف العلني لوزير الدفاع الجديد الجنرال جيمس ماتيس. أكّد ماتيس موقفه في شهادة خطية له لدى مثوله أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ.

قبل تثبيت ماتيس في موقع وزير الدفاع في إدارة دونالد ترامب، سارعت إيران إلى تعيين سفير جديد لها في بغداد هو إيرج مسجدي، كبير مستشاري الجنرال قاسم سليماني قائد "فيلق القدس في "الحرس الثوري الإيراني" الذي يقع العراق ضمن مسؤولياته.

> تحسبا لتغيير السياسة الأميركية في العراق، وضع «الحرس الثوري» رجلا من عنده سفيرا في بغداد. هذا يعني أن إيران تنظر بجدية إلى ما يمكن أن تقوم به إدارة دونالد ترامب بعد تسلم الرئيس الجديد مهماته في العشرين من الشهر الجاري

يدلّ تعيين مسجدي سفيرا جديدا لإيران في العراق على أن الكلمة الأولى والأخيرة في "الجمهورية الإسلامية" هي لـ"الحرس الثوري" الذي لا يمكن إلّا أن يتصدى للتوجه المختلف لإدارة ترامب، خصوصا لوزير الدفاع المعيّن الذي لن يجد صعوبة في تثبيته في موقعه على الرغم من عدم مضي سبع سنوات على تقاعده. سيستثني الكونغرس الجنرال ماتيس ذا الثقافة الواسعة والخبرة العميقة في شؤون العالم والشرق الأوسط من قانون يمنع العسكريين من تولي مناصب سياسية قبل مضي سبع سنوات على تقاعدهم. من المرات النادرة التي حصل فيها هذا الاستثناء كان تعيين الجنرال جورج مارشال وزيرا للخارجية في العام 1947 بعد عامين من انتهاء الحرب العالمية الثانية التي شارك فيها بصفة كونه واحدا من أبرز قادة الجيش الأميركي الذين يمتلكون ثقافة سياسية واسعة ورؤية لكيفية مساعدة أوروبا في التخلص من آثار الحرب وتجاوزها.

كان موقف الجنرال ماتيس أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ من النوع الذي لا لبس فيه. اعتبر أنّ على الولايات المتحدة المحافظة على نفوذها في العراق، حتّى بعد معركة تحرير الموصل من "داعش" وذلك لضمان عدم تحوّل العراق دولة تابعة لإيران. قال أيضا في شهادته الخطّية إنّ "الحرب القاسية في سوريا" أثارت اضطرابات في الشرق الأوسط وتمثّل تهديدا للأمن القومي الأميركي. بالنسبة إليه، إنّ الحرب في سوريا "أثارت اضطرابات في المنطقة وساهمت في زعزعة أوروبا وهي تشكّل تهديدا لحلفائنا مثل إسرائيل والأردن وتركيا. في الوقت ذاته، نرى أن قوى مثل داعش وإيران وروسيا استفادت من الفوضى، وهذا كله لا يخدم المصلحة الوطنية الأميركية".

جاء هذا الكلام في سياق تأكيده في الشهادة الخطية على أن إيران تشكل "أكبر قوّة مثيرة للاضطرابات" وأنّ على الولايات المتحدة التوصّل إلى استراتيجية بعيدة المدى تضمن "منع إيران من تحقيق هدفها القاضي بفرض الهيمنة على المنطقة"، محذّرا من أن "النفوذ الإيراني المؤذي ينمو" في الشرق الأوسط والخليج.

ترك ماتيس الجيش الأميركي في العام 2013 عندما أدرك أن إدارة أوباما مستعدة للتخلي عن العراق لإيران. حصل ذلك إثر القرار الذي اتخذه الرئيس الأميركي في العام 2010 بالانسحاب الباكر من العراق استكمالا لما قام به جورج بوش الابن الذي لم يفهم في العام 2003 معنى إسقاط نظام صدّام حسين قبل أن يكون هناك بديل أفضل جاهزا. لم يدرك بوش الابن أن الطرف الوحيد الذي كان جاهزا لتولي أمور العراق بعد سقوط النظام هو الميليشيات التابعة لأحزاب مذهبية عراقية تدار من طهران. صار لهذه الميليشيات كيان يجمعها الآن هو "الحشد الشعبي".

ما يعرفه الجنرال ماتيس الذي كان يلقّب بـ"الكلب المسعور" أن عدم التصدي لما تقوم به إيران في العراق هو استسلام لها. هل كان ثمن حماية الاتفاق في شأن ملفّها النووي يقتضي بالاستسلام لها في العراق وفي سوريا؟

نظرة ثاقبة مصوبة تجاه مكمن الخطر

منذ التراجع الأميركي أمام إيران راح ماتيس يطرح أسئلة من نوع ماذا إذا توصلنا إلى تسوية مع إيران في شأن ملفّها النووي وبقيت عدوًا لنا؟ ماذا إذا طوّرت أسلحة تقليدية تهدد الملاحة في الخليج وللقطع البحرية الأميركية الموجودة في تلك المنطقة؟

لم يكن في واشنطن من يريد الإجابة عن الأسئلة التي طرحها، بما في ذلك تلك المتعلّقة بالدور الذي تلعبه إيران في تشجيع العمليات التي كانت تستهدف القوات الأميركية في العراق. بدل الإجابة عن هذه الأسئلة جرى استبدال ماتيس الذي كان يشغل موقع قائد القوة المركزية من دون استشارته. في الواقع طرده الرئيس الأميركي من هذا الموقع بطريقة دفعته إلى الاستقالة.

تحسبا لتغيير السياسة الأميركية في العراق، وضع "الحرس الثوري" رجلا من عنده سفيرا في بغداد. هذا يعني أن إيران تنظر بجديّة إلى ما يمكن أن تقوم به إدارة دونالد ترامب بعد تسلّم الرئيس الجديد مهماته في العشرين من الشهر الجاري.

في الأشهر القليلة الماضية، بدا أن إدارة أوباما مستعدة للتنسيق كليّا مع إيران في العراق. وفّرت هذه الإدارة في بعض الأحيان غطاء جوّيا لـ"الحشد الشعبي" الذي كان يقوده على الأرض مستشارون إيرانيون. تخشى إيران الآن، فيما معركة الموصل مستمرّة، من سحب الاعتماد الأميركي الذي حصلت عليه في العراق، أي ألّا تعود أميركا في الجيب الإيراني. فكلام الجنرال ماتيس يشير إلى أنّه صار في البنتاغون رجل يعرف تماما ما هي إيران وما هو مشروعها التوسّعي الذي أخذ أبعادا جديدة بعد سقوط العراق في العام 2003 وبعدما صار في البنتاغون شخص ليس "كلبا مسعورا" بل إنّه أقرب ما يكون إلى جنرال أميركي يعرف تماما الشرق الأوسط والخليج. فماتيس يعرف خصوصا ماذا يعني أن تكون الحرب على العراق في العام 2003 حربا أميركية-إيرانية في الدرجة الأولى. يعرف ماذا يعني أن يصبح العراق مستعمرة إيرانية وأنّ ترضخ إدارة أوباما للأمر الواقع فتنسّق انسحابها العسكري والسياسي من العراق بشكل كامل مع إيران.

في كلّ الأحوال، أخذت إيران ما يجري في واشنطن على محمل الجدّ. هذا لا يعني بالضرورة أن العراق سيكون مسرحا لمواجهة أميركية-إيرانية بمقدار ما يعني أن تغييرات ستطرأ على العلاقة بين الجانبين. من التنسيق الكامل بين إدارة جورج بوش الابن وطهران في العام 2003، إلى الرضوخ الكامل لإدارة أوباما أمام ما تريده إيران، هناك الآن انتقال إلى مرحلة الحذر المتبادل. ماذا بعد هذه المرحلة؟

الجواب بكلّ بساطة هل سيسمح دونالد ترامب لـ"الكلب المسعور" الذي انتقل إلى وزارة الدفاع باتخاذ قرارات كبيرة أم يظل كلام وزير الدفاع الأميركي مجرّد كلام يصدر عن رجل يعرف تماما أخطار السياسة الإيرانية ليس على دول الشرق الأوسط والخليج فحسب، بل على الدور الأميركي في العالم أيضا.. لكنه مستعد بدوره للتفرّج على تراجع القوّة العظمى الوحيدة في العالم؟

تراجع السنة السياسي هزيمة أم فخ لاستنزاف الإسلام الشيعي

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ قال تقرير للمخابرات الأميركية، نشر الاثنين الماضي، إن مخاطر نشوب صراعات ستزداد خلال الأعوام الخمسة المقبلة، وستصل إلى مستويات لم يسبق لها مثيل منذ الحرب الباردة نتيجة تآكل نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية والنزعات القومية الناجمة عن معاداة العولمة. تحدث التقرير عن عوامل وصفها بأنها ستشكل "مستقبلا قريبا قاتما وصعبا" يشهد زيادة جرأة روسيا والصين.

في مقال نشرته صحيفة "الإندبندنت" البريطانية يوم الجمعة الـ 6 من يناير 2017، أكد الكاتب الصحافي الأيرلندي المتخصص في شؤون الشرق الأوسط باتريك كوكبيرن على أن حلم المملكة العربية السعودية في الزعامة العربية والإسلامية قد تبخّر. وذكر أن هناك انتشارا للنفوذ الإيراني على حساب المملكة، حتى أنه خلال آخر اجتماع لمنظمة البلدان المصدرة للنفط «أوبك»، وافق السعوديون على خفض إنتاج النفط الخام، في حين زادت إيران من إنتاجها، وهذا يعني منح إيران نوعا من التقدم الاقتصادي وزيادة وارداتها.

رأى المستشرق الإسرائيليّ، البروفيسور مردخاي كيدار أن من أهم أسباب انتشار النفوذ الإيراني هو انهيار التحالف بين السعودية وتركيا، بعد أن نجح بوتين في ترويض أردوغان، وتركيعه وإجباره على التوقف عن مساعدة المعارضة المسلحّة بسوريا.

وقد سمعنا مؤخرا السفير العراقي بالقاهرة حبيب الصدر يؤكد أن الاتفاقية التي وقعتها حكومة بلاده مع مصر لإمدادها بمليون برميل شهريا من نفط البصرة الخفيف ستدخل حيز التنفيذ خلال الأيام القليلة القادمة. كمية قابلة للزيادة وبشروط دفع ميسّرة. ولم يخف السفير أن هذا بسبب التقارب السياسي بين البلدين بعد أن قطعت شركة أرامكو السعودية مساعدتها النفطية إلى مصر.

المملكة مهتمة بإصلاحات شاملة خصوصا في الخطاب الديني قبل وصول الرئيس الأميركي الجديد دونالد ترامب إلى البيت الأبيض في الـ20 من يناير الجاري وتتخذ خطوات جريئة. عام 1995 أرسلت رسالة إلى أقاربي بالسعودية هنأتهم فيها بالسنة الميلادية الجديدة، فجاء الجواب بصيغة توبيخ. كيف تهنئ المسلمين بعيد النصارى والكفار؟ اليوم كل مشايخ السعودية يهنئون العالم وأنفسهم بأعياد الميلاد ويقولون هذا شيء جيد.

الشيخ صالح المغامسي مثلا يدعو إلى الحزن على ضحايا ملهى رينا التركي وحذّر من التشفي بهم، والشباب السعودي بين مرحّب وساخر وهناك مَن كتب له على تويتر "يبدو أن الشيخ من رواد ملهى رينا" ويستشهدون بالآية "ولا تأس على القوم الفاسقين".

أهم شيء أن ينجح المشايخ في السعودية بإعادة تفسير الآيات القرآنية على نحو يتوافق مع قيم العصر والقوانين ولا يتركوا مجالا لعبث المتطرفين. من الآيات التي كان خطيب الدواعش أبو محمد العدناني يرددها كثيرا في خطاباته حتى قتل "وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ".

وكذلك يستشهد المتطرفون في إصداراتهم بالآية "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً". استنزاف لأموال العراق ومستقبل البلاد باسم الدين هدر المليارات من الدولارات. عرض الدواعش في إصداراتهم الأخيرة قتيلا لهم نجح في تفجير أربعين دبابة أبرامز، ويقولون بلا خجل إن سعر الدبابة الواحدة 9 ملايين دولار.

الفائدة الوحيدة التي حصلت عليها السعودية من ظهور داعش وانهياره هي أن الشعب قد رأى بوضوح مصير البلاد لو حكمها السلفيّون المتطرفون، ولكن العراق لم يستفد شيئا. وبعد تحرير الموصل قد يعود هؤلاء للتفجير ببغداد وجمع الإتاوات بالقوة من التجار السنة، لهذا هناك مشروع شيعي صارم لكسب الشباب في المدن المحررة.

السعودية والعراق وإيران هي من الدول العشر الأغنى بالموارد الطبيعية في العالم. السعودية باحتياطي يقدر بـ33.53 تريليون دولار، وإيران بـ28.15 تريليون دولار، والعراق بـ14.94 تريليون دولار. الشيعة يريدون حياة رفاه مثل السعودية، فقد نجحت المملكة بينما فشلوا هم، ولم يتذوقوا طعم الرفاه.

مشكلة السعودية مع حلفائها هي أنها تريد منهم أن يروا بلادهم بعيونها، وهذا صعب. مثال على ذلك هل داعش خطر كبير على السعودية؟ الجواب كلاّ لأنه شعب سنيّ متماسك ولا يوجد شحن مذهبي. هل إيران خطر كبير على سنة العراق؟ كيف يكون الخطر والسنيّ مجرد نازح في خيمة والحاكم شيعي؟ الخطر الحقيقي على سنة العراق هو داعش. أما خطورة إيران فتخص الحاكم الشيعي العراقي ولا تخص المواطنين العاديين. هناك 2000 مواطن عراقي يفرون من الموصل يوميا في ظروف حرب دموية، هذا هو الخطر الذي يهددنا.

في مقال بعنوان "تحديث وطنية الشيعة" تحدث كاتب سعودي عن لمحة خطيرة. السنة يقولون لمواطنيهم الشيعة لماذا نعلن البراءة من إرهابيينا بينما أنتم لا تعلنون البراءة من إرهابييكم؟ وهذا يعكس التساؤلات والتحديات التي تمر بها البلاد.

السنة عموما في ظرف حرج؛ فإذا الثورة السورية التي كلفتنا عشرة ملايين نازح سوري و300 ألف قتيل، اكتشفنا فيما بعد بأنها في سبيل أنبوب غاز قطري وحرب طاقة، وإذا أردوغان ينقلب ويتحالف مع روسيا ويخذل السوريين، وإذا الثورة العراقية ينقلب زعماء المنصات والاعتصامات فيها إلى الحكومة العراقية، بينما النصف الآخر هرب وصمت. لقد تركُوا الشعب لمنظمة إرهابية عالمية غامضة. وإذا سنة العراق وسوريا مجرد حائط صدّ ضد التمدد الشيعي؛ فإن الإسلام السني بهذا قد غامر بنفسه.

لو تراجع الحروب الكثيرة بين الصفويين والعثمانيين والأوزبك والمغول والمماليك منذ القرن السادس عشر، ستكتشف بأنها حروب سياسية عقلانية، حتى لو كان التدافع الديني يستخدم كوسيلة إضافية لإثارة مشاعر الشعوب.

لكن الصراع أساسا بين دول وملوك. السؤال الذي يقفز إلى ذهني لماذا الحرب التي خاضها العرب عندما اجتاحوا إيران في القرن السابع الميلادي أدت إلى تحول في الدين والهوية الإيرانية؟ لأنها ليست معركة سياسية بل في سبيل الله وجهاد ونشر للدعوة.

هذه القضية لم تظهر في التاريخ الوسيط على الإطلاق، كان هناك تخوف من إثارة هذه القضية. حتى الدولة العثمانية حين احتلت مدنا في أوروبا كان احتلالا سياسيا ومعركة نفوذ، ولم تجبر رعاياها النصارى على الإسلام. لأول مرة في التاريخ الحديث يظهر شيء مشابه للدعوة الإسلامية والجهاد هو داعش. صحيح أن الحركة الوهابية مشابهة نوعا ما، لكنها بقيت في الجزيرة وتم احتواؤها ضمن بيئة جغرافية عربية وسنية وبدوية. المشكلة في داعش أنها نسخة جهادية معاصرة وفي بيئة متنوعة. الأمر الذي يهدد هوية السنّة في العراق بعد داعش.

> السعودية تعرف جيدا بأن المشكلة المركزية هي العراق، فقد أصبحت هناك دولة مركزية ذات ثراء طبيعي وحضاري متحالفة مع إيران

المعركة الحقيقية ضد داعش هي في العراق لأن هناك انقساما مذهبيا حادا. ففي ليبيا مثلا قلوبنا مع الجنرال حفتر ضد داعش، قضية بسيطة جدا لا تحتاج إلى موقف ومشاعر وانقلاب وجداني لماذا؟ لأن الجنرال حفتر سنيّ، وكذلك نحن مع الرئيس عبدالفتاح السيسي بسهولة ودون جهد ضد الدواعش في سيناء لنفس السبب. لكنك تحتاج مجهودا من نوع خاص لتأييد الشيعة ضد داعش. هذا التأييد يعتبر انتصارا للنفوذ الإيراني وميليشيات طهران على حساب السعودية.

الدرس الذي تعلمناه من الحرب العثمانية الصفوية التي استمرت لقرون طويلة في العصور الوسطى هو أنه لا تمكن هزيمة إيران هزيمة نهائية. هذا شبه مستحيل. كما لا يمكن لإيران التمدد أبعد من حدودها الطبيعية، فكلما فعلت ذلك تفشل. المشكلة تكمن في العراق فقط لا غير، فهنا خليفة داعش أبوبكر البغدادي الذي يقاتل حتى الموت في الموصل وهنا رأس المشكلة، لأن العراق يقع ضمن النفوذ الإيراني تاريخيا والدولة العثمانية تقاسمت النفوذ على العراق مع الدولة الصفوية. فقد سقطت بغداد مرتين تحت النفوذ الصفوي. أعتقد أن إيران قد تفشل في كل مكان غير أن فشلها في العراق صعب.

السعودية تعرف جيدا بأن المشكلة المركزية هي العراق، فقد أصبحت هناك دولة مركزية ذات ثراء طبيعي وحضاري متحالفة مع إيران رغم أنها عضو في الجامعة العربية، دولة مؤثرة تستطيع منح مصر والأردن مساعدات بترولية ولا تتردد بتحدي الإرادة السعودية. نوشك على نهاية داعش في العراق والسنّة غير راغبين بهدم بيوتهم مجددا، بعد أن رأوا حجم وثقل الشيعة السياسي في العراق.

المملكة دولة ذات خبرة سياسية تمتد لقرن من الزمان، وهي ليست خصما سهلا، على السيد علي خامنئي أن يفكر الآن هل تراجع السنّة السياسي في المنطقة هو فعلا هزيمة أم أنه فخ لاستنزاف الإسلام الشيعي والقضاء عليه في النهاية؟

العرب و«فرّق تسد» في ذاكرة التاريخ

سميرة رجب
كاتبة من البحرين

❏ في قراءة التاريخ، بمختلف أبعاده وشؤونه الإنسانية، معرفة استراتيجية ملهمة ومهمة لاستشراف المستقبل، حيث لا ينفصل واقع الأمم الحالي عن تاريخهم، وإنما هو، في الغالب والأعم، تكرار له على أنماط مختلفة تتطور بتطور البشرية.. وأحيانا يكون ذلك التاريخ مطابقا لحاضر الأمم المتخلفة عن مواكبة التطور البشري والحضاري.

في تاريخ العرب، القديم والحديث، الكثير من العبر، المتشابهة أحيانا لدرجة التطابق، في سبل استهداف الأمة لتبقى قاصرة وتابعة، وصالحة للاستعمار دائما.. ومما يؤسف له أننا إما لا نقرأ هذا التاريخ وإما أننا لا نفهم ما نقرأه.. ولكن عموما هناك استدلالات تؤكد أن النجاح الباهر الذي يتحقق اليوم في التلاعب بالعقول عبر تكنولوجيا التواصل والإعلام وتردي التعليم يعتمد على جيل عربي لا يملك ذاكرة تاريخية ومعرفية تحميه من هذا الاختراق.

وفي هذه المساحة الكتابية أسلط الضوء، باختصار شديد، على جزء من تاريخ منطقتنا، الذي لا زال يتكرر، وسيتكرر، ما دمنا أمّة لا تجيد كيف تستشرف وتصنع مستقبلها.

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي (1500 م) استدركت الدول العظمى الغربية، المتمثلة حينها في روسيا القيصرية وبريطانيا، الأهمية الجيوسياسية للمنطقة العربية، وخصوصا منطقة المشرق العربي وشبه الجزيرة العربية ومصر، في الحفاظ على مصالح دول الغرب عموما، ومصالحهما المشتركة (حينها) خصوصا.

وحينها كانت المنطقة العربية تاج الخلافة الإسلامية العثمانية،التي كانت تمتد بجيوشها الانكشارية من الأناضول إلى قلب أوروبا الشرقية زاحفة نحو شمال القارة، في غزو واحتلال دولة بعد أخرى وصولا إلى أبواب فيينا.. وتوقعت روسيا القيصرية وبريطانيا أنهما باتتا مشروعين قادمين أمام جحافل تلك الجيوش المنتصرة في ظل الضعف والتفكك الغربي عموما.. ولكن ذلك لم يدفعهما للاستسلام بقدر ما كان دافعا لاستنهاض أدوات المراوغة في الجبهات الخلفية،لإشغال العدو والتخلص منه، مما يغنيهما عن استخدام السلاح وارسال الجيوش.. وتكشف المراسلات التي دارت بين الدوائر الاستعمارية المختلفة وقناصلها ومبعوثيها إلى المنطقة عبر التاريخ نجاح هذا التوجه الاستعماري الخطير، الذي كان، ولا يزال، أهم صيغه ووسائله المتداولة لتفتيت الشعوب على أساس الدين والمذهب والقبيلة والعشيرة وتعدد الولاءات وتفريقها بالحظوة والتهميش وتزييف التاريخ. ثم جرّ هذه الأطراف إلى صراع داخلي يصل إلى أقصى درجات الوحشية، حتى الإنهاك التام.

وهكذا، تفاجأ العالم الإسلامي، في قمة توسع الخلافة الإسلامية العثمانية في أوروبا، بظهور دولة خلافة إسلامية ثانية في بلاد فارس، الدولة الصفوية (1502م) وبدأت مباشرة في عملية تغيير عقائدي، سريعة ودموية، للشعب الإيراني، لتحويل إيران من دولة سنية إلى دولة شيعية قادرة على الحرب تحت راية الإسلام، وإنما بشعار عقائدي مختلف (فرّق تسد).. ويشهد التاريخ الذي يلي ذلك الحدث بأن تلك الدولة الوليدة كانت من أنجح الصيغ والأدوات التي استخدمها الغرب في التصدي للتوسع العثماني في أوروبا، لما حققه الصفويون من نجاح في إحداث انقلاب جذري في الاستراتيجية العسكرية العثمانية، أدى إلى وقف زحف الجيش الانكشاري على البلاد الأوروبية، وانسحابه تدريجيا.

على مدار قرنين من الزمان، هو عمر هذه الدولة، شكل الصفويون تهديدا مباشرا للخلافة العثمانية، بالغزو والاحتلال المتكرر للعراق، مما أدّى إلى الانسحابات المتتالية والتدريجية للجيش التركي من أوروبا لملء الفراغ العسكري في مواجهة الجيوش الصفوية الغازية للمنطقة العربية، أرض الخلافة العثمانية.. ورغم هزائم الصفويين المتكررة أمام العثمانيين في العراق إلا أن حروبهما استمرت في مواجهات دامية خدمت أوروبا التي كانت بحاجة إلى هذا الإشغال للعثمانيين، حتى النهاية، بخروج آخر جندي عثماني من أوروبا.. فكانت جميع حروب الدولتين تدور على الأرض العراقية، وعلى حساب الشعب العراقي، الذي كان قدره أن يعاني خلالها ألوانا من المآسي والفواجع لا تختلف عن الفواجع والكوارث والمذابح والآلام التي يعيشها منذ ما بعد الاحتلال الأميركي الإيراني للعراق عام 2003.

من الصدف التاريخية (والتاريخ لا يعترف بالصدف) أن الدولة الصفوية، وقبل أن يستتب لحكمها المقام، شنت أول حرب ضد العراق واحتلت بغداد بين السنوات 1508 – 1514، في حدث يشابه تماما حرب إيران ضد العراق التي استمرت لثماني سنوات (1980–1988) والتي بدأت قبل أن يستتب المقام للجمهورية الخمينية في إيران.

ولم تكن تلك الحروب الصفوية الوحيدة في المنطقة حينها، إذ تحالف الصفويون أيضا مع البرتغاليين في مواجهة المماليك الذين كانوا يتصدون للغزو البرتغالي في مياه الخليج العربي وبحر العرب، فكان للسياسات الصفوية دور رئيسي في نجاح الغزو والهيمنة البرتغالية على المنطقة.

ومن المفارقات غير المستغربة أن إيران الإسلامية والبهلوية، وقبلها القاجارية وغيرها، لعبت ذات الأدوار ضد العرب على مدار التاريخ. والتزمت إيران بالتحالف مع القوى الكبرى للنيل من العرب.. وهناك تفاصيل كثيرة عن هذا الدور الإيراني الخطير في المنطقة لا مكان لسردها هنا.

سقطت الدولة الصفوية عام 1722، مع انتفاء هدف وجودها، ولكن لم تختفي آثارها المذهبية والدينية المستوردة حتى هذا اليوم، بل بقيت لتكون من أهم استثمارات الاستعمار في منطقتنا الحيوية. وكذلك أطيح بالعثمانية بعد سلسلة من الهزائم تواصلت حتى الحرب العالمية الأولى.

وانتهى الأمر بالمنطقة وهي في غاية الضعف، والإنهاك والتخلف، شعوبا ودولا، بما فيها إيران وتركيا، فتراجع دورها الحضاري حتى صارت أضعف من أن يُحسب لها حساب، فتم توزيعها على الدول المنتصرة في الحرب (اتفاقية سايكس بيكو).. ولولا صعود القطب الشيوعي في مواجهة الغرب الرأسمالي في القرن الماضي، لكان للغرب شأن آخر، أكثر سوءا، مع منطقتنا.

والدليل على صحة هذا الرأي هو حالة الفوضى الدموية وعدم الاستقرار، التي بدأت منذ اليوم الأول بعد سقوط الاتحاد السوفييتي (1989)، وكان العراق النموذج الأول في هذه الحالة (حرب 1991). وتتالى بعدها استهداف الغرب لدول أوروبا الشرقية (يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا)، ولازال العمل مستمرا في المنطقة العربية وجنوب وشرق آسيا ودول أفريقية عديدة. ورغم ما يقال عن أن التاريخ لا يعيد نفسه، إلا أن بالتأكيد هناك من يدرس التاريخ ويستفيد من أحداثه الناجحة، فيرسم مشاريعه الكبرى على النمط التاريخي الذي حقق مصالحه، إن كانت معطيات مشروعه الجديد تتفق مع عناصر ذلك التاريخ.. لذلك لجأت إلى هذه المقدمة بهدف إحياء بعض من ذاكرة التاريخ للمقارنة بين أحداث منطقتنا اليوم وتلك الأحداث التي مضى عليها أكثر من خمسة قرون.

تقع منطقتنا العربية اليوم، ولمرة أخرى، بين رحى جارتينا الإسلاميتين، الصديقتين اللدودتين، إيران وتركيا، ممثلتين عن الإسلام الشيعي والسني، وخلفهما دول وقوى كبرى ومشروع تغيير جيوسياسي خطير لن يحقق إلا المزيد من التفتيت والانقسام والموت والتطاحن.. وهذا التغيير لن يتم إلا على أشلاء ودماء وجثث شعوب المنطقة.

ومن أشد المفارقات التي تعيشها المنطقة اليوم هي العودة للاستثمار البارع في العقائد المذهبية على مبدأ "فرّق تسد"، لرسم الخارطة الجديدة للمنطقة (المواجهة الإيرانية التركية في العراق وسوريا تحت ذرائع مختلفة وأمام أنظار المجتمع الدولي).

لذلك، وعلى سبيل المثال، يصعب إيجاد تفسير للتناقض بين العداء الإيراني–الأميركي في وسائل الإعلام والتحالف الإيراني–الأميركي الاستراتيجي في العراق، حيث أن هناك تنسيقا بين الأولى بحشدها الشعبي وميليشياتها الدموية، والثانية بصواريخها ونفاثاتها، على قتل عرب العراق من البصرة حتى الموصل في مذابح يومية.. كما يصعب فهم العلاقة بين التحالف الإيراني–الأميركي في العراق، والعداء الإيراني–الأميركي في سوريا، على حساب مصالح الشعب العربي السوري. تطورت هذه العداوات والتحالفات على مدار أكثر من أربعة عقود حتى وصلت اليوم إلى عامل مشترك فيما بينها، وهو ذريعة الحرب على الإرهاب عموما، وداعش خصوصا.

وفي الضفة الأخرى هناك عداء تركي ضد النظام السوري وحليفتيه المتمثلتين في إيران وروسيا، بينما هناك علاقات صداقة لدودة تركية–إيرانية، وتحالفات صداقة استراتيجية تركية–روسية تحمي وتساند النظام السوري.. والعامل المشترك فيما بين كل هذا أيضا هو ذريعة الحرب على الإرهاب.

ياترى ألا يعطي هذا المشهد العلائقي السريالي الدموي المعقد فكرة حول أهمية وضرورة وجود الإرهاب في المنطقة؟ في ظل صراع القوى على النظام الدولي الجديد!

وفي جميع الأحوال فإن الإرهاب بجميع مسمّياته لا يفتك إلا بالعرب، من المحيط إلى الخليج.. بينما طهران وواشنطن تعدان الأكثر أمنا والأبعد تأثرا عن هذا الخطر.

أما آخر مستجدات كل هذا فإن هناك:

1) حرب أميركية–إيرانية في الموصل، وهي حرب إبادة طاحنة، وتهجير قسري، للشعب العربي تحت ذريعة ذبح داعش.

2) حرب تركية في شمال العراق بذريعة معاقبة الإرهاب الكردي على أراضيها.

3) حرب أخرى في حلب تخوضها تركيا وروسيا وعشرات الميليشيات، لا يمكن فهم خارطتها، وهي أيضا حرب إبادة وتهجير قسري للشعب العربي بذريعة ذبح داعش.

4) حرب حزب الله التابع لإيران في وادي بردى لتأمين الممر الإيراني من طهران إلى لبنان تحت ذريعة القضاء على داعش في تلك المنطقة الأقرب للحدود الإسرائيلية.

ونكتفي بهذا كي لا تطول القائمة بالحديث عن تقسيم السودان أو أحداث ليبيا واليمن وسيناء وتونس وغيرها. وما بين التعتيم والتهميش الإعلامي على مناطق حروب معينة، وبين التزوير والتضخيم الإعلامي على مناطق حروب أخرى، يتم اليوم ترتيب خارطة جديدة في المنطقة عبر مسلسل تدميري خطير تشترك فيه القوى الكبرى وحلفاؤها في المنطقة.

> ما بين التعتيم والتهميش الإعلامي وبين التزوير والتضخيم الإعلامي يتم اليوم ترتيب خريطة جديدة في المنطقة عبر مسلسل تدميري خطير تشترك فيه القوى الكبرى وحلفاؤها في المنطقة

يؤكد العراقيون أن ما بين محافظة نينوى (الموصل)، متعددة الأعراق والمذاهب والأديان، ومحافظة الأنبار التي تم تحديدها كمنطقة سنية، يعمل الفاعلون على ترسيم حدود الإقليم السني في العراق وجزء من سوريا، كمرحلة أخيرة في مخطط التقسيم الذي أعلنته الإدارة الأميركية لمرات عديدة.. بينما إعلام الحرب في حلب يعرض أقسى وأبشع المشاهد والصور لتوجيه الرأي العام نحو المزيد من الغليان العاطفي والسياسي، والذي يعدّ تعتيما إعلاميا من نوع آخر.

وفي مشهد آخر، وبالتوازي مع إعلان ما يُدعى بـ"تحرير حلب" الذي تم في ظروف غامضة، أعلن العراقيون أن الحزب الإسلامي ("الإخوان المسلمون" العراقي الموالي لتركيا) يعمل بالتحالف مع حزب الدعوة (الموالي لإيران)على إتمام مضمون الإقليم السني باستلام أعضاء الحزب الإسلامي جميع مواقعه القيادية والرئيسية استعدادا للحظة إعلان دويلتهم المذهبية.

بعد هذا الإيجاز للأحداث المأساوية التي تعيشها منطقتنا، في سلسلة "الحروب بالوكالة"، المنافية لجميع قيم الإسلام الإنسانية العادلة، نتساءل: يا ترى مَعَ مَنْ، وضد مَنْ، ولمصلحة مَنْ تحارب الجارتان الإسلاميتان، إيران وتركيا في سوريا والعراق، وفي منطقتنا العربية كلها؟

لربما يتمكن شعبي العربي المشتت في ولاءاته الحزبية المذهبية، ومن يتلاعب الإعلام الغربي الموجه في عقولهم، أن يصل إلى رأي أو قرار يحمي الأمة في أخطر فترات تاريخها اليوم، إن واجه نفسه بهذا السؤال وعرف جوابه!

الإرهاب الأعمى وأيادي الخير في أفغانستان

سالم الكتبي
كاتب من الإمارات

❏ من يريد التعرف على النوايا الحقيقية للإرهاب فعليه أن يتفحص جيدا أهداف العملية الغادرة التي استهدفت الدبلوماسيين الإماراتيين مؤخرا في أفغانستان.

شهداء الواجب الإماراتيون الخمسة الذين اغتالتهم يد آثمة أثناء تأدية واحدة من أنبل المهام الإنسانية، كانوا ضمن بعثة إنسانية تقدم يد العون للشعب الأفغاني، والفقراء والمحتاجين منه على وجه التحديد، وبالتالي لم يعد هناك شك في أن الإرهاب لا يستهدف بناء دول أو الدفاع عن الدين الإسلامي أو غير ذلك من تخرّصات وأكاذيب وأوهام متكررة، بل الهدف الحقيقي هو ضرب القيم الإنسانية في مقتل واغتيال إرادة الخير لدى دول لا تسعى سوى لفعل الخير ونشره في دول يعرف الجميع حجم معاناة شعوبها وفقرائها، الذين غابوا عن ذاكرة العالم في غمرة الانشغال بالصراعات والأزمات المتوالية في مناطق شتى على الخارطة.

اللافت أن دولة الإمارات تكاد تكون من بين دول قلائل لا تزال تتذكر الشعب الأفغاني، وتلزم نفسها بواجبات إنسانية وإغاثية تجاهه، رغم ما تحملته الدولة من معاناة ومشقة في تأدية هذا الواجب، ورغم أنها تدرك مدى الخطر والمجازفة التي يحملها أبناؤها الدبلوماسيون في العمل في مناطق أفغانية لا يعرف عنها سوى الخطر والتهديد الأمني، ولكن يد الغدر الجبانة الآثمة لا تعرف مدى قدسية الرسالة التي يحملها دبلوماسيونا في أفغانستان، لذلك فقد امتدت لتدبّر ضدهم جريمة إرهابية استهدفت حياتهم، لتحول بينهم وبين مساعدة الفقراء والمرضى والمساكين من أبناء هذا الشعب الطيب الشقيق، الذي لا ذنب له في وجود ثلة من الإرهابيين أعداء الإنسانية من أبنائه.

اغتالت يد الإرهاب خمسة من أنبل أبناء الإمارات، الذين ذهبوا بمحض إرادتهم لأداء مهمة إنسانية نبيلة، لأنهم يدركون حجم المعاناة والمرض والكوارث الإنسانية التي يعانيها أبناء الشعب الأفغاني. ولكنّ الإرهابيين لا يدركون معنى الإنسانية ولا يعرفون لها طريقا، لذا فهم يحاربون كل من يعمل في المجال الإنساني، اعتقادا منهم بأنّ من يقدّم يد العون للشعب الأفغاني يعمل في اتجاه مضاد لمصالحهم.

تتبنى الإمارات منذ نحو 15 عاما برنامجا إنسانيا ضخما لإعادة إعمار أفغانستان. ويوم العملية الغادرة كان الوفد الإماراتي في زيارة لمدينة قندهار جنوب أفغانستان، ضمن هذا البرنامج، لوضع حجر الأساس لإنشاء دار خليفة بن زايد آل نهيان في ولاية قندهار، والتوقيع على اتفاقية للمنح الدراسية على نفقة دولة الإمارات، حيث ترتبط الإمارات والشعب الأفغاني بعلاقات قوية منذ عقود طويلة، وهناك الآلاف من أبناء هذا الشعب يشاركون بجدية في عملية التنمية بدولة الإمارات. ولتقدير حجم الاهتمام الإماراتي بدعم الشعب الأفغاني علينا أن نعرف أن حجم المساعدات الإنسانية، التي تقدمها دولة الإمارات لأفغانستان. وطبقا لإحصاءات رسمية، بلغ حجم المساعدات الإنسانية التي قدمتها الإمارات لأفغانستان خلال الفترة من عام 2009 حتى 2012 فقط، نحو 982 مليون درهم، كما دشن الشيخ محمد بن زايد آل نهيان وليّ عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة مبادرة بقيمة 440 مليون درهم إماراتي مساهمة منه في دعم الجهود العالمية لاستئصال مرض شلل الأطفال بحلول عام 2018 مع التركيز بشكل خاص على باكستان وأفغانستان. وفي عام 2011 أعلن الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ومؤسسة بيل وميلندا غيتس عن شراكة استراتيجية تم خلالها تقديم مبلغ إجمالي قدره 367.3 مليون درهم إماراتي مناصفة بين الطرفين لشراء وإيصال اللقاحات الحيوية للأطفال.

وتستهدف مشروعات الإمارات في أفغانستان إنشاء الطرق والمرافق والجامعات والمدارس، حيث افتتحت في مارس 2008 جامعة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بولاية خوست، بتكلفة تبلغ نحو خمسة ملايين دولار، وتضم كليات للطب والهندسة والزراعة والتكنولوجيا والشريعة والقانون والآداب.

الجهود الإماراتية الإنسانية في أفغانستان لا علاقة لها بما يدور سياسيا وعسكريا في هذا البلد، فصندوق أبوظبي للتنمية موجود على أرض أفغانستان منذ عام 1977، وأسهم في إقامة مصانع ومشروعات يصعب حصرها في هذا النطاق الضيق، ما يعني أن الإمارات لا تمتلك أجندة أو مشروعات مصلحية ذات أهداف معينة في هذا البلد، فطيلة تلك الفترة التي توالت على أفغانستان فيها تطورات وحكومات وجماعات وتنظيمات عدة لم تكن الإمارات تركز سوى على انتشال فقراء هذا البلد من واقعهم البائس. ولكن الإرهاب لا يعرف مثل هذه المبادئ ولا يدرك قيمتها الإنسانية، لأنّ الإرهابيين ينعمون بملايين التمويل التي يتلقونها من أطراف الصراع وجراء المتاجرة بالقضايا والمخدرات وغسل الأموال والسلاح وغير ذلك من مصادر تمويل الإرهاب الأعمى، الذي بات مثل الفيروس الخطر الذي يهدد الأمن والاستقرار في عالمنا، ويستحق مزيدا من الاهتمام والتعاون الدولي ليس فقط للقضاء على تنظيماته وجماعاته، بل أيضا ملاحقة كل مروّجي الفكر المتطرف والمتعاطفين معه، وكل من يقدم الدعم بشكل مباشر وغير مباشر لتنظيمات الإرهاب وعناصره في أيّ مكان على ظهر الأرض. ولعل الجميع يدرك الآن أن الإمارات الوفية لمبادئها الإنسانية باتت تدفع أثمانا غالية للالتزام بهذه المبادئ سواء في اليمن أو أفغانستان أو غيرهما من الدول.

❏ وصلت أمس السبت جثامين 4 دبلوماسيين إماراتيين لقوا حتفهم في تفجير استهدف دار ضيافة والي قندهار. وقالت وكالة الأنباء الإماراتية، إن «جثامين شهداء الإنسانية وصلت إلى مطار البطين الخاص في أبوظبي حيث كان عدد من كبار المسؤولين في الاستقبال»، مضيفة أن «اللجنة المتخصصة بتحديد الجثامين لم تتمكن من التوصل إلى جثة الشهيد (الخامس) محمد علي زينل البستكي نظرا لتواجده في مكان التفجير».

رئيس لدين عراقي قديم وحشية داعش سلطت عليه الضوء من جديد

تحسين بيك أمير الإيزيدية العلمانية تضمن حقنا

رشيد الخيون

❑ **لندن** – تعد الدِّيانة الإيزيدية إحدى الدِّيانات القديمة في العراق، ومن أكثر الدِّيانات المختلف في تاريخها، فلَم يتأهل قديماً مَن يكتب تاريخها وفقهها، مِن قبل الإيزيديين أنفسهم، وأول ما واجهتْه هذه الدِّيانة إشكالية الاسم، وقد يقول قائل: الاسم مجرد شكل؟ نقول: لا، الاسم يعبر عن الجوهر وعن العقيدة، فقد دأب المؤرخون والكتاب والمجتمع العراقي على تسميتها باليزيدية، وأول ما يذهب الفكر إلى ارتباطها بيزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الخليفة الأموي الثاني، والمتوفى سنة 64 هجرية، لكن هذا لا أساس له من الصحة، فلو كان للإيزيديين علاقة ما بالأمويين، على أنهم أمويون نسبة إلى أصل الشيخ عدي بن مسافر، المقدس عندهم، والمعروف بأنه من الصوفية، التي أقامت بين الوديان والجبال، فالأجدر أن ينتسبوا لمعاوية نفسه فلماذا لابنه يزيد! أما هم فيرون اسمهم "إيزيدية" نسبة إلى اسم الله "يزدان"، فنحت منها الاسم الإيزيدية بمعنى "الإلهيين".

> المجتمع الإيزيدي ينقسم إلى طبقات، فمنهم الأمراء والشيوخ، والقوالون، والفقراء، والاسم الأخير على ما يبدو من تأثيرات الصوفية المسلمين عليهم، فمكان معبد لالش، حيث المعبد الرئيسي للديانة الإيزيدية في العالم، يقع في واد ذي زرع، وشيد على عين ماء، تعرف بزمزم، والجبال المحيطة به تعرف بعرفات

ينقسم المجتمع الإيزيدي إلى طبقات، منهم الأمراء والشيوخ، والقوالون، والفقراء، والاسم الأخير على ما يبدو من تأثيرات الصوفية المسلمين عليهم، فمكان معبد لالش، حيث المعبد الرئيسي للديانة الإيزيدية في العالم، يقع في واد ذي زرع، وشيّد على عين ماء، تعرف بزمزم، والجبال المحيطة به تعرف بعرفات، وهذا كله من تأثيرات الصوفية مثلما ذكرنا.

وضعت حدود أو حواجز بين الطبقات الاجتماعية، أو التراتبية الاجتماعية، في الزواج مثلاً، أي كل طبقة يُحبذ أن تتزوج بناتها وأولادها من الطبقة نفسها، ولديهم صلة بالأديان المحيطة بما عُرف بالكريف، أي أخوة الدم، وهو عندما يُختن الطفل الإيزيدي يحتضنه مسلم أو مسيحي، من المحيط، فتتشكل أخوّة بينهما، وعلى ما يبدو أن هذا الطقس نشأ لحاجة التضامن الاجتماعي والسلم بين الأديان. كذلك للإيزيدية صوم وصلوات، تبدأ مع شروق الشمس، وأعياد من أهمها عيد الخليقة، ويصادف الأربعاء الأول من شهر أبريل من كل عام، أي مع الربيع، ومعلوم أن يوم الأربعاء هو اليوم المقدس لدى الإيزيدية شأنه شأن الجمعة عند المسلمين والأحد عند المسيحيين والصابئة المندائيين.

يعيش أغلب الإيزيدية في العراق، وهناك منطقتان رئيسيتان لوجودهم: الشيخان، وكانت تابعة لمحافظة الموصل، وهي الآن تابعة لمحافظة أربيل، وسنجار (شنكال بالكردية) وتابعة للموصل أيضاً، وقد شهدت اجتياحاً من أفظع اجتياحات التاريخ، وذلك في أغسطس 2014 عندما دخلتها عصابات داعش وسبت نساءهم وفتياتهم، وقد تعرضن للاغتصاب والزواج القسري بعد تبديل الديانة، والعرض للبيع كجوار، وقد هرب بعضهن وقصصن للعالم ما مرَّ عليهن من اضطهاد ورعب.

تحتفظ الإيزيدية بتقاليد قاسية على المرأة في الزواج، وكذلك في أمر العلاقات الجنسية غير المشروعة، فإذا تزوجت الإيزيدية من خارج الديانة ترفض من قبل ديانتها ولا تعود إليها مهما كان، أي لا تنفع توبة ولا براءة من خطيئة، لكن ماذا ستفعل المشيخة الدينية مع العدد الكبير من الأسيرات الإيزيديات عند داعش، وقد تزوجن وبدلن ديانتهن تحت القوة، واغتصبنَ؟ هناك، وهذا حسب ما ورد، أول قرار ديني إيزيدي يصدره بابا شيخ، مرجع الدين الإيزيدي في العالم الشيخ خرتو حاجي إسماعيل، وأصدر فتوى، إن صحت العبارة، إلى الإيزيديين كافة، أن يستقبلوا الأسيرات بعد تحريرهنّ، ويعاملن معاملة كأن شيئاً لم يكن، لأن ما حدث كان رغماً عنهنّ، ولو تركن لإرادتهنّ ما تزوجن مسلمين، ولا تركن ديانتهنّ، وبالفعل استجاب المجتمع الإيزيدي لمثل تلك الفتوى، إلا البعض مَن سماهم بابا شيخ بالجاهلين.

يقول بابا شيخ في شأن الأسيرات الإيزيديات "لو كانت البنت الإيزيدية قررت لوحدها أن تتزوج من مسلم نعتبرها خرجت من الديانة، ولكن في حالة الإيزيديات اللواتي تم أسرهن وسبيهن من قبل داعش وإجبارهن على تغيير ديانتهن، فهذا لا يستقيم لأنهن لم يخترن ما حصل معهن. وقد اعتبرنا التعدي عليهن وعلى شرفهنّ، تعدّيا على كامل الطائفة الإيزيدية. وعندما عدن كان يجب أن نتقبلهن ولا نحاسبهن على ما ليس لهن ذنب فيه. لقد تعرضت الطائفة الإيزيدية إلى 74 فرمانا (عملية إبادة). ولكن في السابق، لم يكن هناك وسائل اتصال حديثة حتى نتواصل مع الضحايا لنطلب منهم أن يرجعوا. أما الآن فقد اختلف الأمر. في أحد الفرمانات قبل 150 سنة، تم أسر أكثر 1200 بنت إيزيدية وتم توزيعهن على الأمراء العثمانيين وقادة الجيوش ولم يكن للمجتمع الإيزيدي أي اتصال بهن حتى يرجعهم" (من مقابلة أجرتها معه حنان زبيس).

تأتي طبقة الشيوخ بعد طبقة الأمراء، والشيخ يدير الجانب الديني والشرعي للإيزيديين، أما الأمير فهو المسؤول الدنيوي عن المجتمع الإيزيدي.

وللأمير الموجود حالياً قصة مثيرة، كيف وصل إلى الإمارة عن طريق جدته ميان خاتون، التي تولت أمر الوصاية بعد قتل زوجها علي بيك سنة 1913، فأصبحت وصية على ولدها سعيد علي بيك، ولهذه المرأة أيضاً قصة مثيرة، فهي من العراقيات القلائل اللاتي حكمن في مجتمعاتهن، وتصدّرن المجتمع، وكانت مهابة من قبل الرجال، وتتصل بشيوخ القبائل العربية، والحكومة العراقية، وكانت تجالس الرجال وتأمر وتنهى، وتعطي وتمنع، وهناك مَن سمَّى وجودها على رأس الإمارة بعهد ميان خاتون (1956–1913)، أي حتى وفاتها، مع كل هذا كانت لا تقرأ ولا تكتب.

آباء تحسين بيك

ليس هناك، وعلى وجه الخصوص من العراقيين، مَن لا يعرف مضيق وشلال كلي علي بيك، الذي يقع في جبال راوندوز من كردستان العراق، حيث أطلق اسم علي بيك، الجد الثالث للأمير تحسين، على هذا المكان، والمناسبة أنه قتل هناك سنة 1846 وخلفه ولده حسين أميراً، ثم تولى الإمارة ولده علي بيك، ومن بعده سعيد بيك حتى وصلت إلى الأمير تحسين، فهو من أسرة أمراء، تعرضوا للاضطهاد العثماني.

كان القتل جارياً بالإيزيديين، والسبب أنهم على ديانة لم تعترف بها الدولة العثمانية، فلم تكن محسوبة على أهل الذمة، وثانياً لكثرة ما كتب ضدهم، وأكثر مَن كتب كان جاهلاً في ديانتهم، أو متعصباً، فله حكم مسبق فيهم. والثالث وهو العامل المباشر، أنهم كانوا يرفضون التجنيد الإجباري، أو ما عُرف بالنفير العام (السفربرلك)، وذلك لخصوصية ديانتهم، وعدم جواز إطلاع الغرباء على ديانتهم، ويمكن اعتبار تحريم شيوخهم للقراءة والكتابة، لزمن طويل، يتعلق بحماية الدين من تأثيرات المحيط الدينية، التي يُطّلع عليها عبر قراءة كتب الآخرين.

عندما توفي الأمير سعيد بيك سنة 1944، كان عمر نجله تحسين لم يتجاوز الثالثة عشر عاماً، وهذا لا يؤهله أن يُعترف به أميراً على ملته، ولم يسمح له بدخول البرلمان العراقي، كممثل للإيزيديين. لكن سطوة جدته أم أبيه ميان خاتون لدى شيوخ الإيزيدية وبين طبقة الأمراء وكذلك لدى الحكومة العراقية، سهلت له الطريق. فبمقترح من وزير الداخلية العراقي آنذاك رُفع سن الأمير تحسين إلى السن المناسب، فأصبح أميراً وعضواً في البرلمان، وظلت الجدة ميان خاتون وصية عليه تسهّل له الصعاب في مركزه، مع أنه الأصغر من بين عدة إخوة للأمير سعيد، إلا أن الجدة اختارته ودعمته بكل قوة، لأن أمه كانت من طبقة الأمراء، وهذا مهم بالنسبة إلى التراتبية الاجتماعية لدى الإيزيديين.

كانت الجدة على اتصال مع حركة البارزانيين، ومع مصطفى البارزاني شخصياً، لذا نحا الأمير تحسين المنحى نفسه في دعم الحركة البارزانية، في كل عهود الدولة العراقية، وما حصل أن تم أعتقل الأمير سنة 1959 إثر حركة الضابط عبدالوهاب الشواف في الموصل، ومن بعدها تم نفيه إلى جنوب العراق، في العمارة والديوانية، وفرضت عليه الإقامة في بغداد، وبتدخل من مصطفى البارزاني، وكان على علاقة جيدة بالحكم آنذاك أفرج عنه، وظل يدعم الحركة حتى قُبيل مارس 1970، حيث الصلح الذي قام بين السلطة في بغداد والحركة البارزانية في كردستان العراق، ثم عاد ووقف معها حتى هزيمتها في مارس 1975 فتوجه إلى خارج العراق، ودرس اللغات، حتى تمكن من الإنكليزية، ثم عاد إلى كردستان العراق بعد حوادث 1991 وقيام الإدارة الكردية في أربيل والسليمانية.

أكد الأمير تحسين أن الإيزيدية من ناحية القومية كرد، لكن بشرط الحفاظ على اللهجة الكرمانجية فهي لهجة الإيزيديين الاجتماعية والدينية، ولذا مصيرهم مصير الكرد المسلمين، لكنه لا يفرط بالمطالبة بحقوق ديانته، على أنها من الديانات العراقية القديمة. فعندما ظهر منه الموقف مع البارزاني عمدت الحكومة العراقية، العام 1969، إلى اعتبار الإمارة في أسرة أخرى من أمراء الإيزيدية، وفتحوا له مكتباً في بغداد، تحت عنوان "المكتب الأموي"، وهذه إشارة إلى أن الإيزيديين عرب وليسوا كرداً، إلا أن ذلك انتهى بسرعة، فالإمارة بالنسبة للإيزيدية لم تكن مكتسبة أو بالتعيين أو الفرض، إنما لها علاقة بوراثة المنصب. فقد حدثت نزاعات عديدة، في تاريخ هذه الجماعة، ومنها ما حسمته المرأة التي ذكرناها سابقاً، ضد أسرة أخرى كانت أقرب إلى الإمارة أيضاً، مثلها الأمير إسماعيل جول، وأحفاده مازالوا موجودين، ويمكن أن إسماعيل جول هو الوحيد من بين أمراء الإيزيديين الذي أتته الفرصة ليكتب مذكراته، ونشرها له المؤرخ السوري قسطنطين زُريق نحو العام 1934، وأتى فيها على مسألة مهمة، تُعد مفخرة للإيزيديين، وهي حمايتهم للمسيحيين عندما هجم عليهم عساكر الدولة العثمانية، في بدايات الحرب العالمية الأولى.

خرافة عبادة الشيطان

يعتبر عصر الأمير تحسين، حسب ما كتبه إيزيديون، بأنه أفضل فترة للإيزيدية، فقد استطاع أن يوصل صوتهم إلى العالم باللقاء مع بابا الفاتيكان، والدوائر الخارجية، وزاد التعليم داخل الطائفة، وتمت المشاركة لهم في البرلمان المركزي في بغداد وبرلمان كردستان، وحصلوا على مناصب وزارية وإدارية كبيرة، كذلك أخذ المجتمع العراقي والكردي يطلع على تعاليم هذه الديانة، واقتنع الكثيرون بأنهم يعبدون الله ولا صلة لهم بالشيطان، الذي ظل اسمه يطاردهم، وكانت التسمية "عبدة الشيطان" تمت بثقافة عثمانية ضدهم.

بلا شك أن الديمقراطية والعلمانية تضمن حقوق الأقليات عادة، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالديانات والمذاهب، أي الديانة المغايرة للدين السائد، وهذا ما يؤكد عليه الأمير تحسين، على الرغم من أنه أمير ديانة، إلا أن العلمانية هي النظام الأفضل في نظره. فكأنه يقول "العلمانية تضمن حقنا".

لكن ذلك أيضاً مرتبط بالتغيرات في المنطقة، والتضامن الأممي مع الأقليات، فصحيح أن ما فعله داعش كان كارثة على أهل الموصل وفي مقدمتهم الإيزيديين، لكن من جانب آخر خدمت هذه الكارثة الديانة عالمياً، وصار من الصعب تجاهلها. يبلغ الأمير تحسين هذا العام أربعة وثمانين عاماً، وهذا ما يتطلب التفكير في خلافته، في حياته أو بعدها.

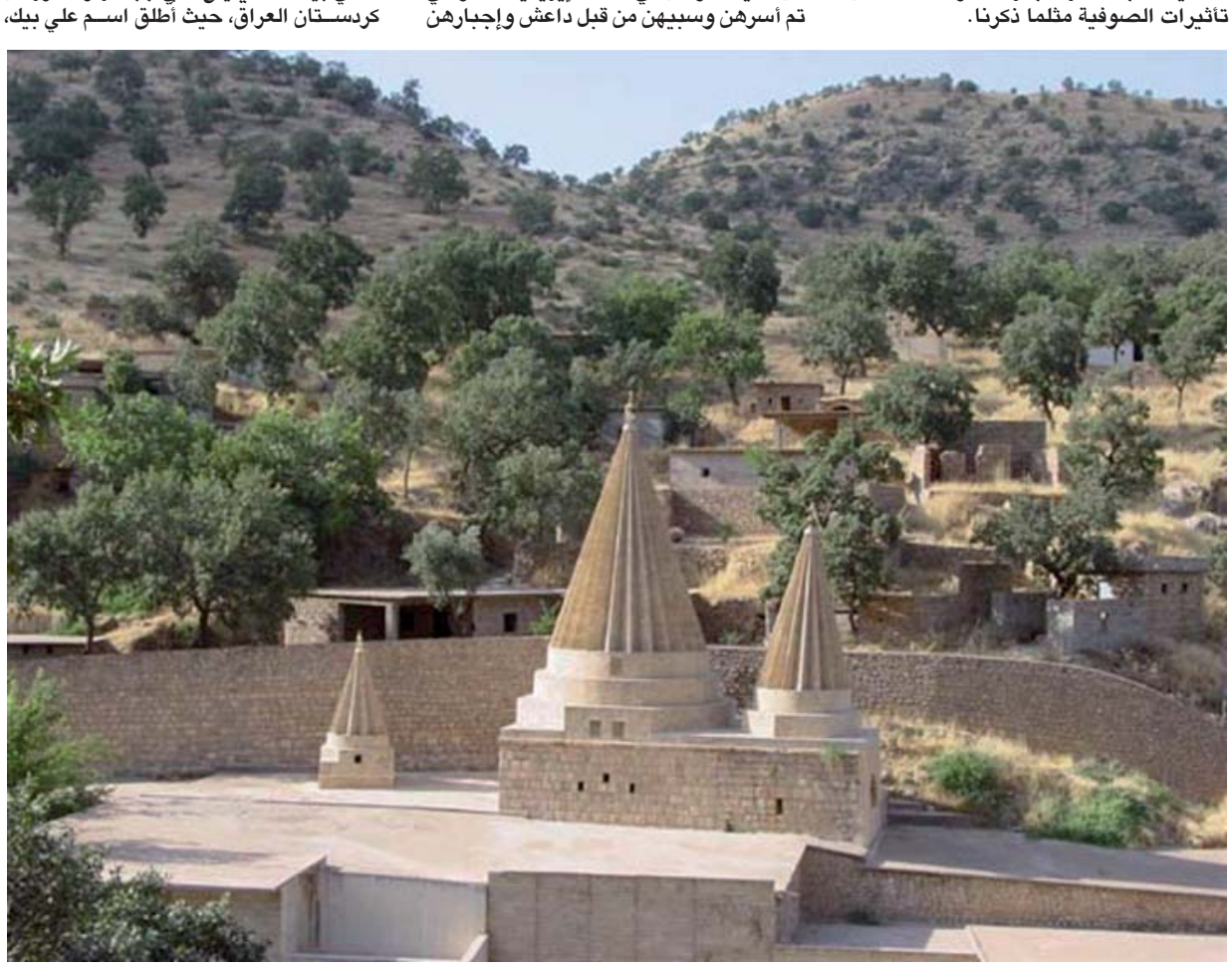

● أغلب الإيزيدية يعيشون في العراق، وهناك منطقتان رئيسيتان لوجودهم: الشيخان، وسنجار (شنكال بالكردية). وقد شهدت اجتياحا من أفظع اجتياحات التاريخ، وذلك في أغسطس 2014 عندما دخلتها عصابات داعش وسبت نساءهم وفتياتهم، وقد تعرضن للاغتصاب والزواج القسري بعد تبديل الديانة.

طراز من الأجيال الجديدة يفرض قانونه على أوروبا

إيمانويل ماكرون
السياسي الأصغر في تاريخ فرنسا الحديث

مزن مرشد

❑ **باريس** – شكل ظاهرة في الحكومة الفرنسية، هو متميز في كل شيء، حقق قفزات نوعية في حياته المهنية والسياسية. إيمانويل ماكرون وزير الاقتصاد المستقيل والمرشح الأحدث لسباق الرئاسة الفرنسي.

بالرغم من أنه درس الفلسفة وأعد أطروحته للتخرج حول فلسفة هيجل والمصلحة العامة، إلا أنه سرعان ما التحق بعدها مباشرة بمعهد العلوم السياسية الفرنسي الشهير في عاصمة النور باريس وفي نفس الفترة التحق بالمعهد الوطني للإدارة، وتخرج منه بتفوق. المعهد الذي يعتبر مولد النخبة المتميزة والمدخل إلى الوظائف العليا في الدولة أو في القطاع الخاص.

> قانون ماكرون قانون سمي باسمه يدعو إلى رفع القيود عن الاقتصاد والتخفيف من وطأة القوانين التي تنظم العمل وشروطه، وكما حصل في كثير من البلدان الأوروبية كبريطانيا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا، فقد دعا الوزير الشاب إلى تسهيل تسريح العمالة من أجل توفير هامش من المناورة لأرباب العمل وتحديد سقف لتعويضات التسريح

مع كل هذا التحصيل الغارق بالفلسفة والإدارة إلا أن ماكرون انغمس سريعاً في عالم الاقتصاد. فالتحق بإدارة التفتيش المالي حيث أمضى ست سنوات، وعمل في مصرف روتشيلد الشهير وهو مصرف أعمال. واستطاع خلال عامين فقط أن يجمع ثروة تقدر بـ2 مليون يورو، وبشهادة مدرائه فإنه لو استمر بالعمل المصرفي لكان أفضل مصرفي في أوروبا كلها ليس في فرنسا فقط.

الرجُل النابغة الذي لم يبلغ الأربعين من عمره بعد، عرفه الفرنسيون مع تولي فرنسوا هولاند لمنصب رئيس الجمهورية، عندما عينه كمساعد لأمين عام قصر الإيليزيه، وأعطاه الكثير من الثقة وأتاح له المجال واسعاً ليثبت مهارته السياسية إلى جانب مهارته الاقتصادية .

من خلال اقتراحه لقانون سمّي باسمه داعيا إلى رفع القيود عن الاقتصاد والتخفيف من وطأة القوانين التي تنظم العمل وشروطه، وكما حصل في كثير من البلدان الأوروبية كبريطانيا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا، دعا الوزير الشاب إلى تسهيل تسريح العمالة من أجل توفير هامش من المناورة لأرباب العمل وتحديد سقف لتعويضات التسريح.

يتيح القانون للمراكز التجارية أن تعمل 12 ساعة أيام الآحاد في المناطق السياحية. إضافة إلى تحرير قطاع المواصلات وخصوصا الحافلات، وإجراء تغييرات على جانب من قوانين الشغل وعلى بعض القطاعات المهنية التي كانت حكرا على بعض المستثمرين، والذي اعتبره من جملة الإصلاحات الاقتصادية التي يرغب من خلالها بالنهوض بالاقتصاد الفرنسي. الأمر الذي أوشك أن يصبح أزمة داخل الحكومة بعد أن قرر رئيسها مانويل فالس تمرير ما سمّي بـ"قانون ماكرون بالقوة"، مستعينا بالمادة 49–3 من الدستور والتي تسمح للحكومة تمرير مرة واحدة في السنة قانونا دون أن يصوت عليه أعضاء الجمعية الوطنية، كما يتوجب القيام به في بلد ديمقراطي .

وتضمن قانون ماكرون جملة من القرارات الاقتصادية الجديدة التي اقترحها وزير الاقتصاد لإعطاء دفعة جديدة للاقتصاد الفرنسي وحلّ مشكلة البطالة .

الأمر الذي جعل الحكومة برمتها مع رئيس الجمهورية في مرمى نيران المعارضة التي رأت في ماكرون تهور الشباب لا الحنكة الاقتصادية. معتبرة أن تمرير القانون عدم احترام للديمقراطية من طرف الحكومة الفرنسية. مشيرة إلى أن الحكومة أصبحت لا تملك الأغلبية في البرلمان وفقدت مصداقيتها في عيون الفرنسيين، وكانت أكثر الانتقادات تأثيراً التي جاءت في تغريدة للرئيس السابق نيكولا ساركوزي في حسابه على تويتر "لا توجد هناك حكومة ولا أغلبية اشتراكية".

ماكرون ضد الجميع

بات واضحاً أن طموح ماكرون أهم بكثير من مبادئه أو توجهاته السياسية. فهو يتخذ في كل مرحلة ما يناسب مصالحه فيها وما يخدم هدفه في تحقيق طموحه وخاصة بعد أن أعلن استقالته من الحزب الاشتراكي الذي انتسب إليه ما بين عام 2006 وحتى 2009 وأسس حركته الحزبية "ماضون قدما" في أبريل الماضي، أي قبل عام واحد فقط من الانتخابات الرئاسية، معلنا أن حركته لا يمينية ولا يسارية محتفظا بطابع خاص يعكس توجهاته ذات النزعة الإصلاحية الليبرالية، والساعية إلى إحداث تغيير جذري في مؤسسات النظام الفرنسية الاقتصادية والمالية والاجتماعية، التي يعتبرها "متهالكة ومتجاوزة"، لكونها نتاج مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

هذه الدعوات جعلته شخصية مقبولة لدى الناخب الفرنسي بالرغم من حداثة عهده بالسياسة، إذا لم يعتد المجتمع الفرنسي على ساسة شباب يخوضون غمار الانتخابات الرئاسية. وعلى ما يبدو بدأت الفكرة تلقى استحسان الفرنسيين إذ يرى 45 بالمئة منهم في ماكرون رئيسا جيدا لفرنسا بحسب استطلاع للرأي أجرته شركة أوديكسا لصالح صحيفة لوباريزيان. وتمثّلت المفارقة الغريبة في كون ماكرون يحظى بشعبية كبيرة في أوساط الناخبين الذين تتجاوز أعمارهم الستين عاماً، الأمر الذي جعل البعض يطلق عليه بسخرية "ماكرون الشاب الذي يجذب إعجاب الشيوخ".

لم يكتف ماكرون بترشحه للرئاسة بل بدأ بحربه على الجميع دفعة واحدة فقد نوّه في تصريح له مؤخرا في حوار له مع أسبوعية لو جورنال دو ديمانش إلى أن الرئيس هولاند لم يذهب بعيدا في الإصلاحات الاقتصادية، قائلا "إذا أردنا أن ننجح وننهض بالاقتصاد، فهذا يتطلب منا تنفيذ إصلاحات اقتصادية بشكل كامل وليس بشكل جزئي. لقد عبّرت عن رفضي للسياسة الاقتصادية المتبعة من قبل الحكومة بهدوء، والرئيس عندما نصبني وزيرا للاقتصاد كان يدرك مسبقا أفكاري وقناعاتي الاقتصادية". انتقد أيضا الرئيس الفرنسي السابق ساركوزي وقاله عنه بأنه "يؤجج الصراعات داخل المجتمع الفرنسي ويغذي الانقسامات بين أبنائه".

ناهيك عن حربه المستمرة مع فالس منذ توليه حقيبة الاقتصاد ومنذ أن لمع نجمه في الإعلام فجاءت ما سميت بالموجة الماكرونية التي دفعته للمواجهة والتي خلقت الحساسية بينه وبين فالس والتي زادت اليوم بسبب التنافس على كرسي الرئاسة.

> نسبة 45 بالمئة من الفرنسيين ترى في ماكرون رئيسا جيدا لفرنسا بحسب استطلاع للرأي أجرته شركة أوديكسا لصالح صحيفة لوباريزيان. وتمثلت المفارقة الغريبة في كون ماكرون يحظى بشعبية كبيرة في أوساط الناخبين الذين تتجاوز أعمارهم الستين عاماً

ماكرون الذي لم يسبق له أن عرف الانتخابات لا المحلية ولا النيابية، يريد أن يراهن على فلسفته الإصلاحية الليبرالية محاولاً إعادة الأمل للفرنسيين رافعاً شعار "التغيير والحداثة ومجاراة العصر والانتقال من حال إلى حال".

صرح دائما مراراً وتكراراً "أريد أن تكون الأفكار التقدمية والمنفتحة حاضرة في الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية لكي يتسنى لنا تغيير وضع بلدنا إلى الأفضل".

فهل تشهد فرنسا فعلاً أصغر رئيس للجمهورية بتاريخها؟ وهل يكون ماكرون هو أمل فرنسا القادم فعلاً؟

في مرمى النيران

ظهرت جليا شخصية ماكرون الليبرالية اقتصاديا والجانحة إلى فلسفة الاقتصاد

● ماكرون النابغة الذي لم يبلغ الأربعين من عمره بعد، يعرفه الفرنسيون مع تعيين فرنسوا هولاند له كمساعد لأمين عام قصر الإيليزيه، ومنحه الكثير من الثقة التي عززها مانويل فالس باختياره ضمن تشكيلة حكومته التكنوقراطية، حين سلمه حقيبة الاقتصاد.

قيادي حوثي منشق كان أول من رفع صور الإيرانيين في صنعاء

علي البخيتي
عاشق الأضواء الذي خسر كل أوراقه

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – حتى العام 2011 لم يكن أحد في اليمن قد سمع بعلي البخيتي عدا القليل من رواد موقع فيسبوك، كان نجمه قد بدأ بالسطوع قبل ذلك بوقت قصير كناشط على مواقع التواصل الاجتماعي التي ساهمت في بروز جيل جديد من الشباب الذين سرعان ما حولتهم الأحداث المتلاحقة التي شهدتها البلاد إلى نجوم بعد انخراط الكثير منهم في الاحتجاجات المتصاعدة ضد الرئيس السابق علي عبدالله صالح والتي حظيت بتغطية إعلامية غير مسبوقة ساهمت في تسليط الضوء على "الثوار الشباب" المطالبين برحيل النظام ومن بينهم الشاب القادم من الظل، التواق للشهرة والمتعطش للأضواء.

> علاقته بالحوثيين ترسخت أكثر في زمن الثورة، فصار البخيتي أحد أعضائهم الفاعلين في صفوفها، وأخذ يقدم لهم العديد من الخدمات في منطقته باعتباره شيخا قبليا، وحول منزله في محافظة ذمار إلى مقر للجماعة الحوثية، وكمكافأة له تم إرساله إلى كل من بيروت وطهران في نهاية العام 2011 حيث تلقى دورات سياسية وإعلامية مكثفة

ولد على ناصر قايد البخيتي عام 1976 في قرية "الملحاء" في بيئة ريفية في منطقة الحداء بمحافظة ذمار جنوب العاصمة صنعاء، بدأ حياته مثل العديد من أبناء منطقته، غير أن ظروفا غير معروفة تسببت في انتقاله إلى مدينة تعز عاصمة الثقافة اليمنية، حيث التحق بمدارس المدينة وحصل فيها على الثانوية العامة في العام 1995، انضم البخيتي كجندي في قوات الأمن المركزي وهو الأمر الذي اشتهر به أبناء منطقته الذين ينتهي المطاف بالكثير منهم في صفوف الجيش أو الأمن، غير أنه لم يستمر لفترة طويلة فقد كان الزي العسكري المموه لا يتسع لطموحات الشاب الصغير الذي بدأ يختلق المشاكل، فترك العسكرية والتحق بكلية الشريعة والقانون بإحدى الجامعات الخاصة وتخرج فيها عام 2005.

المحطة الأبرز في المرحلة الأولى من حياة البخيتي كانت اعتقاله من قبل الأمن السياسي اليمني في يوليو من العام 2008 عندما كان في طريقه إلى محافظة صعدة معقل الحوثيين برفقة صحافي هولندي، غير أنه ظل هو وقبيلته الذين نظموا عدة فعاليات للمطالبة بإطلاق سراحه ينكرون هذه التهمة ويقولون إنه اعتقل بينما كان في طريقه إلى محافظة مأرب (شرق صنعاء) برفقة سائح أجنبي، وإثر وساطات من قبل نافذين من أبناء منطقته تم إطلاق سراحه في 20 ديسمبر بعد ستة شهور قضاها في السجن، وروى تفاصيلها لاحقا في سلسلة حلقات نشرها في صفحته على الفيسبوك، واعترف فيها بأنه كان في طريقه بالفعل إلى صعدة يسبقه فضوله للتعرف عن كثب على جماعة الحوثي التي انضم إليها بعد ذلك.

مثلت احتجاجات العام 2011 الفرصة المواتية للبخيتي للتعبير عن مواهبه الكامنة وتطلعاته السياسية، فانضم لساحة الثورة الشبابية التي خرج منها للشارع اليمني من خلال التصريحات التلفزيونية التي كان أحد نجومها في تلك الفترة، فدأب على تقديم نفسه كقيادي في الثورة.

ترسخت علاقته بالحوثيين والتي بدأت قبل ذلك، فصار أحد أعضائهم الفاعلين في صفوف الثورة، كما قدم لهم العديد من الخدمات في منطقته باعتباره شيخا قبليا حتى ذلك الحين وحوّل منزله في محافظة ذمار إلى مقر للجماعة الحوثية، وكمكافأة له تم إرساله إلى كل من بيروت وطهران في نهاية العام 2011 حيث تلقى دورات سياسية وإعلامية مكثفة من بينها العمل تحت الضغط الاجتماعي الشديد.

تفسر بعض المصادر سبب تعمده، أثناء زيارته لطهران، نشر صور مستفزة من بينها تقبيل صور المرجعيات الإيرانية الخميني وخامنئي واستعراض عملاتٍ إيرانية، ونشر صوره وهو يمارس مهناً يعتبرها بعض اليمنيين معيبة اجتماعيا على اعتبار أن نشر هذه الصورة كان جزءا من التدريب الذي خضع له عل أيدي خبراء إيرانيين. واختتم زياراته تلك برفع صور القادة الإيرانيين، عند استقباله في مطار صنعاء، باعتباره أول من رفع هذه الصور بشكل علني في اليمن. وبرر بعد ذلك بسنوات هذا التصرف بأنه أراد من خلاله كسر حاجز الخوف لدى أعضاء الجماعة الحوثية الذين كانوا يتحرجون من إظهار أيّ ارتباط بالثقافة الإيرانية.

إفشال الحوار وتجميل الميليشيا

في العام 2013 بدأ البخيتي يشق طريقه السريع نحو الشهرة بعد اختياره من قبل الحوثيين ممثلا لهم في مؤتمر الحوار الوطني وناطقا باسمهم في المؤتمر. ويرى العديد من المراقبين أنه لعب دورا سلبيا من خلال إطلاق التصريحات السلبية، والسعي لإفشال الحوار بدءا من الجلسة الافتتاحية التي قام خلالها بمقاطعة رئيس المؤتمر، الرئيس عبدربه منصور هادي، معللا ذلك بالاعتراض على شكر أمين عام الحوار في كلمته للدول الغربية التي رعت مؤتمر الحوار ووجود السفير الأميركي في القاعة.

تكررت المواقف الصاخبة له في كافة مراحل الحوار المختلفة، وكأنه يطبّق ما تعلمه من دورات في بيروت وطهران، وتباينت التفسيرات حول مواقفه وتصريحاته المثيرة للجدل، وذهب البعض إلى أنه كان ينفذ أجندة حوثية تهدف إلى إفشال الحوار الوطني، إلى جانب رغبته الشخصية في البقاء داخل دائرة الضوء.

وشهدت جلسات المؤتمر العشرات من المواقف والانسحابات للبخيتي والتي كانت تتزايد كلما اقترب المؤتمر من نهايته، ومن أبرز المواقف في هذا السياق توجيهه انتقادات لاذعة وصلت إلى التهديد المبطن لأعضاء لجنة صياغة وثيقة الضمانات في مؤتمر الحوار، وقام بنشر قائمة أسماها "قائمة العار" وقد كان من بين أعضاء اللجنة ممثل جماعة الحوثي أحمد شرف الدين الذي تم اغتياله وهو في طريقه للتوقيع على الوثيقة.

الانسحاب من الجماعة

انسحب الحوثيون من مؤتمر الحوار الوطني في جلسته الختامية في يناير 2014 كما كان متوقعا ورفضوا التوقيع على الوثيقة النهائية التي تضمنت مخرجات الحوار.

برر البخيتي ناطقهم الرسمي في المؤتمر، ذلك الموقف في تصريحات صحافية، واعتبر الحوار باطلا ووثائقه غير شرعية. وقد أرضى الدور الكارثي الذي لعبه في إفشال حوار اليمنيين الجناح الراديكالي في الجماعة الحوثية، وتم تعيينه عضوا في مجلسهم السياسي، كما استمر في دوره الإعلامي المبرر للحوثيين وتجميل صورتهم، ولعب دورا بارزا في التغطية الإعلامية على جريمة تهجير آلاف السلفيين من بلدة "دماج" بصعدة، وكل الانتهاكات الحوثية التي تلتها وصولا إلى دخول الميليشيا الحوثية إلى محافظة عمران ونهب وتفجير العديد من الممتلكات العامة والخاصة في طريقها نحو العاصمة.

في سبتمبر من العام 2014 اجتاحت الميليشيا الحوثية العاصمة صنعاء وقامت بنهب مؤسسات الدولة وطالت أيدي الميليشيا منازل المعارضين وممتلكاتهم فيما وصفت بأنها عملية انتقام بدائية لم يعرفها اليمن منذ عقود.

كان البخيتي قد عاد لممارسة مهنة المحاماة التي لم يعمل بها من قبل، ويرى العديد من المتابعين لمسيرته أنه استغل نفوذه في الجماعة الحوثية لحماية مصالح العديد من رجال الأعمال الذين لجأوا إليه. ويقال إنه جمع معظم ثروته في تلك الشهور القليلة من خلال شبكة المصالح الواسعة التي نشرها، قبل أن يصطدم بقيادات ميدانية حوثية رأت أن مصالحه تتعارض مع مصالحها نظرا لاتساع رقعة المصالح التي باتت تحت حمايته وهو ما دفعه للبدء بإطلاق تصريحات نارية ضد مراكز قوى أصيلة في الجماعة الحوثية وعلى رأس من استهدفهم إعلاميا في تلك الفترة عبدالكريم أميرالدين الحوثي عم زعيم الجماعة عبدالملك الحوثي وأحد أكثر القيادات نفوذا.

كانت مواقف البخيتي السابقة ورصيده لدى زعيم الجماعة الحوثية كفيلين بحمايته لفترة من الزمن ولكن بشكل عكسي مع انهيار مصالحه التي اكتسبها خلال الفترة الماضية كمحام في العلن ومظلة حماية في الواقع للعديد من أصحاب رؤوس الأموال الذين لاذوا به بعد دخول الميليشيات صنعاء وشروعها في استهداف ممتلكات من يشتبه في معارضتهم للحركة الحوثية.

مغادرة صنعاء

تزايدت الوشايات ضده لدى عبدالملك الحوثي الذي كان لازال يضفي عليه بعض الرعاية، إضافة إلى رعاية شقيقه الأكبر والقيادي الحوثي البارز محمد البخيتي. لكنه شعر مبكرا مستعينا بموهبته في استشراف المستقبل أن أيامه مع الحوثيين باتت معدودة.

أخذ يمهد لانسحابه الناعم والسلس من خلال إطلاق الكثير من التصريحات الخافتة التي انتقد فيها الحوثيين وممارساتهم في صنعاء، وصولا إلى إعلان استقالته من المجلس السياسي لـ"أنصار الله" في يناير 2015. وهي الاستقالة التي بررها في رسالة مفتوحة لزعيم الجماعة بأنها من أجل "لعب دور آخر يساهم في تمتين اللحمة الوطنية والتخفيف من حدة الاستقطاب السياسي الذي بدأ في التحول إلى استقطاب مناطقي وطائفي وأصبح يهدد الوطن بالتفتت ونسيجه الاجتماعي بالتفسخ". وأضاف في نص استقالته والتي بدا أنها موجهة للمناهضين للجماعة أكثر من مؤيديها "كان رأيكم أن أتريث في إعلان الاستقالة حتى لا تُجيّرها بعض الأطراف ضد حركة أنصار الله خصوصاً وأن الصراع كان في مراحله الأخيرة وكان هناك أمل في الوصول إلى تسوية مع الرئيس وأركان السلطة، ونفذت رغبتكم تلك وأجّلت إعلان الاستقالة، لكن تسارع الأحداث وإعلان استقالة رئيس الجمهورية والحكومة يحتّم عليّ إعلان الاستقالة الآن لأتمكن من العمل من موقعي الجديد"، كما حملت الاستقالة العديد من التبريرات لمواقف البخيتي طوال الفترة الماضية وكأنه يتهيأ لممارسة دور سياسي مختلف في المرحلة المقبلة، مدعيا أن الدور الذي لعبه لصالح الحوثيين كان منطلقا من خلفياته اليسارية والمدنية وانتصارا لما تعرض له الحوثيون من ظلم خلال الحروب الست وليس إيمانا بأفكار ومبادئ الجماعة.

أخذت مواقف البخيتي منحى مختلفا عقب استقالته من جماعة الحوثي، وبدأ ينتقد العديد من قيادات الجماعة بشكل لافت، غير أن تغاضي الحوثيين عنه على غير العادة أثار الكثير من علامات الاستفهام، وقيل حينها إنه ظل على تواصل مع زعيم الجماعة وعدد من أعضاء المجلس السياسي الذين طلبوا منه الوقوف على الحياد والتوقف عن انتقادهم، لكنه رفض ذلك. فقرروا إرسال رسالة أخرى له خشنة هذه المرة، حيث تعرض للاعتداء من قبل نساء حوثيات عندما كان ينفذ مع مجموعة من الناشطين اليمنيين اعتصاما للمطالبة بالكشف عن مصير القيادي الإخواني المعتقل محمد قحطان في سبتمبر 2015.

وصلت الرسالة كما يبدو وأدرك البخيتي أن رصيده استنفد لدى الحوثيين وأن حياته باتت على المحك، فغادر صنعاء بعد أيام قليلة برفقة أسرته نحو العاصمة اللبنانية بيروت ومنها بدأ مرحلة جديدة تحت شعار "صناعة السلام في اليمن"، على الرغم من التهم التي توجه إليه في إفشال مؤتمر الحوار الوطني قبل ذلك بعامين.

ولم يمض الكثير من الوقت قبل أن يستقر مع أسرته في الأردن لتسهيل مهمته الجديدة في لعب دور الوسيط بين الرياض وصنعاء، ويقال إنه حمل العديد من الرسائل من الرئيس السابق غير أن جهوده باءت بالفشل بعد أن خسر الكثير من أوراقه، ففضّل الجلوس لساعات طويلة أمام شاشات الكمبيوتر في منزله بعمان لبث التسجيلات المصورة التي يهاجم فيها الانقلابيين تارة والحكومة الشرعية تارة أخرى.

● البخيتي يدرك أن رصيده لدى الحوثيين قد استنفد، وأن حياته باتت على المحك. لذلك سارع إلى مغادرة صنعاء برفقة أسرته نحو بيروت ثم عمان، ومنها بدأ مرحلة جديدة تحت شعار "صناعة السلام في اليمن". على الرغم من التهم التي توجه إليه بلعب دور بارز في إفشال مؤتمر الحوار الوطني. (البخيتي في ثلاث توقيتات - مع المال الإيراني في طهران - لحظة وصوله مطار صنعاء قادماً من إيران - وممثلاً للحوثيين في الحوار الوطني).

فنان تونسي رسم حياته كما عاشها

عمار فرحات
رسام الحياة اليومية بإيقاع موسيقي

فاروق يوسف

❑ **لندن** – لا يمكن الحديث عن نشأة الرسم الحديث في تونس بمعزل عن الصالون التونسي الذي أسسه فنانون فرنسيون عام 1894. تلك الحقيقة كان لها أكبر الأثر في صياغة الأساليب الفنية التي اتبعها أوائل الرسامين التونسيين، من أمثال الجيلاني عبدالوهاب ويحيى التركي وعبدالعزيز بالرايس وحاتم المكي وعمار فرحات. وكان الهادي الخياشي رسام البلاط وأول تونسي يمارس الرسم في العصر الحديث قد سبق الجميع.

الرسم بعيون غربية

علي بن سالم (1911ـ 2001) كان الاستثناء الوحيد من بينهم من جهة خروجه على القواعد التي أرستها مدرسة تونس، وهي مدرسة، اتبعت في مخالفتها للثقافة التقليدية أثر المفاهيم الاستشراقية.

لقد كان المطلوب أن يرسم التونسيون بلادهم بعيون غربية، مصابة بهوس الاستشراق. عمار فرحات وهو فنان عصامي مجيد لم يخرج على الوصفة الجاهزة، بالرغم من أن رسومه تعد اليوم وثائق صورية مهمة، سجل الفنان من خلالها وقائع الحياة اليومية في تونس.

> تجربة فرحات تشكل ظاهرة فريدة من نوعها لارتباطها بحياة صاحبها التي لم تكن تنبئ بولادة فنان كبير من نوعه. لا لأن فرحات لم يتعلم الرسم أكاديميا وبرز فنانا محترفا وحسب، بل وأيضا لأنه كان الأقرب من بين أفراد مدرسة تونس إلى موضوعاته

كان من الصعب في تلك المرحلة التفريق بين لوحة يرسمها فرنسي وأخرى يرسمها تونسي، ذلك لأن التونسيين الذين تعلموا الرسم بتأثير الحضور الفني الفرنسي لم يغادروا دائرة الرسم الكلاسيكي، الذي كانت أوروبا نفسها قد غادرته في تلك المرحلة.

في إطار الرؤية التعليمية المبسطة كان رواد الرسم في تونس ومنهم عمار فرحات يتحركون، من غير أن يتطلعوا إلى ما كان يحدث في أوروبا من تحولات فنية.

لا يمكن القول إن مدرسة تونس كانت كذبة تاريخية. غير أن التعويل عليها كثيرا قد لا ينفع في فهم سيرة الفن الحديث في تونس.

يمكن لعمار فرحات أن يكون معلما. غير أنه سيكون من الصعب اعتباره صلة وصل بالعصر الحديث. فرسومه لا تغادر المنهج الوصفي الذي استطاع الرسام أن يقدمه بدربة تقنية عالية.

غير أن ما يُحسب لفرحات أنه كان من بين أقرانه الرواد الوحيد الذي جاء إلى الصنعة من غير تحضيرات مدرسية واستطاع أن يقف بكفاءة بينهم.

ولد عمار فرحات عام 1911 بمدينة باجة، شمال غربي تونس. في سن السابعة انتقل إلى تونس العاصمة بحثا عن لقمة العيش وكان يتيما. مبكرا تعرف على موهبته في رسم الصور الشخصية. في سن الخامسة عشرة صار بائعا جوالا، ولم تكن بضاعته سوى الصور التي كان يرسمها لممثلي السينما المصرية. وهنا بالضبط يسجل فرحات سبقا تاريخيا. فهو فنان عصامي، علم نفسه الفن بنفسه ولم يدخل أيّ مدرسة فنية، إضافة إلى قيامه بالترويج التجاري لفنه بطريقة مبتكرة ومن غير الحاجة إلى وسيط.

رسام حياته الشخصية

عام 1937 ظهر لأول مرة رساما معترفا به من قبل الصالون التونسي، حيث عرض لوحتين مائيتين من لوحاته. عام 1940 أقام أول معرض شخصي في مقر جريدة محلية. عام 1949 التحق بمجموعة مدرسة تونس وحصل على الجائزة الأولى للرسم في تونس، وهو ما كرّسه رساما ويسّر له الانتقال إلى باريس، حيث تعرف هناك على الأوساط الفنية ومن ثم عاد إلى تونس ليقضي حياته متفرغا للرسم إلى أن توفي عام 1987.

تشكل تجربة عمار فرحات ظاهرة فريدة من نوعها لارتباطها بحياة صاحبها التي لم تكن تنبئ بولادة فنان كبير من نوعه. لا لأن فرحات لم يتعلم الرسم أكاديميا وبرز فنانا محترفا وحسب بل وأيضا لأنه كان الأقرب من بين أفراد مدرسة تونس إلى موضوعاته التي شكلت محور اهتمام الرسامين الفرنسيين وهم يسعون إلى تسجيل وقائع العيش العادي في تونس.

كان فرحات وهو يرسم أشبه بمن يكتب يومياته صوريا. كانت حياة الفقراء التي صور مفرداتها هي حياته الشخصية، فلم تكن هناك أيّ مسحة استشراقية.

"حكواتي الرسم" تلك الصفة التي يمكن لها أن تختصر طريقته وهو ينشئ تكويناته التي كان يلتقط مفرداتها من الحياة المباشرة. في كل ما رسمه كان فرحات يعالج أجزاء من حكايته، قبل الرسم ومن خلاله. وإذا ما كان قد رسم الفقراء والمتسولين والحشاشين والهامشيين فلأنه كان يمكن أن يكون واحدا منهم كل حياته لولا أن الرسم أنقذه.

كل لوحة منه هي حكاية لا تكتفي بذاتها، فهناك ما يكمّلها موضوعيا وشكليا. كل الحكايات ناقصة. الشعور بالأسى والبؤس والقهر الذي لم يفارق الفنان كان يقف وراء رغبته في أن تمتد سلسلته في الحكايات إلى ما لا نهاية. هناك ما لا يرسم. وهو ما لم يتمكن فرحات بسبب خضوعه لشروط مدرسة تونس الأسلوبية من إدراكه عمليا، بالرغم من أن رسومه كانت تكشف عنه.

مع ذلك فقد حاول أن يكون معاصرا، وبالأخص في مرحلة ذهابه إلى باريس. لقد حدث أن رسم مشاهد من الحياة المعاصرة التي وقعت في مرمى بصره. وقد يبدو مثيرا للدهشة أن تلك المشاهد بدت من خلال رسوم فرحات قريبة من محاولات رسّامي ما بعد الانطباعية الفرنسيين، وهو ما يعني أن الرسام كان حساسا في تأثره بما رآه من رسوم في باريس، بالرغم من التزامه بالوصفة التي وضعها فرنسيّو الصالون التونسي.

وقد يكون نوعا من التكهن القول إنه لو أتيحت له حياة شبيهة بتلك الحياة التي عاشها علي بن سالم في السويد بعيدا عن تونس لرأينا رساما مختلفا، رساما محدثا، يتقدم بالرسم التونسي خطوات، مثلما فعل بن سالم تماما. ما كانت حياة فرحات لتكتمل إلا بسبب حكاياته التي ظلت ناقصة.

الحياة داخل الموسيقى

رسم عمار فرحات الأعراس الشعبية. كان من خلالها قد اهتدى إلى الموسيقيين الذين رسمهم باعتبارهم كائنات منفصلة عن الواقع. تأمّل تلك اللوحات يكشف عن الوجه الخفي لذلك الطفل الذي تعلق بالفن باعتباره صورا وكانت تلك الصورة مصدر رزقه.

موسيقيو فرحات الشعبيون الذين يجوبون الشوارع كانوا يعيدونه إلى فكرته عن الفن الذي يُباع من غير قدرته على الإثارة. شغف فرحات بالموسيقيين كبيرا يذكر بشغفه بممثلي السينما صغيرا. تلك حياة متخيلة وهذه حياة واقعية، ما بين الحياتين يمتد خيط خفي هو الشغف الروحي بشيء يكاد يشبه الوهم هو الفن. ألا يستحق ذلك الوهم أن يهبه المرء كل حياته؟ وهو ما فعله فرحات حين وهب الفن حياته كلها.

في كل رسوم عمار فرحات هناك شيء من الموسيقى. خطوطه اللينة والمنسابة والمنطلقة توحي بالكثير من المرح، بالرغم من أن موضوعاته كانت لا تملك سوى أن تنصاع لقوة السؤال الطبقي. كان فرحات هو ابن ذلك السؤال الاستثنائي في تاريخ الرسم الحديث بتونس.

الحكواتي كان حائرا بموسيقييه. كان موسيقيوه يقفون خارج كل حكاية. إنهم أفراد حكايته الشخصية الذين حولهم إلى مفردات جمالية، لا تزال تهب لوحاته إيقاعا مغايرا. لقد أسر عمار فرحات من خلال موسيقييه جزءًا من الحياة الروحية لشعبه.

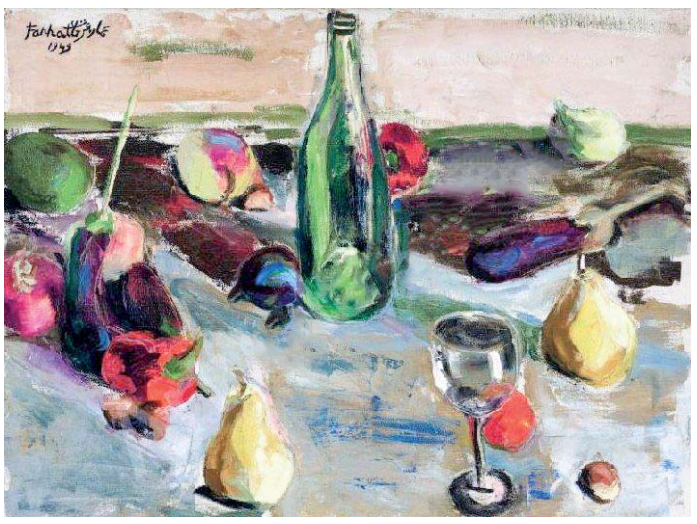

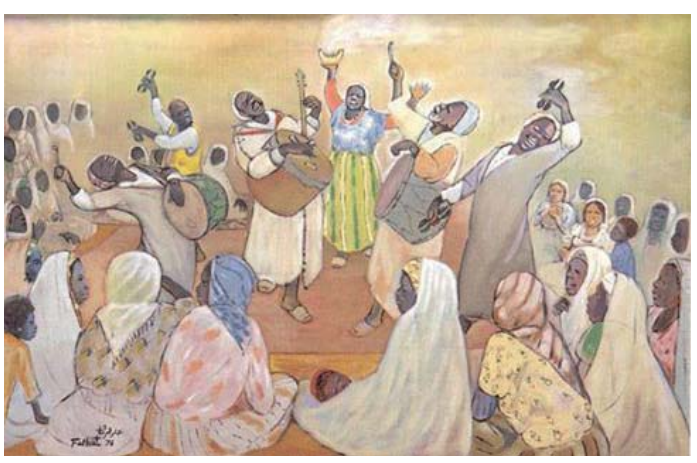

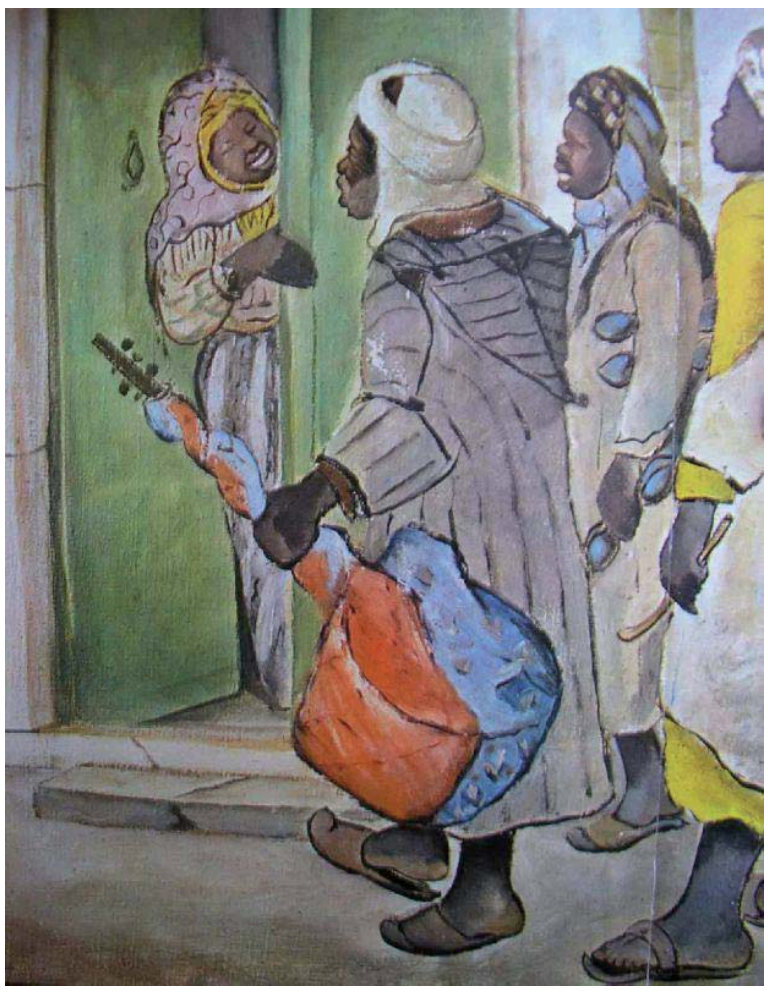

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

كبوة الآباء ونهوض الأبناء

«الجديد» تفتتح عامها الثالث

نوري الجراح
شاعر من سوريا مقيم في لندن

❏ عام جديد يستقبله العرب بمدن تحترق وأخرى تدفع عن نفسها شر الحريق. عام عربي يغص بصور الخروج الكبير من الأوطان وتوديع ملاعب الطفولة في طوابير لا يعرف أصحابها إلى أين يمضون ولا إلى أيّ مصائر ستسلمهم الطريق.

عام عالمي جديد تسوده فوضى التوقعات والتمزق والوقوف على المنعطفات بلا أمل في غد يهدأ فيه جنون العواصف وتسكن معه رياح السموم والشرّ المستطير.

العالم كله في اضطراب، والعرب هم الأكثر اضطراباً وخوفاً من المستقبل وتوجسا مما يضمره الغد لهم ولأجيالهم الجديدة، شعوبا وأفراداً.

لكن هذا العام هو أيضاً عتبة سنة ثالثة، من حياة "الجديد" توسع معه من أفق حضورها، وتشعل به شعلة جديدة في الزمن الثقافي العربي، عازمة على مواصلة مشروعها التنويري في لحظة ظلامية بامتياز. لذلك اخترنا أن نكرّس غلاف هذا العدد وملفه الرئيسي لواحدة من أعقد القضايا التي شغلت الفكر العربي على مدار أكثر من قرن وأكثرها ارتباطا بإشكاليات ثقافية ومجتمعية معقدة وغير قابلة للتبسيط، ونعني بها مكانة المرأة في الثقافة والاجتماع وصوت المرأة في الأدب والمجتمع، وتجليات فكرة الأنوثة والمؤنث في الوعي المجتمعي، وفي الفكر العربي الحديث، وأخيراً، موقع المرأة في القوى الفاعلة والمنفعلة في مجتمع شرقي جرى إخضاعه مراراً لمعطيات ثقافية واقتصادية وعسكرية عالمية قاهرة.

ولئن كنا أفردنا في أعداد سابقة ملفات تناولت عنوان المرأة والأفكار المحيطة به والناجمة عنه في الأدب والفكر عموما، وأدب المرأة خصوصا، فإن نظرتنا إلى هذه القضية بوصفها قضية القضايا، ظلت تشغل حيزا أساسيا من تفكيرنا خلال عملنا على الملفات الفكرية التي تصدت لها "الجديد" في أعدادها المتعاقبة، والتي أردنا لها أن تشكل فضاء حواريا وهامشا نقدياً حراً، ومساحة للسؤال، تشتغل على حلقات من الأفكار والموضوعات الأساسية في الثقافة العربية، لا سيما تلك التي طالما وصفت بأنها شائكة ومسكوت عنها.

انطلاقاً من هذا الاهتمام، اعتبرنا أن من واجبات "الجديد" إتاحة الفرصة تلو الأخرى للسؤال المتصل بصورة المرأة في الأدب، وموقع الفكر من قضاياها المختلفة.

المقالات المنشورة في هذا العدد تحت عنوان "ذكورة وأنوثة" تتناول جملة من الموضوعات والأفكار والصور والحالات التي تظهر في الأدب الذي كتبته المرأة خلال نصف قرن مضى، وهي تستجلي أيضا المصطلحات والمفاهيم والتصوّرات المتصلة بالأدب الذي تنتجه المرأة، وتلك المحيطة بالأفكار التي عصفت بتفكيرها خلال قرن عربي تردّد فيها كثيراً عنوان "تحرّر المرأة" و"تحرير المرأة" وتشاكلت نخبه المثقفة مع ما هو نسائي ونسوي في الأدب والفكر، وكان لزاما عليه التعامل مع الإشكاليات المحيطة والناجمة عن الاضطراب الذي صاحب حركة التحرر النسوية العربية.

على أن حركة الفكر العربي الجديد قصّرت عن تقديم قراءة عميقة لطبيعة استجابة وعي النخب العربية لقضايا المرأة، وطبيعة تفاعل الفكر الثقافي الرائج مع العناوين المتعددة المتصلة بها والناجمة عنها.

في هذا السياق لا بدّ أن أشير هنا إلى المقالة المركّزة للناقد خلدون الشمعة، والتي افتتحنا بها الملف، وقد تناولت، بصورة رئيسية، ما تعرض له مفهوم تحرّر المرأة من تحوّلات في ظل تنامي نزعات مخالفة لتوقها في التحرر، أدّت إلى وقوع المفهوم ضحيّة أصوليات متعددة، دينية وقومية، وأيديولوجية. وإلى هيمنة مرجع أعلى نصي، لاهوتي ويقيني، على الخطاب المتعلق بالمرأة، مهما تنوعت أزياء هذا الخطاب، ومهما أظهرت المرجعيات الراعية له من المرونة أو التشدد نحو حرية المرأة ومفهوم هذه الحرية.

> هيهات لأشباح الماضي، أيا تكن أسلحته فتاكة وجنوده أقوياء أن تنتصر على أشعة النور المرسلة من المستقبل. إنها إشارة لم تعد مبكرة إلى الأجيال الجديدة، الشباب العربي الناهض من جرح الضرورة وكبوة الآباء وقد اختبرته التجارب المؤلمة وامتحنته الوقائع الدامية

وبإزاء نص المرأة والنصوص المعلقة عليه، شارحةً وناقدةً، وكذلك في مواجهة النصوص الثقافية المضادة له، لا بدّ من الإشارة إلى أن "الجديد" تعتبر منبراً مفتوحاً في كل وقت للحوار والسّجال في هذه المسألة وغيرها من المسائل الإشكالية، إن في ملفات أو في مقالات مفردة، وبالتالي لسنا مع هذا الملف بإزاء مجرد مناسبة تحتفي بموضوع لمرة وتكتفي بها من شرّ القتال. وإنما هي حلقة ليس إلا من جملة حلقات تشكل سلسلة مترابطة تسمح بتعدّد وجهات النظر وزواياه وموضوعاته ومستوياته، ودائما انطلاقا من توجه يرى في تمكن المرأة فكرياً وثقافياً جزءا لا يتجزأ من مستويات تمكّنها الأخرى اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. وما تعبيرها عن ذاتها في الكتابة إلا ترجمة لهذا التطلع وخطوة على الطريق الطويلة التي تجتازها المرأة في سعيها الشاق لتحقيق كينونتها الكاملة في المجتمع والتاريخ.

"الجديد" قبل هذا وبعده ستبقى منبراً حراً للسؤال الأدبي والفكري، ومنصّة متقدمة للكتابات العربية المبتكرة والجريئة، لا سيما تلك التي تتمتع بحسّ نقدي وتنطلق من بحث فكري موضوعي يتعارض ويتواجه مع قوى النكوص والرجعة وممثليها من طغاة وظلاميين لم يتوقفوا عن تمجيد الظلام بينما هم يعادون الكلمة الحرة، وإطفاء نور الفكر ومشاعله بينما هم يطفئون في الأجيال عقول أسئلة العقل.

لكن هيهات لأشباح الماضي، أيّا تكن أسلحته فتاكة وجنوده أقوياء أن تنتصر على أشعة النور المرسلة من المستقبل. إنها إشارة لم تعد مبكرة إلى الأجيال الجديدة، الشباب العربي الناهض من جرح الضرورة وكبوة الآباء وقد اختبرته التجارب المؤلمة وامتحنته الوقائع الدامية، وفي عينيه توق لا شفاء منه إلى أنوار المستقبل.

* لوحة: مايسة محمد

بحثا عن لغة جديدة

رسمي أبوعلي
كاتب من فلسطين مقيم في الأردن

❏ مرت ربما أكثر من خمس سنوات منذ أن بدأت الكتابة على الفيسبوك بشكل متواصل، ومن دون توقف تقريبا.

وما جذبني إلى هذا المنبر، ولنسمّه كذلك عدة أسباب: هو منبر حر تستطيع أن تقول فيه ما تشاء تقريبا. وليس فيه رئيس تحرير يطلب منك أن تراعي سياسة الجريدة أو المجلة، وحساسيات ما.

ومعه أنت تكتب وتتلقى رد الفعل على كتابتك فورا من دون انتظار أيام أو أسابيع. أيضا تستطيع أن تكون حرا في استخدام اللغة التي تشاء؛ فصحى أو عامية أو هي خليط بينهما.

هكذا بدا لي الفيسبوك مكانا مثاليا للتعبير الفوري والتلقائي عن نفسي بشكل شامل. مكان لممارسة حرية الكتابة والتعبير وحتى حرية التنكيت والتهريج.

كان هذا من خمس أو ست سنوات عندما كان الفيسبوك لا يزال يعتبر منبرا قليل الشأن خاصا بالتواصل الاجتماعي أو بطقّ الحنك أو مكانا لتضع النساء صورهن للتباهي أو استعراض مهارتهن في الطبخ وكنا نشاهد صورا لأكلات بينها خراف مشوية أو حمامات محشية.

الآن تغير الوضع تماما وأخذت بعض الدول تنتبه إلى خطورة هذا المنبر وتسن القوانين لمعاقبة من يخرجون عمّا تراه محظوراً نشره. وما يمكن أن يكون حضاً على الكراهية أو عملاً من أعمال التحريض. وقد قامت إسرائيل مؤخرا بسن قوانين لحجب مواقع أو معاقبة من تعتبرهم محرضين.

هكذا لم يعد الفيسبوك مكانا لطقّ الحنك، ولكنه بات منبرا يمكن أن يكون ثوريا أو محرضا. ومعروف أن تنظيم داعش استخدمه على نطاق واسع جدا لتجنيد الأعضاء. مع ذلك ورغم ارتفاع مكانة الفيس إلا أن جمهوره وأسمّيهم (الفسابكة) لا يزالون في غالبيتهم العظمى يشبهون جمهور البرنامج الغنائي آراب أيدول؛ جمهور شعبي يميل إلى اللهو والترفيه.

أما المثقفون فمعظمهم يعزفون عن التعاطي مع الفيس باعتباره مكانا لا يليق بمكانتهم. والذين يستخدمونه يفعلون ذلك لترويج كتبهم أو أخبار نشاطاتهم الثقافية.

خلال تجربتي حاولت أن أبلور لغة أخرى للفيس باعتباره منبرا ذا خصوصية. والحقيقة أنه ما كان لي أن أضيف كثيرا على ما فعله روائيون وقاصون، وخاصة أولئك الذين خلطوا العامية بالفصحى.

وأقول بأنني من محبّذي تطعيم الفصحى بقدر محسوب من العامية، لاعتقادي بأن هذا يضفي نكهة ومصداقية على الكتابة. هذا ما فعله روائيون وقاصون مصريون مهمون كيوسف إدريس وخيري شلبي.

لطالما اعتقدت، وفي وقت مبكر، أن الفيسبوك سيكون منبر المستقبل، وقد استغرب كثيرون اعتقادي هذا.

لا أزال أقول ذلك، ولعله بات كذلك بالفعل.

***

كم يلزم المبدعين العرب من الزمن ليستوعبوا الأحداث التراجيدية المروّعة التي حدثت في السنوات الست السابقة ليعبروا عنها إبداعيا، وخاصة الروائيين العرب على اعتبار أن الرواية هي الشكل الأنسب للتعبير عن هكذا أحداث وصفتها بالتراجيدية وهي أقل ما يمكن أن توصف به حيث لم أجد تعبيرا أفضل منه.

> بدا لي الفيسبوك مكانا مثاليا للتعبير الفوري والتلقائي عن نفسي بشكل شامل. مكان لممارسة حرية الكتابة والتعبير

والحقيقة هي أنه ما من إنسان، مهما كانت مخيلته جامحة كان قادرا على أن يتخيل أو يتنبأ، حتى بعُشر ما حدث في سوريا، العراق، ليبيا واليمن. أما تونس فكانت الناجية الوحيدة إلى حد ما.

إذن، كم يلزمنا من السنين وكم رواية يمكن أن تخرج من هذه التراجيديا المروّعة، والتي يمكن مقاربتها مع الأحداث التي وقعت خلال حروب عالمية سابقة.

وهي أحداث لا تزال تقع ولا أظن أن هناك من هو قادر على التنبؤ بنهايتها، رغم ما يقال من أن الأطراف المتطاحنة قد أصابها الإنهاك.

هذه أحداث لا تستنفد فكل لاجئ سوري، مثلا، له روايته التي تستحق أن تروى.

كل طفل سوري أو عراقي أو يمني له رواية تستحق أن تروى أمامنا، إن، منجم من الماسي لن ينفذ ولو بعد مئة عام.

لكن، وعودة إلى السؤال الأول "متى"؟ لا أعرف.

ربما يلزمنا عقد أو عقدان لنتحرر من هذا السؤال.

عطر الورق وميض الشاشات

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ ذات يوم وأنا في تشردي خارج وطني أقمت في بيوت معارف كان أصحابها يتمتعون بإجازاتهم السنوية ويدعونني لأقيم فيها ريثما يعودون، عانيت فترات وحشة مريعة في تلك المنازل التي لا يحتفي ساكنوها بالكتب ولا يمتلكون مكتبات منزلية، فكنت أرى البيت محض جدران بكماء معادية لا تشعرني بالأمان ولا تمنحني إحساسا بالألفة والحنوّ، ويبدو أن تلك العائلات اكتفت بقراءة الكتب الإلكترونية وأزالت كل أثر للمكتبات التقليدية من البيوت، فكان أن عمدت إلى شراء مجموعات من الكتب التي أحب لأنشئ بذرة مكتبة قد تشجع سكان البيت على تنميتها، فعلت ذلك مع بيوت عديدة فتوزعت مكتباتي المرتجلة وكتبي التي أحب في العديد من المنازل التي أقمت فيها.

تبدلت في أيامنا هذه وسائل التواصل والاتصال وغزت التقنية الرقمية حياتنا فتغيرت تبعا لذلك علاقتنا ببعضنا وبالأشياء. ندر التواصل الحقيقي فقد اكتفى معظم الناس بالتواصل الإلكتروني، فقد يسّر الذين يسرت لهم التقنيات الرقمية أمورا كثيرة في إنجاز مهماتهم اليومية ومتطلبات العيش والعمل فحمل مدمنو القراءة مكتباتهم الإلكترونية أينما حلوا أو ترحلوا محملة بآلاف الكتب وما عاد أكثرهم بحاجة لمكتبات تزاحم سكان البيت في الشقق الحديثة الضيقة، لكن عشاق الكتاب الورقي لم يتخلوا بسهولة عن المكتبة والكتاب المطبوع الذي تربطهم به علاقة مادية محسوسة، فهم يحتضنون الكتاب، يشمونه، يلمسونه فينشئون علاقة شخصية جدا معه على الضد من الكتاب الإلكتروني وهشاشة العلاقة العابرة معه فهو لا يمنح تلك الأحاسيس التي ترسّخ القراءة عبر المشاعر والذاكرة.

تغيرت أشياء كثيرة في عالمنا، لكن عشاق الكتب مازالوا يهيمون انسحارا برائحة كتاب ورقي عتيق يعيد لهم ذكريات محددة ارتبطت بقراءته، أو بكتاب جديد ما يزال يضوع بروائح أحبار المطبعة، فهؤلاء العشاق ينتشون بالكلمة المطبوعة والصفحة الصقيلة وتسهم حواسهم في تعزيز متعة القراءة وتحفيز الذاكرة، وهم صامدون إزاء غواية وهيمنة الكتاب الإلكتروني ومعهم جمعيات ومؤسسات تروّج لحماية القراءة الورقية وتسهم في تعزيز شخصانية العلاقة مع الكتاب الورقي لدى الأجيال الجديدة، وتقيم مهرجانات القراءة وحفلات التبرع بالكتب.

أذكر هنا أن المغنية الشهيرة دولي بارتون أطلقت في 1995 مشروعا جديدا ومثيرا أسمته "مكتبة الخيال لدولي بارتون" لتحفيز أطفال العالم على قراءة الكتاب الورقي ومنحهم متعة التخيل والتفكير الإبداعي. واهتم مشروعها بفئات الأطفال العمرية المختلفة وقامت خلال عقدين من الزمان بإرسال ملايين الكتب الورقية إلى الأطفال في مختلف أنحاء العالم ومنحت المتعة والسعادة إلى خمسة وثمانين مليونا و419 طفلا أرسلت لهم القصص المصورة عبر البريد، وتعقب بارتون على مشروعها قائلة "قراءة الكتاب تصنع فرقا في حياتنا".

يعلق الكاتب ألبرتو مانغويل، الذي كرس حياته للكتابة عن المكتبات وتاريخ القراءة، قائلا "لا أظن أن الكتاب الورقي سيختفي يوما طالما قبلنا بتعايش التقنيات، إن فكرة استبدال تقنية ما بتقنية أخرى وأن تبقى وحيدة في الساحة على سطح الكوكب الأرضي هو بالضبط ما لم يحصل من قبل. فلم يتحقق هذا مع تقنيات الرسم والتصوير الفوتوغرافي، ومع الفيلم والمسرح، ومع الفيديو والفيلم السينمائي، ولا أظنها ستحصل مع الكتب الرقمية والكتاب المطبوع".

قبل بضع سنوات أعلن بيل غيتس مالك شركة "مايكروسوفت" أكبر شركة للبرمجيات في عالمنا في دراسة له بأن عصر الكتاب الورقي المطبوع قد انتهى وسيحل الكتاب الإلكتروني محله، ولكنه نشر كتابه الذي يضم هذه النبوءة بشكل كتاب ورقيّ ترجم إلى لغات عديدة وبيعت منه ملايين النسخ وشكل هذا الأمر ردا مفحما على نبوءته ذاتها.

سلافوي جيجك: أكتب بتلقائية مع أنني لا أحب الكتابة

الرأسمالية صارت «عالمية»، وكل بلد يفكر في عزل نفسه سيواجه مشاكل وأزمات

سلافوي جيجك، وُلد وكبر ودرس في العاصمة ليوبليانا. هذه المدينة المعروفة بصخبها الهادئ، المحاطة بانهار وبحيرات وبتاريخ طويل من السِّلم، قضى فيها حياته. مع ذلك، هو لا يحبّ هذه المدينة، بل يمقتها!.. «أنا شخص غير اجتماعي. انطوائي. مثلاً، لم يسبق لي أن زرت القلعة التّاريخية في وسط ليوبليانا. لا أعرف أحياءها كما يجب. ببساطة، لا أحبّ هذه المدينة. أحمل أغوروفوبيا مزمنة. لا أخرج إلى الشّارع إلاّ نادرا. أقضي وقتي في البيت، في القراءة أو في مشاهدة الأخبار أو في تصفّح الإنترنت، ومطالعة الصّحف. الهاتف الجوّال أيضاً يُضايقني. لا أستخدمه سوى في الضرورة». أسأله «لكنك موظّف في قسم الفلسفة، في الجامعة؟». يجيبني «صحيح، ولكنّي أعمل بصفة باحث ولست مُدرّساً. تخيّل أنني لم أضع قدمي في جامعة ليوبليانا منذ ستّ سنوات!». هكذا إذن، يعيش جيجك، ملهم كثير من الحركات الاحتجاجية في العالم، في عزلة اختيارية، ناصبا جدارا بينه وبين الأوساط الفكرية في بلده، وفي أوربا إجمالا، لا يستقبل أحداً في بيته سوى عائلته الصّغيرة وبعض الرّفاق اليساريين القدامى. ويُضيف ساخراً «دانتي لم يكتب عن الجحيم سوى لما زار مغارات بوستونيا في سلوفينيا!». هذه العزلة لا تقطعها سوى سفرياته العلمية إلى الولايات المتحدة الأميركية عادة، وبعض السّفريات السّياحية، إلى ڤيتنام أو سنغافورا أو كوبا. لكن، في الوقت الحالي، هذه السّفريات صارت لا تغريه كثيراً، يقول عن ذلك «في السّابق، كنت أحبّ السّفر مع ابني –هو أيضا دارس جيّد لجاك لاكان مثلي أنا– لاكتشف مدناً، وأهمّ ما أقوم به هو أن أشتري قرصا مضغوطا لموسيقى البلد الذي أزوره، أو أدخل قاعة سينما لمشاهدة فيلم محلي. الآن الموسيقى والأفلام صارت متوافرة على الإنترنت، نيويورك نفسها صارت لا تغريني، العالم بات متشابها ومملاً».

لحظتان حاسمتان صنعتا حياة سلافوي جيجك: اختياره دراسة الفلسفة، وهو مُراهق في السّابعة عشرة، ثم تجربته الفاشلة في السّياسة، التي جعلته يُراجع مسلمات قديمة، ويُفكّر في نقد جديد لليسار التّقليدي. بدأ من تأثّره بالفلسفة الفرنسية، ومن قراءاته للمحلّل النفساني جاك لاكان(1901–1981). لينضم في أواسط العشرينات من عمره إلى الحزب الشّيوعي السّلوفيني، ثم يتعرّف، في أوائل الثمانينات من القرن العشرين، في باريس على جان آلان ميلير (صهر جان لاكان، والمختصّ في فرويد)، ويتمّ دكتوراه ثانية في السّوربون (1986)، ويعود إلى سلوفينيا، برغبة في بعث نقاشات فلسفية جديدة، لكن البلد كان يعيش وقتها تحوّلا جذرياً، فقد استقل عن يوغسلافيا (1991)، وعرف أول انتخابات رئاسية، ترشّح لها سلافوي جيجك، وهو في الثّانية والأربعين من العمر، متحمساً وغير مكتمل النّضج السّياسي، أنتهت بفشله -طبعاً- وقراره الرّاديكالي بعدم ممارسة السّياسة مجدداً، ومقاطعة السّياسة والسّياسيين في بلد الأمّ. العزاء الوحيد له، في تلك الفترة، كان صدور التّرجمة الإنكليزية لكتابه الأوّل «العنصر الأسمى في الأيديولوجيا»، الذي جعل منه اسماً محترماً في الدّوائر الفلسفية الأوروبية، والأميركية، ومرادفاً للجدل. «الجدل» و«إثارة الإشكاليات» هما خاصيتان أنني سيرة جيجك الفلسفية. يقول لنا «البعض يعتبرني مجنوناً ربما أنا كذلك. لكني أعتقد أنني شخص ساذج. أنا أكتب وأتكلم مثلما أفكر. أحياناً أصادف زملاء لي، من مفكّرين أوروبيين، خصوصاً من اليسار، يتّفقون معي في آرائي في الخفاء، لكنهم يحاولون تحذيري من الحديث عنها في العلن!».

يكتب جيجك في موضوعات راهنة كثيرة، يشعر بأنه معنيّ بالخوض فيها: عن العنف والتّسامح، عن نقد الماركسية ومواجهة الرّأسمالية، عن الهويات وما بعد الحداثة، التّطرف والأديان، عن النّساء والحركات النّسوية. كان صديقه المقرب الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز «1925–1995»، والآن يفضّل مصاحبة آلان باديو –(1937).

سلافوي جيجك الفيلسوف والمحلل النّفساني، هو «سينيفيل» بامتياز. يُتابع ما يصدر في دور السّينما، والسّينما العربية أيضاً. أخبرني عن خيبته مما وصلت إليه السّينما المصرية من أفلام تجارية بلا معنى، ثم علّق مبتسماً «لحسن الحظ توجد أم كلثوم التي تُعيدنا إلى مصر». شغّل أغنية «الأطلال»، على الكومبيوتر، من قرص مضغوط اشتراه من رام الله، استمعنا –فقط– إلى مقطع من بدايتها، ثمّ شرعنا في هذا الحوار..

* قلم التحرير

نحن في حاجة إلى أممية مضادة للرأسمالية

سعيد خطيبي
روائي من الجزائر مقيم في سلوفينيا

■ الجديد: في العادة، أنت غزير الكتابة، والإصدارات سنوياً. يحصل أن تصدر ثلاثة كتب، في سنة واحدة. هذا العام، اكتفيت بكتاب واحد، صغير الحجم: «صراع الطبقة الجديد».

● سلافوي جيجك: أنا لا أحبّ الكتابة. رغم ذلك، أجد نفسي أكتب تلقائيا. أكتب في أيّ مكان: في قطار، في فندق، في قاعة محاضرات.. إلخ. في البيت، أجلس هنا في الصّالون (يُشير بإصبعه إلى ركن قصيّ لا توجد فيه سوى طاولة صغيرة، كرسي ولابتوب)، ومنذ بضع سنوات، صرت أكتب ملاحظاتي على الكمبيوتر، دون ورق أو حبر. في الفترة الأخيرة، صارت تواجهني بعض المتاعب الصّحية: السّكري وتسارع نبضات القلب. بدأت أشعر بتعب، يحتّم عليّ التقليل من بعض العادات القديمة.

العالم بعد ترامب

الجديد: قدت في الأشهر الماضية حملة ضد الرّئيس الأميركي المُنتخب -حديثاً- دونالد ترامب؛ وصفته به«الانتهازي البذيء»، وبالرّجل البغيض»، وتأسّفت، في الوقت نفسه، من خيار الطبقات الشّعبية، التي وجدت في ترامب ناطقا باسمها. في الأخير، دونالد ترامب صار رئيسا لأميركا، وتحدّياتك لم تجد صدى لها..

● سلافوي جيجك: في البداية، كنت مفزوعا من فكرة أن يصير دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة الأميركية، واليوم يزداد فزعي من هذا الأمر، أكثر فأكثر. لكن بالمقابل، أنا متفائل من أشياء ثانوية أخرى، لكنها مهمّة. لقد فكّرت بيني وبين نفسي، وامنت بأنه من المهمّ أن يفوز ترامب ويصير رئيساً، لأن هذا الأمر من شأنه أن يشكّل سبباً لإعادة التّفكير في اليسار اليبرالي. رأيي حول ترامب، والذي لم يتغيّر، لم يكن رأيي وحدي، بل كثيرون يُقاسمونني وجهة النّظر ذاتها. لا أريد أن أذكر أسماءهم -الآن- على التّحديد، ولكن العشرات من الأسماء المهمّة من اليسار، قالوا لي في الخفاء «سلافوي، نحن متّفقون معك». ولكن لا يجب أن نقول هذا الكلام في العلن. هذا أمر غريب، لكنه حدث فعلاً.

من وجهة نظري، دونالد ترامب لا يمثّل سوى «أعراض مرض» هيلاري كلينتون. ترامب هو صورة عن الأعراض المرضية والقناعات الخاطئة التي يتمسّك بها اليسار اليبرالي. عادة، إذا لمست رجلا بيضاً، أسمّي الأشياء بمسمياتها، مهما كان رأي مخالفا للغالبية، لهذا كنت صريحا في آرائي الرّافضة لترامب.

فوز ترامب ليس سوى كشف للأعراض المرضية ولضعف ومحدودية اليسار اليبرالي الرّسمي الوسطي. أحيد -دائما- أن أستعيد مقولة الفيلسوف الألماني والتر بنيامين «خلف كل فاشية، هناك ثورة أجهضت»، هذا هو التّناقض الكبير الحاصل اليوم في الغرب بأجمعه. في أميركا، النّاس لا يؤمنون بتغيير قريب، يفضّلون الاستقرار مهما كان، ويفكّرون بأن ترامب يمثّل حالة التّوافق المطلوبة.

■ الجديد: صحوة اليمين في أميركا، وتراجع اليسار، قد يكون لهما انعكاس على أوروبا، بالدّرجة الأولى. في الوقت الحالي، تبدو فرنسا مهيّأة لتصير برنيس يميني، الرّبيع القادم!

● سلافوي جيجك: بالتّأكيد. الآن، المشهد واضح في فرنسا. من المنطقي أن يدور الدّور الثاني من انتخابات الرئاسيات القادمة -ربيع العام -2017 بين مارين لوبان، زعيمة اليمين المتطرّف وفرنسوا فيون، الذي يمثّل -ظاهريا- وسط اليمين. برأيي أن فرنسوا فيون أسوأ من مارين لوبان بكثير. هو كاثوليكي مُحافظ. يُدافع عن قناعات نيوليبرالية على الصّعيد الاقتصادي. هذه الحالة، تذكرني برواية خوسيه ساراموغو «بصيرة»: حيث يصوّت النّاس في مدينة بلا اسم بورقة بيضاء في انتخابات، بسبب عدم رضاهم عن البدائل.

■ الجديد: برأيك أن هذا اليمين التّقليدي، المُحافظ والمعادي للأجانب، الذي استفاد العام الماضي من سوء تسيير ملف اللاجئين في أوروبا، لن يقدّم جديداً؟

● سلافوي جيجك: قطعاً. لن يقدّم شيئاً ملموساً. ما حصل أن اليمين لم يطوّر أدواته ولا خطّطه في العقود الماضية. بل اعتمد طوال الوقت على استغزاز اليسار. زعماء اليمين المتطرّف يُحاولون كسب أصوات انتخابية بإخافة النّاس من موضوعات كالفاشية والعنصرية.. إلخ. ما يُمكن أن أؤكّد عليه فقط أن هذه الوضعية مثيرة فعلاً للحزن، ومخيفة في آن.

في ظل توسّع نفوذ الرّأسمالية الشّمولية، التي تلتهم كلّ ما تمرّ عليه، توجّب اولاً حماية الدّولة، وتوفير استقلالية وسلطة كاملتين لها، لتستطيع الالتزام بدورها وتقديم الخدمات الأساسية للمواطن، مثل الصّحة والتّعليم. إلخ. هذا الأمر الذي كان مُتفقاً عليه في السّابق، بات غير ممكن تماما، لأن الرّأسمالية صارت «عالمية»، وكل بلد يفكّر في عزل نفسه عنها سيصيب لنفسه مشاكل وأزمات.

أمام هذا الوضع المعقّد، أنا لست أدعو إلى أن ننطوي على أنفسنا، بل يجب أن نفكّر في خلق نسخ مُقابلة للقوانين الرّأسمالية، للحدّ قليلاً من سطوتها. هناك دول قامت بالشّيء ذاته، قاومت -إلى حدّ ما- تغوّل الرّاسمالية، مثل ماليزيا أو الصّين. لكن هذا الحلّ سيظلّ ظرفياً، والواجب هو التفكير بجدية في «أممية جديدة»، أممية جديدة من شأنها أن تتقدّمنا. أممية من يسار وسطي. لا يجب أن تتبنّى الموضوع دولة واحدة ولوحدها. كما كان سيحصل ربما في اليونان، وهو خيار كان سيقودها للخروج من الاتّحاد الأوروبي، وبالتالي إلى مزيد من الخسارات الدّاخلية والخارجية. كانت ستدخل اليونان كارثة إنسانية، فهي بلد فقير، يستورد 70 بالمئة من غذائه من الخارج.

■ الجديد: أنت تقترح «أمميّة» تصحّح أخطاء الأممية العمالية اليسارية، أم في قطيعة معها، أم تقترح بديلاً آخر للعولمة، تحت مسمّى «الأمميّة»؟

● سلافوي جيجك: ما اقصده من كلامي هو تأسيس «أمميّة» مضادّة للرّأسمالية الشمولية. أنا أتّفق حول قانون اقتصادي دولي جديد، يضع في أهدافه الحدّ من قوانين الرأسمالية.

■ الجديد: في ظلّ تواصل تغوّل الرّأسمالية، وفشل اليسار في الحدّ -قليلا- من سطوتها، ما هي التّطوّرات التي تتوقّعها في المستقبل القريب؟

● سلافوي جيجك: الشّيء الحاصل الآن، والأكيد، والذي يمكن التنبؤ به من قراءة متأنية لتطوّرات الأحداث هو أننا نقترب فعلا من كارثة جديدة، قد تكون حربا جديدة أو أزمة أخرى، لكنها ستكون هذه المرّة أكثر تعقيدا. سنجد أنفسنا في مواجهة أزمة شاملة. ما يتراءى لي الأفق هو أزمة شديدة، ستتورّط فيها، ستكون أكثر شراسة، ويتبعثر أكثر من صراع الطبقات الذي كان في الماضي. نحن نقول هذا إننا في أزمة دين -في الوقت الحالي- لكن لا احد مستعدّ لتقبل التّعامل مع الوضع. العالم يسير ويفكر تقريباً- بطريقة فوكايامية: بالاتكال على التّقشف وإجراءات لخطية لحل الأزمة. هذه الطريقة لن تحمل حلاً، هي أشبه بالمهدئات، لأن المرض مستمر.

الإسلام وجها لوجه أمام الحداثة

■ الجديد: في كتابك، الصّادر العام الماضي، عقب الاعتداء الإرهابي على صحيفة «شارلي إيبدو»، الذي حمل عنوان: «الإسلام والحداثة»، كتبت، لأوّل مرّة، بشكل موسّع عن الإسلام. على ماذا تبني قراءاتك للإسلام؟ من مجرد متابعة الرّاهن أم من قراءات للنّصوص الأساسية في الإسلام؟

● سلافوي جيجك: بطبيعة الحال، أنا أتابع جيداً ما يحدث في العالم الإسلامي. لي أصدقاء في دولة مسلمة، أتناقش معهم. من حين إلى آخر، واستمع لآرائهم فيما يتعلّق بالإسلام وبراهن الدّول الإسلامية. وأيضاً، أقرأ كلّ ما يتعلّق بالإسلام، مما كتبه مسلمون أو غير مسلمين، ربما ستتفاجأ لو قلت لك إنّ واحداً من الكتب التي قرأتها باهتمام -في الفترة الأخيرة- هو كتاب لسيد قطب. قرأت له كتاب «معالم في الطريق»، كما قرأت القرآن بالطبع. ومهتمّ بقراءة نصوص تحليلية عن الإسلام، مثلاً ما يكتب الفيلسوف التّونسي فتحي بن سلامة.

بالعودة إلى كتابي «الإسلام والحداثة»، يهمّني أن أوضّح بعض الأشياء. أنا لا أستسيغ هذه المواجهة المفتوحة بين الشّرق والغرب. هناك تعارض رهيب بين الشّرق والغرب. وما هو واجب علينا هو ابتكار تواصل بينهما. لا أريد أن أكرّر الكلام الذي يقوله الجميع بأن الإسلام كان جدّ متسامح؟!.. في القرن الثامن عشر مثلاً، كان الأوروبيون مندهشين من التّسامح الذي وجدوه عند المسلمين في تركيا وفي المنطقة العربية. كان الجميع هناك يعيش في سلم: يهود ومسيحيون ومسلمون وغيرهم. هل تعلم أن دوتي بوكمان، الذي قاد ثورة الزّنوج في هايتي عام 1791، لتأسيس أول دولة زنوج حرّة في العالم، كان يقرأ القرآن؟! كان القرآن كتابه المفضّل.

ما يُعجبني في الإسلام، وأقرّ به: هو أنّه ليس ديناً عائلياً، ليس ديناً تراثياً، بل هو دين للمحرومين. محمد نفسه عاش يتيماً. هناك من يعتقد أن مفهوم «الأمّة» في الإسلام يطرح فكرة شمولية. كلا، فكرة «الأمة» هي فكرة جدّ مهمّة، تعني أن نشكّل فضاءً اجتماعياً، دون مرجعية عائلية واحدة، بعيداً عن التّقاليد الملكية القديمة التراتبية.

شخصياً، واحد من مرجعياتي النظرية المهمّة هو ملكوم إكس، الذي اعتنق الإسلام، بعدما أعاد اكتشاف فكرة الأمّة. هو لم يضيّع وقتاً في البحث في تاريخ أصوله وأصول أقرانه الأفريقية، فهم أن البيض قد قطعوهم عن ماضيهم، لذلك، ربما ستتفاجأ له في فكرة الأمة، باعتبارها مفهوماً جامعاً.

أتّفق أحياناً مع جان كلود ميلنار -الذي له قناعات مُعادية للإسلام- حين يقول إنه يجب على الليبراليين ألاّ يُعاملوا العرب والمسلمين واللاجئين خصوصاً كضحايا سلبيين! حتى داعش، وما تقوم به، هي ليست سوى ردّة فعل. لا بدّ ألاّ ننسى أنه إلى غاية السّبعينات من القرن الماضي، كان يوجد يسار عربي جدّ قوي، لائكي ومسلم. الشيء المحزن اليوم في البلدين اللذين هما بصدد التغيير أو الاختفاء: العراق وسوريا، أنهما كانتا من أهمّ الدّول اللائكية. طارق عزيز، وزير خارجية صدام حسين كان مسيحياً، وكان يوجد تسامح مع الاختلاف. هذه هي المفارقة السّياسية التراجيدية، التّدخل الأميركي في العراق حطّم أشياء كثيرة مهمّة.

■ الجديد: هذا الإسلام «المُتسامح» إلى غاية أزمنة حديثة، تغيّر كثيراً، صار عنيفاً، ويُروّج للجهادية، ليس فقط الجهادية في أرض الإسلام، بل أيضا في أميركا وأوروبا..

● سلافوي جيجك: الإسلام دين سياسي بامتياز. لم يكن، في تاريخه، دينا شبيها بالدّيانات الأخرى، لم يعزل السّياسة في إطار خاص. اعتقد أن الشّيء المهمّ في الحديث عن الجهادية، هو ما يذهب إليه الآن باديو، واتّفق معه في وجهة النّظر: الجهادية ليست ظاهرة قديمة من التّقليد الإسلامي ولا علاقة لها بالماضي، هي ظاهرة عصرية، ردّة فعل عن العولمة الرأسمالية. لنأخذ مثالا من الدّولة الإسلامية في العراق والشّام، أو ما يُصطلح على تسميتها «داعش»، هي نموذج عن ردّة فعل. المضمون الدّيني في الداخل ليس سوى قناع. قناع يحجب رؤية سياسية رعناء مابعد حداثية. وهي ما يمثل جانب «البيزنس» في الدّولة الإسلامية. مهما اتّفقت دول غربية على محاربة داعش، لا بدّ أن نستوعب أنها ليست من التّقاليد الإسلامية، أو غير مسلمين. ربما ستتفاجأ لو قلت لك إنّ أيضا على أن الإرهاب والأصولية ظاهرتان عالميتان. في الولايات المتحدة الأميركية، مكتب التّحقيقات الفيدرالي «اف. بي. آي» يُراقب حوالي 2 مليون شخص باعتبارهم يشكّلون خطراً على الحياة العامة، 2 مليون أصولي مسيحي.

بالنّظر للكمّ الهائل من التّنظيرات الجديدة حول الإسلام في الغرب، أتحسّس أن هناك توجّها نحو إعادة قراءة الثّقافتين الإسلامية والعربية، وإعادة تحليل النّصوص الأساسية لفهم أسباب العنف. هذا خطأ. سنجد العنف نفسه في أديان أخرى، لا يوجد دين صافٍ، بما في ذلك البوذية، التي يروّج البعض لها باعتبارها دين تسامح! في البوذية أيضا سلوكات عنيفة، في سريلانكا، في تايلاند، في نيبال.. إلخ.

السّؤال الجوهري ليس عن الإسلام وعن مصادر العنف فيه، بل السؤال يتوجّه نحو فهم مادا يوجد في الرّأسمالية الشّمولية وتحليل حالاتها المرضية التي تدفع بالنّاس لتبني خيارات أصولية. لنأخذ حالة فرنسا، حيث كثر الحديث عن التطرّف الإسلامي. سنجد أن غالبية الشّباب الذي يتبنّى الفكر الجهادي هم من الجيلين الثّاني أو الثّالث من المهاجرين. من جيلين كان أباؤهم مندمجين في المجتمع الفرنسي. والأبناء وُلدوا وكبروا في فرنسا، إذن المشكلة ليست في عدم قدرتهم على الاندماج مع مجتمع أوروبي.

الآن بادبو اصدر هذا العام كتابا يعنون «الحياة الواقعية»، حيث يصف بشكل جيّد ما يحصل اليوم. تشهد أزمة للعائلة البطريركية في الغرب. لست مناصراً للبطريركية، لكن الشّيء الجيد والأسوء، كما يعبّر عنه باديو، أن الرّجل في العائلي يُبارد للفعل في الحياة: تعليم، خدمة عسكرية، العمل، تشكيل عائلة.. إلخ. هذه المبادرات بدأت في التّقلص. الخدمة العسكرية الإجبارية انتهت، التّعليم متذبذب.. هذه الأزمة شكّلت سوء فهم، والنّساء صرن أكثر نضجاً. تجد أن من يحمل دبلوم ويشغل مناصب عالية هنّ البنات، العامّة. الغرب يتدخّل كثيراً، بشكل مبالغ فيه، في دول عربية، وعالمثالثية. لاحظ ما يحصل في حلب. في سوريا عموماً، هي حرب مفتوحة على كلّ القوى.

■ الجديد: كسبت خصوماً جددا لك، حين طرحت مفهوم «عسكرة اللاجئين»، وهو مصطلح أثار جدلا وما يزال، تحوّل إلى سوء فهم. ماذا كنت تقصد من هذا المفهوم تحديدا؟

● سلافوي جيجك: لم اقصد من مفهوم «عسكرة اللاجئين» أن نستخدم العسكر لحماية حدود أوروبا، كما فهم البعض. طريقة التّعامل مع ملف اللاجئين كانت كارثة. كانت الشّاشات تتناقل صورا ولقطات لمئات الآلاف من الأشخاص وهم يعبرون حدود دول أوروبية، بطريقة فوضوية. وهو ما استغله اليمين ليكسب نقاط إضافية له في العمليات الانتخابية. من جهتي، كنت أدعو إلى تدخّل العسكر لتنظيم حركة اللاجئين، ووضع سبل من شأنها أن تسهّل عملية تنقلهم.

من الواجب التفكير بجدية في تأسيس «أممية جديدة»

التسامح بين الثقافات هو أن نتقبل الآخر دون أن نحبه بالضرورة

ونجد بعضا منهن في منصب رئيس أو وزير أوّل، هذا التّحول ليس سوى جزء من صناعة رأسمالية خالصة. الرّأسمالية تستخدم خاصياتها الأنثوية بغرض تحقيق أهداف سياسية. كما لو أن السّلطة الرّأسمالية توزّع الخدمات والأدوار على النساء لتحقّق مكاسب لها من وراثهن.

غزو اللاجئين للدول الاستعمارية

■ الجديد: أثرت جدلاً، هذا العام، بأحاديثك في موضوع اللاجئين في أوروبا.. ألا تعتبر أن هذا اللجوء، ليس سوى نتيجة «متأخّرة» من نتائج الاستعمار الأوروبي، في العالم الثالث عموما، والدّول العربية تحديدا؟ يبدو أن المستعمرين القدامى تبرؤوا من واجبهم أمام الوافدين من المستعمرات القديمة..

● سلافوي جيجك: صحيح. اتّفق مع قولك. هي أيضا ظاهرة ناتجة عن تحوّل ما حصل، طبعاً، لا يوجد الآن استعمار مباشر، بل هناك استعمار اقتصادي أرعن وطائش، في العالم الثّالث. النّموذج الأمثل عن كلامي هو دولة الكونغو الديمقراطية. هي دولة ظاهرياً، لكن في الدّاخل لا توجد دولة بمعنى الكلمة. بلد يعيش في ظل فقر وحكم الجماعات المسلّحة. ذلك، لأن الكونغو الديمقراطية موزّعة كليّة في السّوق الاقتصادية العالمية: فهي تتوافر على إمكانات زراعية، وعلى مواد باطنية مهمّة، مثل الألماس، الذّهب والنّحاس والبترول. وهذا الوضع قد نجد شبها له في أمكنة كثيرة أخرى.

> الدولة الإسلامية في العراق والشام، أو ما يصطلح على تسميتها بـ«داعش»، هي نموذج عن ردة فعل. المضمون الديني في الداخل ليس سوى قناع. قناع يحجب رؤية سياسية رعناء مابعد حداثية. وهي ما يمثل جانب «البيزنس» في الدولة الإسلامية.

■ الجديد: أنت تبرّئ التّاريخ الإسلامي، وما حصل فيه من فظاعات في الماضي، مما يحدث من عنف باسم الإسلام اليوم؟

● سلافوي جيجك: برأيي، لسنا ينفعنا البحث عن أسباب الأصولية، في الدّول العربية، في القرآن، ولا في النّصوص التي تلته. سنجد في كل الأديان وفي كل الكتب السّماوية عنفاً مماثلاً. الأزمة الحقيقة هي في الرّأسمالية الشّمولية، هذا هو حقل البحث الأساسي للتحليل النّفسي.

■ الجديد: تبدو كما لو أنّك تقول إنه من اللاّزم عدم التّخلي عن النّموذج البطريركي، والدّفاع عنه..

● سلافوي جيجك: نعم. النّساء اليوم يشغلن مناصب عليا في المجتمع وفي السّلطة، من موظفات سامات إلى مديرات

الأدب والمسرح

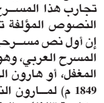

عواد علي
كاتب من العراق

لـ "التكييف"، بمعنى المواءمة، أو تحويل نوع أدبي أو فني إلى نوع آخر، مثل تحويل رواية أو حكاية أو قصيدة إلى نص مسرحي، شكل من أشكال الكتابة يطال كل الفنون والآداب. وقد شاع في العصر الحديث مع تداخل الفنون وزوال الحدود بين الأجناس الأدبية والفنية. أما تاريخ ظهور "التكييف" فإنه قديم قدم الإبداع، كما يتمثل في تكييف كتّاب المسرح الإغريقي ملاحم هوميروس إلى مسرحيات، رغم أن التعبير لم يظهر إلاّ حديثا. وهو يُعدّ إعادة إنتاج، حسب نظرية التناص، لأن الأول قالب آخر للنص الثاني السابق عليه أو المعاصر له، أو أنه امتصاص وتحويل وتشرّب للنص الثاني، بتعبير جوليا كرستيفا، وقد جرى تحويله من فضائه السردي إلى فضاء حواري درامي، أو ربما إيمائي أو حركي أو راقص، عبر اشتغال دراماتورجي، يقوم على الفعل الآني المباشر للشخصيات من دون وسيط أو سارد، ويحيا حياة أخرى، بتعبير جيرار جينيت.

إن التكييف النّاجح والماهر لأيّ رواية إلى نص مسرحي، في رأيي، ومن خلال تجربتي في تكييف عملين روائيين، ينبغي أن يشعرنا بانقطاع حبل السرّة بينهما (الرواية والنص المسرحي)، على مستوى البناء الفني. فلا نعود نقرأ النص، أو نشاهده مُخرجا على الخشبة، وذهننا منصرف إلى الرواية، إن كنا قد قرأناها، لأن ذلك يفسد جمالية التلقي. لكن في حال القراءة النقدية للنص أو العرض لا بدّ من إجراء مقارنة، على الصعيدين البنائي والدلالي، بين الخطابين، المكيّف والمكيّف عنه، أو مرجعيته، أو البحث في العلاقة الحوارية الناشئة بين النّصّ اللاحق والنصّ السابق، بتعبير تودوروف.

تشكّل النصوص المسرحية المكيّفة عن نصوص سردية، في المسرح العربي، منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، نسبة كبيرة من تجارب هذا المسرح تكاد تفوق نسبة النصوص المؤلفة تأليفاً خالصاً. بل إن أول نص مسرحي يؤرّخ به لبداية المسرح العربي، وهو نص "أبو الحسن المغفل، أو هارون الرشيد" (أواخر عام 1849 م) لمارون النقاش مكيّف عن حكاية "النائم واليقظان" التي ترويها شهرزاد في الليلة الثالثة والخمسين بعد المئة من ألف ليلة وليلة. ومثل النقاش كيّف أبو خليل القباني الحكاية التي ترويها شهرزاد، في الليلة الثانية والخمسين، عن الجارية "قوت القلوب" في قصر هارون الرشيد إلى نص مسرحي بعنوان "هارون الرشيد مع الأمير غانم بن أيوب وقوت القلوب". وكذلك الحكاية التي ترويها في الليلة الخامسة والأربعين إلى نص بعنوان "أنس الجليس مع هارون الرشيد". ثم جاء حشد هذين الرائدين عشرات الكتّاب المسرحيين العرب، فكيّفوا أو اقتبسوا مسرحيات كثيرة عن نصوص حكائية أو روائية أو ملحمية أو سير شعبية من التراث العربي أو العرامي أو الشرقي.

تحتاج عملية تكييف النصوص الروائية إلى نصوص مسرحية إلى معرفة عميقة بالخشبة وخصائصها واشتراطاتها، وتكمن أهميتها، لكلا النوعين الإبداعيين، في أنها تسهم في تقريب الفن الروائي، الذي يشهد انفجارا إنتاجيا في العالم، إلى شرائح اجتماعية غير معنية، أو قليلة العناية به، وتؤدي دورا في الترويج له، فضلا عمّا تشكله العوالم الروائية من مصدر إثراء للمسرح، بما تنطوي عليه من أحداث وشخصيات ورؤى وهواجس إنسانية، فردية وجمعية، شديدة الالتصاق بالواقع والحياة. لكن بالرغم من ذلك، تشكل عملية التكييف إساءة للفن الروائي إذا تصدى لها أشخاص طارئون يفتقرون إلى الموهبة أو الكفاءة المسرحية العالية، لأنهم قد يشوّهون الروايات التي يكيّفونها، ومن ثم يمكن القول إن هذه العملية سلاح ذو حدين.

عبقرية النذالة

ياسين عدنان وروايته المغامرة «هوت ماروك»

شرف الدين ماجدولين
كاتب مغربي

❏ تبنى الروايات عادة باستعارات مضيئة، لا تلبث، أن ترتوي وتنمو وتكتسب أجسادا، وتتنقل بين فضاءات وأوقات منسية، تونع كنيازك لتضيء العابر والساكن في تلافيف الروح، وتتكثف عبر نثر بصير قادر على القبض والبسط، وترك التفاصيل تتداعى دون حد، ثم لملمتها كحبات ضوء في شريط حي.

على هذا المنوال بنيت محكية "هوت ماروك" لياسين عدنانِ (منشورات الفنك، الدار البيضاء، 2016) مستلة استعارة "القرين" من معتقد قديم، لتطريز مفارقات مجتمع ومدينة وحداثة معطوبة، حشد فيها الكاتب كل براعاته الشعرية والقصصية، ورصيده من منبت مسكون بالدعابة لإنجاز نص مرح عن النذالة البشرية.

تحكي الرواية مسار "رحال لعوينة" الشخص/السنجاب، فرد ملتبس وغير نمطي، وقلق ومثير للخيال، تصب في صورته روافد مزرية شتى، تفقده الكنه الإيجابي، لكن دون أن تحوله لشرير بسيط، يتمثل بالأحرى كمركب عاطفي وظيفي لتناقض الشر وعبثيته، لهذا فهو يشخص في الرواية صورة جميلة للنذل، أيمكن أن يكون النذل جميلا؟ ربما، فهي المعادلة ذاتها التي تجعل للشر أزهارا (عند بودلير)، لنقل إنه "نذل خاص" لا يحقد على الآخرين، ويتأمل وجودهم دون ضغينة، ويأسف أحيانا لنزوعات النهش والقطم والجندلة، التي تنتابه بالرغم عنه، بيد أن الشيء المؤكد أن ما يركبه إحساس غير نزيه يتجسد في الرواية عبر صور "المغص" الذي يطحن الأحشاء بإزاء كل النجاحات العابرة للأهل والخلان والبشرية جمعاء؛ النذل في النهاية نتاج محيط ومسار حياتي وقيم اجتماعية ترخي بظلالها على الطبائع والأهواء، وجغرافيا معقدة من الخصاصة والصراع البدائي للبقاء بين الناس، هل يمكن أن نتحدث عن عبقرية للنذالة، يبدو الاستعمال مرتبكا ومازحا إلى حدّ ما، لكنه يضمر بعض ما يسعى إليه الروائي، فنحن أمام عجن لشظايا الهشاشة الطبعية والجبن المتأصل، والتملص من أيّ التزام أخلاقي لربح موطئ قدم على هذه الحياة، هذا المسار الذي حولته الرواية المستندة إلى الالتباس واللّغزية والتمدد الأفقي المتوتّر، إلى قيمة روائية ذات عمق شيطاني محبب.

يضعنا الكاتب، منذ الوهلة الأولى أمام لعبة مماثلة تستهوي القارئ، وتجعله يتمادى في تصديق الأحداث المتداعية بنفس مشوّق، لحياة صغيرة للبطل صاحب العين الحسية المضاعفة والمتشعبة، القادم من وسط هامشي لأب عاطل يعيش على تلاوة القرآن في المقابر، وأمّ تنتظر ما يدخله عليها من كفاف يومي، استطاع أن يرتقي في مراتب الفاقة والحرمان بعد انتقال الأسرة للسكن مع العم الأعزب، في حيّ بالمدينة القديمة، وهناك ناضل الولد لاستكمال دراساته الجامعية، حيث يتعرف على النضال الطلابي بفصائله اليسارية والإسلامية، الثورية والإصلاحية، الشرعية والمحظورة، قبل أن يستقر به الحال متزوجا من زميلته "حسنية"، ومشرفا على محل للإنترنت في حيّ مراكشي شعبي.

هذه هي الحكاية الإطار التي خططها الروائي لتحقيق مآربه الروائية، تتصل فيما بينها في الارتكاز على استعارة "القرين" وتخييلها لعبقرية النذالة، تبدأ بالمماثلة الرمزية وتنتهي بالتجاور الفضائي مرورا بالتحاكي الاسمي والكلامي بين الواقع والافتراض.

ويتصل أول هذه المآرب بآلية التخييل، وبلاغة النوع الروائي، حيث يلتجئ الكاتب إلى توظيف "الأمثولة الحيوانية"؛ ليس بوصفها نسقا رمزيا، تنوب فيه أصناف الحيوانات عن البشر، ولا بما هي بنية حكائية مغلقة، قصاراها إجزاء الحكم، والمفارقات السلوكية. ولكن بوصفَها مرجعا لبناء صور الذوات الداخلية في انفعالها الغريزي وتصرفها المكتسب.

وتدريجيا يضعنا السارد أمام تفاصيل مدونة معقدة من القرائن والنظائر والصّور البلاغية المتقابلة، تؤصل لأخلاقيات الاحتيال والحسد والضغينة والوصولية والكذب والغباء والتوحش.. أي لمنظومة النذالة العبقرية، في أبهى تجلياتها. يقول السارد في مقطع تمهيدي "رحال يجد نفسه أقرب إلى السنجاب منه إلى أيّ حيوان آخر وكل حديث عن القرد والفأر والجرذ.. يفتقد للعين اللاقطة التي تعرف كيف تتنقل بنفاذ ما بين ملامح البشر ونظيراتها عند الحيوانات.. الفرق الأكبر يكمن في الأخلاق والسلوك وفن العيش، وكذا في التطلعات العميقة للحيوان، مما يؤثر بشكل لا شعوري في سلوك الإنسان المرادف له، وأدائه في العمل والحياة" (ص 19).

حين يفكر التخييل الروائي بشخصياته حيوانيا، فإنه يحول المنبى السردي إلى حقل لتبيين المشابهات التي تصوغ الظاهر والوجدان والذهنية، فينساق قائد المماثلة مع اللعبة إلى مداها المعري لمحيط القاع، ويتحول "رحال" إلى عين ليس فقط على الخارج والسطحي، وإنما بالأحرى على الداخل المستكين في زوايا معتمة من وعي الشخصيات؛ من وفيق الدرعي (الشاعر)، إلى المخلوفي (الأستاذ التقليدي)، إلى مراد والمختار وغيرهما من رفاق النضال الطلابي، إلى التجار وضباط الأمن والفتوّات، ومرتادي محل الإنترنت من العاطلين والعابرين ومسلوبي الإرادة.

وسرعان ما يضحى "القرين" هو عنوان جدل الإعلان والإضمار في فصول الرواية وفقراتها، ولا تدرك التصرفات والسلوكات الفردية، ولا المقاصد والمطامح الجماعية، بدون إدراك جوهرها الحيواني المقابل والمتعالي، وهو المبدأ ذاته الذي استبطن أغلبية نهج التمثيل السردي عبر عالم الحيوان؛ من الخرافة ("كليلة ودمنة" مثلا) إلى الرسالة ("الصاهل والشاحج" للمعري) إلى الرواية المرتكزة على مجتمع الحيوان ("حديقة الحيوان" لجورج أورويل)، إلى القصة القصيرة الناهضة على مبدأ القرين ("القرين" لمجيد طوبيا مثلا).

وتنفتح مرجعية القرين على مدار أوسع حين ننظر إلى الرواية بما هي تأويل للوجود المتشظي للفرد الذي قد نسمّيه "افتراضيا" أو "اسميا" أو "صوريا"، أو أيّ توصيف آخر دال على مفارقة الوقائع الموضوعية والالتباس بالصفحة الضوئية، وابتداع واقع وهمي يتصل بالأسماء والصور والكلام فقط، وكأن اقتران الفرد بالقرين الحيواني لا يكفي لتمثيل الكلبية البشرية، وسرعان ما يضحى الوجود الاسمي/الصوري أكثر براعة في تمثيل الخروج من جبلة البشر، إلى قدر الفأرة المجازية للحاسوب، وهو المآرب الثاني الذي تحققه الرواية.

هكذا يمكن إدراك "هوت ماروك" ضمن ضفاف الرواية التفاعلية، بالنظر إلى موضوعها، وبإدراك قدرتها على الاستناد إلى قاعدة التناظر الشبكي، المتفرع نصيا إلى برامج التواصل الاجتماعي والمواقع الصحفية التي تتيح إمكانية التعقيب والنقاش وصياغة فرقعات إعلامية تشغل الرأي العام. مع ما تستتبعه من الجدل الضروري للتخييل الروائي، وللرومانيسك المرح والهزلي، وما تنهي إليه من محو للأسماء وإعدام للمسارات، السلوك الذي تتقنه عبقريات النذالة البشرية في الفضاء الأزرق.

هنا مرة أخرى تتكشّف تجليات النزوع الفطري للقرين اللاإنساني إلى افتراس الآخرين، وقضمهم والتنكيل بهم، على نحو يجاوز ارتجالات الفضاء الجامعي الأحمر والأسود، المقيد باشتراطات الواقع الاجتماعي ومحاذيره، يقول السارد في مقطع دال "حائط على الفيسبوك يمتد إلى ما لا نهاية. لا حدود له، ليس مثل جدار المدرسة أو حائط التواليت. اكتب يا رحال اكتب. دبج ما شئت من رؤى وخواطر.. هذا فضاء آخر أكثر اصطخابا. بحر متلاطم الأمواج يصيب راكبه بالدوار" (ص 215).

ولأنه جدار مفتوح على أوهام العبقريات البشرية المتفاقمة فلن يمثل في محطات التصوير الروائي إلا كتنويع على مرجعية "القرين" حيث تتماهى الأمثولة الحيوانية بتجليات التعالي الاسمي، فالجدار لن يكون، في يوم ما، ملكا لذات فردية، بقدر ما يمثل كقناع لامتدادها الرمزي المتحايل، ومرتعا لتعرية النوازع الفطرية، تلك التي يطل منها التوحش الشرير ظهير البداوة الغريزية المتأصّلة في الأنفس.

ومن ثم فلن تشكل الرواية في تخييلها لعبقريات النذالة البشرية إلا مرثية لفضاء المدينة المزيفة (مراكش)، الآيلة بعد رحلات طويلة بين حنايا المدنية الوهمية، إلى استنبات الريف المقفر بين جنباتها، فتتخايل بما هي أسطورة ملفقة تداري تشوهات الهشاشة المتأصلة في تكوين النضارة الطافية على السطح، بينما يكمن القرين الحيواني البدائي في العمق وبين الثنايا. وسرعان ما يزدحم السطح المبهر ذاته، بفائض البشاعة الممتد في النسوغ. من هنا تتجاوز استعارة "القرين" لحظتيها السابقتين، تتجاوز "الحيوان" و"الصفحة الزرقاء" لتستوطن الفضاء البدوي الموازي الساكن في العمق، مكثفة عبقرية النذالة البشرية ومشرعة حناياها على أوسع الحدود.

ياسين عدنان: استثمر لغته الشعرية في بناء سرد روائي نقي ومجنحي

> رواية «هوت ماروك» تنطوي على مهارة تخييلية ظاهرة، وحبك أسلوبي أخاذ، وبراعة في تبطين السخرية، كما تستند على معرفة جمالية بالعربية لافتة، واستثمار متوازن لطاقتها النثرية

والشيء الأكيد أن رواية "هوت ماروك" تنطوي على مهارة تخييلية ظاهرة، وحبك أسلوبي أخاذ، وبراعة في تبطين السخرية، كما تستند على معرفة جمالية بالعربية لافتة، واستثمار متوازن لطاقتها النثرية، وإمكانياتها التعبيرية عن النوازع والأهواء الإنسانية، أودع فيها الكاتب كل مهاراته الذهنية والحسية المغتنية بسنوات طويلة من الممارسة الشعرية والقصصية والصحفية، وانخراطه المهووس في الشأن المجتمعي، ليفلح في المحصلة في التقاط راهن بلد تتقاذفه الإخفاقات السياسية والثقافية وتكلس القيم الاجتماعية المتحكمة فيها، كما تطحنه النوازع البدائية المتأصلة التي لم تفلح يوما أنوار السطح الملفقة في تبديد أثرها من العمق الراسخ.

رف الكتب

كتابة التاريخ في وجهها المعاصر

❏ هذه طبعة جديدة لكتاب ميشيل دو سيرتو "التاريخ والتحليل النفسي بين العلم والخيال"، يرسم فيه مقاربة مخصوصة لكتابة التاريخ، يستدعي فيها فوكو وفرويد ولاكان، وتحليل السلطة والجسد والجنون والتخييل في التاريخ، ليس بغرض الخلط بين أجناس متنافرة في الظاهر كالتاريخ والتحليل النفسي واللسانيات والأنثروبولوجيا، أو الاستفادة من شتى الطرق المنهجية، ولا التشويش على هويات المعارف، بل الغاية هي التنقل من حقل معرفي إلى آخر لتتبع سؤال وُلد في ضفة أخرى، لا يستطيع أن يجد فيها الرعاية المُرْضية. ذلك أن دو سيرتو لا يقنع باقتفاء أساليب من سبقوه، بل اختط لنفسه نهجا ميّزه عن سواه، حتى عُدّ من أهم رموز المدرسة التاريخية الفرنسية، نهج استطاع بفضله أن يستبق الانفتاح الضروري على حقول معرفية أخرى، للخروج بالتاريخ مما أصابه من رتابة.

ثورة تونس

❏ "تونس، ثورة في أرض الإسلام" عنوان كتاب جديد لرجل القانون التونسي عياض بن عاشور، أراده تأريخا وتحليلا لخمس سنوات من عمر ثورة غير مؤدلجة ولا متحزبة ولا مسلّحة، إلا أنه حاد عن الموضوعية في نقاط كثيرة، رغم استناده إلى وقائع تاريخية معلومة، فقد عزا التفاف رموز العهدين البائدين على حركة شبابية غير مسبوقة إلى "عبقرية هذه الثورة" التي استطاعت في رأيه استقطاب رجال النظام السابق، والاستعانة بهم لوضعها على المسار الصحيح، وترك أزمة البلاد الاقتصادية والسياسية بأيدي نفَس الأشخاص الذين عملوا مع بن علي وحتى مع بورقيبة، والحال أنهم انتهازيون استغلوا شغور السلطة، وغياب قيادة ثورية لسدها، فاستأثروا بالحكم، ولو عن طريق الاقتراع، ولم يجن الشباب من ثورتهم أيّ مغنم، حتى بعد بعث الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة برئاسة بن عاشور نفسه.

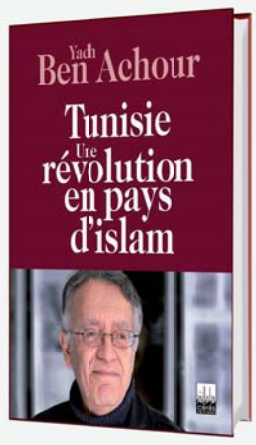

الفن والدين

❏ "الفن والدين، من كهف شوفيه إلى كهف لاسكو" كتاب لعالم الأنثروبولوجيا آلان تيستار (1945–2013) نشر عن دار غاليمار بعد وفاته يسلط فيه الضوء على الجهاز الأيقوني في الكهوف المزينة التي يرجع عهدها إلى العصر الحجري العلوي، ولا سيما لاسكو (18000 ق م) وشوفيه (37000 ق م)، ويحلل التوزيع الفضائي للأعمال الفنية وتمثل الحيوانات ووفرة العلامات التجريدية، ليقترح تأويلا غير مسبوق قرنه بنظرية علائمية جديدة. وفي رأيه أن هذا الفن يقوم على قانون يحيل على نمط من التفكير الأسطوري شبيه بنمط التفكير في الطوطمية، وأن أيقونية الكهوف تدل على إنسانية هجينة. فالإنسان فيها حاضر، وترتيبه وفق فئات نستشفه من ترتيب الحيوانات كما تتجلى في تلك الجدرايات. كما أن علامات التأنيث توحي بأن التكاثر كان من الاهتمامات المحورية في ديانة إنسان العصر الحجري.

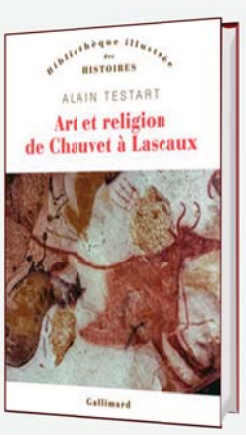

عزت العلايلي: السينما ظل المجتمع على الأرض

فنان بروح طفل يشق طريقه بثبات

يعتبر الفنان عزت العلايلي أيقونة من أيقونات السينما المصرية والعربية، كلما قدم دورا إلا وتميز في أدائه وقدم الإضافة من خلاله، ولذلك بقيت أغلب أدواره وأعماله راسخة في ذاكرة المشاهد العربي، عن طفولته ومشواره الفني الطويل الحافل، وعن علاقته بالمخرج يوسف شاهين وتفاصيل أدواره السينمائية المتميزة، كان الحديث مشوقا معه في هذا الحوار الخاص بـ"العرب"، بالإضافة إلى تفاصيل كثيرة أخرى تكتشفونها تباعا.

عبد المجيد دقنيش
كاتب من تونس

❏ بدأ الممثل المصري عزت العلايلي حياته كمعد برامج تلفزيونية حتى يتمكن من الإنفاق على أشقائه الأربعة بعد وفاة والده، ثم خطا أولى خطواته في عالم الفن سنة 1962 بتقديم دور بسيط في فيلم "رسالة من امرأة مجهولة" من بطولة فريد الأطرش ولبنى عبدالعزيز، وبعد ذلك تعددت أعماله المتميزة نذكر منها خاصة في السينما "التوت والنبوت" و"بين القصرين" و"قنديل أم هاشم" و"أهل القمة" و"القادسية" و"الطريق إلى إيلات"، و"السقا مات" و"المواطن مصري" مع المخرج الراحل صلاح أبو سيف.

وكذلك قدم مع يوسف شاهين أدوارا فارقة في أفلام رائعة مثل "الأرض" و"الاختيار" و"إسكندرية ليه"، كما قدم أدورا بارزة في التلفزيون مثل "وقال البحر" و"بوابة الحلواني" و"عسكر وحرامية" و"الأرض الطيبة".

هو وشاهين

عن الراحل يوسف شاهين الذي قيل عنه إنه سقف السينما العربية وشاعرها وروحها من خلال محافظته الدائمة على طفولته وجموحه وطموحه، يقول الفنان المصري عزت العلايلي "تلقى يوسف شاهين تعليما أكاديميا سينمائيا عميقا جدا، وعاش البيئة المصرية بكل وجوهها، والأهم من كل ذلك كونه متذوقا للسينما بدرجة عالية جدا، ويجتهد في عمله وحياته الفنية ليثبت أنه عاشق لهذه المهنة وهذه الحرفة تحديدا، وتاريخه يعكس كل هذا الاهتمام".

ويضيف "يوسف شاهين كان مهتما بالإنسان العربي عامة والمصري خاصة، كان رحمه الله يعيش هموم الشباب ويعرف كل التناقضات الموجودة سواء السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الفنية وغيرها، وهو باستمرار يضع إصبعه على الداء الموجود في أيّ مجال، وهنا تكمن أهمية يوسف شاهين، لذلك عند اختياره لأيّ ممثل يتعاون معه في فيلم لا يختلفان، بل بالعكس يتفقان تماما".

> يرى النجم المصري عزت العلايلي أن السينما تمثل ظل المجتمع على الأرض، فهي تعكس الواقع بسلبياته وإيجابياته وفق رؤية كاتب الفيلم أو مخرجه للمجتمع، ومن المعيب تجاهل دور السينما في مجتمعات تعيش تناقضات متعددة

وسبق لعزت العلايلي أن تعامل مع شاهين وهو شاب، وكلاهما كان مهموما بالشارع المصري وبقضاياه الوطنية، وهو ما صبغ الأعمال التي أنجزاها معا آنذاك، والتي أثرت في الشارع وأخذت صدى كبيرا.

ومن هناك يقول العلايلي "يوسف شاهين باختصار شديد، مجنون كبير بروح طفل، وهو أحد الشعراء المهمين في السينما المصرية والعربية، حيث نجح من خلال شاعريته في أن يرسم صورة جميلة ومتحدية للإنسان المصري والعربي بكل إيجابياته وسلبياته، رغم كل تناقضاته".

وعن روح الطفولة التي تسكن الفنان عموما وهو تحديدا، يقول العلايلي "ما زلت طفلا طموحا في عالم الفن وفي طريق الحياة، وأدعو الله ألاّ تشردني المدن أو الأيام أو أن تلجم أحلامي، صدقا أقول إن دموعي دائما تسبقني أمام أيّ حدث جلل أو جرح يخدش مصر.. وأتمنى أن أقدم عملا يعكس رأيي وإحساسي نحو هذا البلد العظيم الذي ترعرعت وعشت فيه وتضمخت بعطره، مصر بالنسبة إليّ شيء عظيم وكبير جدا".

عزت العلايلي أيقونة سينمائية عربية

وعن العمل الأقرب إلى قلبه بين اثنين تعاون فيهما مع شاهين وهما "الاختيار" و"الأرض"، يقول "كلا العملين يمثلان بالنسبة إليّ علامة مميزة، فلا أستطيع أن أقول إن هذا العمل أقرب إليّ من الآخر، لكن على سبيل المثال "الاختيار" جاء في فترة صعبة جدا من تاريخ مصر، حيث قدم صورة المثقف الذي يعيش حالة التزعزع وعدم الثقة في نفسه وبحثه عن هويته وصورة وطنه الرمزية، خاصة أن الفيلم جاء بعد هزيمة 1967، وهو يؤرخ لهذه الفترة عبر إكراهات وفلسفة الحيرة والاختيار".

وفي المقابل يرى العلايلي أن فيلم "الأرض" يعدّ علامة فارقة في تاريخ السينما المصرية والعربية، وهو الذي يؤرخ لفترة مهمة من تاريخ مصر والعالم العربي ويبرز علاقة الإنسان المصري والعربي بالأرض كرمز للهوية والوجود والكرامة والعرض، ويسترسل موضحا "اجتمع في فيلم 'الأرض' كاتبان مهمان وهما عبدالرحمن الشرقاوي كاتب العمل، وحسن فؤاد كاتب السيناريو، وهو رجل سياسة بالدرجة الأولى وصحافي ناضج ومناضل قضى فترة من عمره وراء القضبان".

يعمل العلايلي ذاكرته مستعيدا تلك الأيام، فيقول "أذكر أنه أثناء تصوير الفيلم كان الكاتب عبدالرحمن الشرقاوي موجودا بصحبتي أنا وحسن فؤاد وصلاح السعدني ومحمود المليجي ويوسف شاهين، وكنا بعد أن ننتهي من التصوير نجلس ونناقش ونتحاور حول الأوضاع، خاصة أن التصوير كان بعد النكسة مباشرة، وكانت هذه المناقشات والمساجالات مهمة جدا، وكم تمنيت لو أنني سجلتها واحتفظت بها، لأنها غنية وثرية، إلا أن عزائي عن ذلك أن فيلم 'الأرض' جاء اختصارا لتلك الفترة الحساسة من تاريخ الأمة العربية التي كان وجودها متعلقا أساسا بالأرض كرمز للهوية والكرامة والعرض".

السينما والمجتمع

يرى النجم المصري عزت العلايلي أن السينما تمثل ظل المجتمع على الأرض، فهي تعكس الواقع بسلبياته وإيجابياته وفق رؤية كاتب الفيلم أو مخرجه للمجتمع، ومن المعيب تجاهل دور السينما في مجتمعات تعيش تناقضات متعددة، حيث يكون للفن السابع الريادة في تحليل الأوضاع ونقدها.

وعن السينما، يقول النجم المصري "نحن في حاجة دائمة لهذا الفن النبيل والجميل، السينما هي التعبير الصادق عن أيّ مجتمع، فهي تمثل المرآة الناقلة لواقعها السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والفلسفي، إذ نظل دائما في حاجة ملحة كي نرى ونعرف وجهة نظرنا من خلال الصورة، التي هي أبلغ دليل وشاهد على العصر والزمان والأحداث الكبرى".

وفي سؤال لـ"العرب" حول أين يجد العلايلي نفسه أكثر بين ثلاث: الدراما والسينما والمسرح، يجيب "لا أستطيع التفريق بين هذه وتلك، لأنّ كل التعبيرات الفنية صعبة وتتطلب مسؤولية كبيرة، وأنا مثلا حينما أنخرط في عمل سينمائي أعطيه كل وقتي وتفكيري وأعود إلى البيت مرهقا، ولا أستطيع القيام بأيّ عمل فني آخر، التصوير في السينما متعب جدا، حيث يقع الخلط في أجزاء التصوير فتصور مشاهد أخيرة ثم تعود إلى البداية وغيرها.. فيصبح الممثل عبارة عن حاسوب يبرمج من قبل المخرج، وهذا ينطبق ولو بشكل مختلف قليلا على المسرح والتلفزيون".

وعن الدور الذي يحلم بتجسيده، يقول "سعيت في كل أعمالي التي قدمتها والتي أود تقديمها أن أعكس صورة الإنسان المصري في كل تناقضاته وتحدياته، وقد جسدت عدة أدوار تؤرخ لحرب أكتوبر 1973، ورصدت كيف حقق الإنسان المصري هذا النجاح كوريث للعالم العربي واستقلاليته، والتطرق إلى علاقة مصر بالوطن العربي آنذاك، مثل هذه الأدوار أحبها كثيرا، وأختارها دون تفكير".

أما اليوم، يقول ضيفنا "لا أبالغ حين أقول إنه بعد ما عاشته مصر والمنطقة العربية عموما في ظل ما اصطلح على تسميته بالربيع العربي، فإني أطمح لتجسيد أكثر من 300 دور، كي يتسنى لي المساهمة ولو بجزء بسيط في التأريخ لهذه الفترة المهمة من تاريخ مصر والوطن العربي".

نحن والآخر

لا يتفق عزت العلايلي مع رأي المخرج الراحل مصطفى العقاد القائل بأن "معركتنا مع الغرب معركة إعلام"، معتبرا أن هذا الرأي فيه الكثير من المبالغة، ويبرر بقوله "لأننا في الوطن العربي نملك مفكرين ومثقفين وإعلاميين كبارا رغم اختلاط الحابل بالنابل في الفترة الأخيرة، العالم العربي، بكل صدق، يملك عظماء في الإعلام والفن والثقافة، لكن التقنيات التكنولوجية لدى الغرب تلعب دورا مهما في ارتقاء من يمتلكها".

ويضيف "صحيح أن الإعلام روح وفكر قبل أن يكون جهاز تقنيا أو حاسوبا ومحامل تكنولوجية، ولكن تبقى دقة وسرعة تدفق المعلومات بمساعدة التكنولوجيا هي التي تحدث الفارق".

وعن صورة العربي لدى الآخر، والتي ظلت على امتداد عقود نمطية ومهتزة، يرى العلايلي أن العرب قادرون على محاربة هذه الصورة النمطية المهتزة بالفكر والعقل، حيث باستطاعتهم إبداع أدب وفن وثقافة أحسن من أيّ كائن في هذا العالم.

ويضيف "أنا أعتبر نفسي مثلي مثل الإنسان الغربي، رغم تفوقه تكنولوجيا واتصاليا، إلا أننا نتفوق عليه بتاريخنا وحضارتنا وثقافتنا، وهذا ما يجب أن نزرعه في أبنائنا وأجيالنا القادمة حتى يفتخروا بأنفسهم".

لعزت العلايلي رأي في مدى قدرة الثورات العربية على تحقيق أهدافها، معتبرا أن نجاحها يتطلب زمنا طويلا، إذ لا يمكن أن تنجح أيّ ثورة بين عشية وضحاها، فالتغيير يتطلب وقتا وجهدا، وللثورات العربية إيجابياتها وسلبياتها، مشددا بالقول "في هذه الحياة ليس هناك شيء سهل يحقق نتائجه بسرعة".

وعن تقييمه للتجربة التونسية، يقول "التجربة التونسية مثلما هو معلوم تمرّ من حالة إلى حالة، واليوم ليس بالغد، وغدا ليس اليوم، وهناك أمور لا تحدث فجأة، إذ أن التغيير يجب أن يطال المجتمع برمّته لا فردا بعينه، فجميعنا نعمل معا على بناء مجتمع جديد ناضج وواع، وهذا طبعا يتطلب منا الصبر والجلد".

ويختم عزت العلايلي حواره مع "العرب" مجيبا عن سؤالنا حول الأنماط الموسيقية التي يستمع إليها وهو في بيته ساعات الراحة من العمل، فيقول "أستمع إلى كل الأنماط الموسيقية الجميلة، ولكن أستمع خاصة إلى عبدالحليم وأم كلثوم وفائزة أحمد وفريد الأطرش ولطفي بوشناق وصابر الرباعي الذي أعتبره فنانا متمكنا، كما أستمع لغيرهم، ولكل فنان قوامه ومميزاته ومع ذلك إن خيرتني فسأختار أم كلثوم في كل أغانيها، وخاصة الأغنية التي تتغنى بمصر "وقف الخلق"، وهي من كلمات حافظ إبراهيم وتقول بعض أبياتها: وقف الخلق ينظرون جميعا كيف أبني قواعد المجد وحدي/وبناة الأهرام في سالف الدهر كفوني الكلام عند التحدي/أنا تاج العلاء في مفرق الشرق ودراته فرائد عقدي/إن مجدي في الأوليات عريق من له مثل أولياتي ومجدي/أنا إن قدر الإله مماتي لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدي.

مجلة الآداب عنقاء الورق

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ أكثر من ستين سنة استمر صدور مجلة الآداب العريقة كمحفة للإبداع العربي الخالص، تحديداً منذ العام 1953 حتّى العام 2102 بعد أن توقفت ورقياً نتيجة للأزمة المالية وانتشار الفوضى والاضطرابات في عالمنا العربي وتبدد لُحمة المشهد الثقافي.

لقد شهدت مجلة الآداب منذ تأسيسها في العام 1953 على يد المفكر العربي الكبير سهيل إدريس، الكثير من الأزمات التي فرضها الواقع السياسي العربي آنذاك، لا سيما في لبنان، مما اضطر مؤسسها إلى مغادرة بيروت لفترات متقطعة، لكن لم يكن ذلك ليفتّ في عضد المجلة أو يوهن عزيمتها ونهجها الذي اختطته منذ بواكير تأسيسها، ذلك النهج القائم على شرط الجودة وثبات المواقف السياسية العروبية التي عُرفت عنها، وفي أحلك الظروف والأزمات التي مرّت بها المجلة لم يتنازل القائمون عليها عن هذه الشروط التي تحولت مع مرور الوقت إلى عرف معياري نقدي صعب من شأنه منح الشرعية النقدية لمن ينشر فيها من المبدعين العرب، الأمر الذي أسهم إلى حدّ ما في بلورة أجيال أدبية مرموقة في ستينات القرن الماضي وما بعده، واستمر القائمون عليها بإصدارها على الرغم من الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي كانت تواجههم وحجم التحديات الكبيرة، ولعلها المجلة الأدبية العربية الوحيدة التي استمرت بالصدور منذ خمسينات القرن الماضي من دون توقف حتّى العام 2012، عندما اتخذت هيئة تحريرها قراراً بالتوقف بعد أن رأت صعوبة الاستمرار في ظل واقع عربي مشتّت تنتشر فيه الفوضى السياسية وتنعدم فيه الضمانات الخاصّة بحماية المطبوع، ومع ذلك لم يستمر توقفها القسري هذا سوى ثلاث سنوات فقط، إذ قررت دار الآداب، وهي الجهة الناشرة للمجلة وورثة الراحل الكبير سهيل إدريس، إعادة إصدارها وإن بشكل إلكتروني متقن من أجل مواكبة التقنيات الجديدة واستغلال الإمكانيات التي توفرها لتجاوز واقع التوزيع الصعب، فتحول إصدارها إلى شكل أثيري مفتوح على العالم أجمع، وصارت تكسب القرّاء تلو القرّاء حتّى بلغ متابعوها الآلاف من العالم العربي والعالم.

ولعل الشيء المفرح هو أنها لم تفرّط بشروطها وتقاليدها العريقة التي تأسست من أجلها، ألا وهي روحها العربية النقية وصرامتها في تحديد الجودة الأدبية لما ينشر فيها. واليوم، وبعد مرور أكثر من أربع سنوات على صدورها بشكل إلكتروني منتظم وبواقع عدد واحد كل ثلاثة أسابيع، يعود الحنين إلى الإصدار الورقي الذي مازال يداعب خيال سماح إدريس، رئيس التحرير وكادر المجلة الصغير، لتولد فكرة إصدار عدد ورقي منها ولو سنوياً يتضمن مختارات مما نشر في الأعداد الإلكترونية على مدى سنة واحدة بواقع أكثر من 300 صفحة من القطع الكبير، ولم أصدّق الخبر حين اتصل بي الصديق يسري الأمير، مدير تحرير المجلة طالباً مني وضع تصور تصميمي لشكل الغلاف الخاص بالطبعة الورقية.

الآن وعلى هامش معرض بيروت العربي الدولي للكتاب وفي جناح دار الآداب العريقة جرى الاحتفال بإطلاق النسخة الورقية السنوية للمجلة بطباعة غاية في الأناقة والإتقان، فكانت الأصداء التي خلّفها رائعة وبحضور إعلامي واسع، لكن اللافت للانتباه هو شخصية رئيس التحرير سماح إدريس المرحة والرقيقة وروحه العربية الأصيلة وقدرته على مخاطبة جمهورها من قرّاء كتبه الأطفال وشعبيته الواسعة في أوساط القرّاء الشباب ككاتب وناشر، لا سيما قرّائه الشباب من فلسطينيي مخيم عين الحلوة الذين أحاطوه بحب في مشهد أعاد للأذهان مواقف تلك الدار العريقة وثباتها على المبادئ العروبية. يقول سماح في معرض حديثه عن الإصدار الورقي، "رائحة واحدة أفضلها على جميع العطور، إنّها رائحة الورق الغارق في حبر المعاناة"، وبالنسبة إلى هؤلاء المتشائمين أو المحبطين من تردّي الأوضاع السياسية في العالم العربي وتراجع المطبوعات الورقية، أقول مازال الأدب بخير ومازالت رائحة الورق تبث عبيرها الآسر في النفوس مهما ادلهمّت التقنيات.

«مولانا» فيلم يواجه التطرف الديني بخطاب الاعتدال

كثرة الشروح والتفسيرات والخطابة عناصر أضرت بالحبكة

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ في فيلمه الروائي الطويل السادس، يتناول المخرج المصري مجدي أحمد علي (64 سنة) موضوعا يمكن القول بيقين إنه "موضوع الساعة" في مصر والعالم العربي بل والعالم كله، وهو موضوع التطرف الديني وكيف يقود إلى الإرهاب، ودور الخطاب السائد في تغذيته، وموقف السلطة في التلاعب بأطرافه بغرض تكريس السيطرة.

في فيلم "مولانا" -المقتبس من رواية الكاتب الصحفي إبراهيم عيسى- هناك شخصية رئيسية يستخدمها سيناريو الفيلم دراميا، لتحقيق هدفه وتوصيل رسالته، وهي شخصية الداعية الإسلامي الشاب "حاتم الشناوي" الذي يحمل الكثير من الأفكار الدينية "التقدمية" التي تعارض الخطاب الديني السائد، بل وتكاد تصطدم معه.

إن "حاتم الشناوي" هو لسان حال الكاتب إبراهيم عيسى نفسه، الذي دأب على توجيه انتقادات مشابهة للفكر الديني التقليدي في برنامج تلفزيوني كان يقدمه، رغم أنه لم يكن بالطبع من الدعاة الدينيين، كما أن شخصية حاتم هي أيضا لسان حال المخرج وكاتب السيناريو مجدي أحمد علي الذي يميل إلى "أفلام القضايا الاجتماعية".

لدينا إذن شخصية رئيسية محاطة بشخصيات فرعية كثيرة، تساهم في تسليط الأضواء على بعض القضايا المرتبطة بفكرة الفيلم. حاتم الشناوي (عمرو سعد) في المشاهد التي نشاهدها قبل نزول عناوين الفيلم الأولى، رجل فقير ينتقل بـ"الميكروباص" يبدو ناقما على الحشود الأمنية التي تجمعت أمام المسجد الذي يتوجه إليه لكي يؤم صلاة الجمعة لكنه يعرف من الأمن أن رئيس الوزراء والوزير والمحافظ جاؤوا للصلاة وأن وكيل وزارة الأوقاف الشيخ فتحي (أحمد راتب) هو الذي سيؤم المصلين، ولكن تشاء الظروف أن يصاب الرجل بنوبة قيء فيحل محله حاتم الذي يصول ويجول أمام المصلين متحدثا عن أبي ذر الغفاري، مختتما الخطبة بتذكير "أصحاب المناصب والرئاسات" بمسؤولياتهم.

> الخط الرئيسي في الفيلم كان ينبغي أن يتركز على محاولة تطويع الشيخ حاتم لخدمة أغراض السلطة فلما لم يستجب وتمرد بوضوح، يتم تدميره، وكان هذا سيبعث برسالة أقوى وهي أن محاولات التمرد الفردي محكوم عليها بالفشل أمام سطوة «المؤسسة» الراسخة التي تستند على الموروث الديني التقليدي منذ مئات السنين

من قبل أن تنتهي عناوين الفيلم يكون حاتم (من خلال مشهد فوتومونتاج) قد تزوج من أميمة (درة التونسية) وأنجب منها ولدا ثم مرت سبع سنوات وكبر الطفل، لكنه يتعرض لحادث غرق يؤدي إلى إصابته بمشكلة في المخ يتحتم معها نقله للعلاج خارج البلاد، فيختفي منذ تلك اللحظة من الفيلم، مع ظهوره في بعض مشاهد الأحلام والهواجس التي تنتاب والده حاتم الذي يطلق لحيته ويهجر منزله ويهيم على وجهه لفترة، قبل أن يعود لكي يظهر على شاشة التلفزيون في برنامج أسبوعي يجيب من خلاله على أسئلة الجمهور.

يلمع نجم حاتم ويلقى خطابه "المعتدل" قبولا لدى جمهور الشباب بل ومخرج البرنامج. أما مقدم البرنامج فهو يتلقى تعليماته من أمن الدولة، ويحاول إحراج حاتم على الهواء، ثم يتلقى حاتم دعوة لمقابلة ابن رئيس الدولة "جلال" في ملعب كرة خاص في الليل، حيث يشترك مع صحبته من أبناء كبار الأثرياء في لعب الكرة، قبل أن يطّلع على المشكلة التي يريد جلال وزوجته مساعدته في حلها وهي تتعلق بشقيق الزوجة "حسن" (أحمد مجدي) الذي أعلن اعتناقه المسيحية، وهو ما يراه "جلال"، كارثة ذات عواقب سياسية خطيرة.

زحام الأفكار

كل هذه الخيوط والتفاصيل جيدة ومثيرة للاهتمام دون شك، وكان يمكن أن تكفل صنع فيلم محكم يناقش بجرأة بعض الأفكار المسكوت عنها المتعلقة بموضوع التطرف والإرهاب وغياب الحرية الدينية والسياسية. إلا أن الفيلم بدا وكأنه يريد أن يناقش كل شيء دفعة واحدة: تحكم السلطة في أجهزة الإعلام، استخدام "الشيوخ" التقليديين للترويج لأفكار ترضى عنها السلطة، النظرة السائدة التكفيرية إلى "الشيعة" من جانب السلفيين وأنصارهم، تواطؤ الأمن مع السلفيين واستخدامهم لهم، التنصير والأسلمة.. وغير ذلك.

يدفع الأمن بفتاة جميلة لاستدراج "حاتم" وإيقاعه وتصويرهما معا رغم أنه لم يتورط معها بل سرعان ما قاوم رغبته وعاد إلى صوابه سريعا، ولكن بعد أن كان قد تم تصويره في وضع يوحي بالوقوع في الشرك.

البطل الفردي

الخط الرئيسي في الفيلم كان ينبغي أن يتركّز على محاولة تطويع الشيخ حاتم لخدمة أغراض السلطة فلمّا لم يستجب وتمرد بوضوح، يتم تدميره، وكان هذا سيبعث برسالة أقوى وهي أن محاولات التمرد الفردي محكوم عليها بالفشل أمام سطوة "المؤسسة" الراسخة التي تستند على الموروث الديني التقليدي منذ مئات السنين. إلا أن الفيلم ينحرف في اتجاهات متعددة دون أن يمتلك البناء "الأفقي" الذي يسمح بالعبور على كل هذه الجوانب مع الاستغناء عن التصعيد الدرامي وصولا إلى ذروة درامية تقليدية، فمجدي يتمسك بهذا المفهوم الدرامي التقليدي رغم غياب الحبكة القوية التي يمكن أن تسند البناء، وبالتالي يقع الفيلم في الكثير من المشاكل الفنية ويفقد تماسكه ووحدة موضوعه.

أضف إلى ذلك أن "البطل" الذي يفترض أن يلقى الهزيمة أمام جبروت "المؤسسة"، ينتصر في النهاية، فهو يضرب المخرج عميل الأمن، علقة ساخنة، ويرفض الخضوع للأمن، يغمز ويلمز طول الوقت ضد رجال الدين التقليديين، وضد السلطة، ويسخر منهم، ثم يقف في النهاية فوق المنبر لكي يخطب (بلسان إبراهيم عيسى!) ليدين الجميع، ثم يغادر دون أن يصاب بأذى!

يريد الفيلم أن يقول كل شيء عن كل هذه القضايا المعقدة التي يستحق كل منها فيلما قائما بذاته، خاصة قضية التحول الديني وموقف المسجد والكنيسة منها، وهي قضية تعالج في الفيلم بقدر كبير من التبسيط والسطحية، بل تفسد الفيلم بأكمله. فالشاب المتحول "حسن" الذي يصر على التمسك بانتمائه المسيحي على نحو مراهق، مصرّ على أن اسمه أصبح "بطرس ، وهو شخصية قصد منها أساسا أن نستمع لرد فعل حاتم وموقفه منها والذي يعكس بالطبع تسامحا مفترضا من جانب رجل أزهري. فمن الواضح أنه يؤمن بـ"حرية العقيدة الدينية"، وهو بالطبع رأي إبراهيم عيسى الذي يبدو في سائر الفيلم وكأنه يقوم بدور "الملقّن" الذي يلقّن حاتم ما يقوله ويضع على لسانه أفكاره التي يريد توصيلها للمشاهدين حول تسامح الإسلام، وقبول الآخر، وضرورة نبذ التكفير.

إلا أن حسن-بطرس، رغم إقرار حاتم له بصحة أفكاره عن "تعصب" الإسلاميين تجاه المسيحيين، يأتي فجأة إلى مكتب حاتم لكي يحاول الانتحار بقطع شرايينه، دون سبب مقنع، ثم وبدون مقدمات درامية مقنعة، سنعرف كمعلومة فقط قرب النهاية، أنه انضم إلى جماعة متطرفة، وأنه وراء التفجير الذي وقع في الكنيسة.

الخطابة والشرح

يميل السيناريو إلى الشرح والخطاب المباشر، سواء في خطب حاتم في المسجد، أو عبر برنامجه التلفزيوني، كما يميل إلى فكرة "التكفير عن الذنوب"، فشخصية الفتاة "نشوى" (ريهام حجاج) التي يدسها الأمن على حاتم، تعود لتعتذر لحاتم عن فعلتها بعد أن سرقت الوثائق التي ائتمنه عليها الشيخ مختار، كما حاولت الإيقاع به في فخ جنسي. وهي لا تعتذر فقط بل تعطيه "فلاشة" مسجل عليها كل ما نجحت في تصويره من أوراق مختار قبل تسليمها للأمن، هذه الصحوة الأخلاقية غير مبررة أو مقنعة خاصة وأننا شاهدناها في شريط إباحي أطلعه عليه صديقه "الفنان".

من الأفكار التي تتردّد في الفيلم على لسان حاتم-إبراهيم عيسى بشكل مباشر: رجال الدين لا يمكن أن يقوموا بتبسيط الدين فلو فعلوا لما وجدوا ما يأكلون.. التمثيل ليس حراما.. لا يوجد في الإسلام سنة وشيعة بل هناك إسلام فقط.. رضاعة الكبير حديث لا يعتدّ به.. هناك فرق بين الدين ورجال الدين.. البلد ليس مقسوما بين المسلمين والمسيحيين بل بين فقراء وأغنياء.. زواج الرسول من زينب بنت جحش كان لتبيان الفرق بين البنوّة والتبني.. كلنا مسؤولون عمّا يقع من تطرف.. المعتزلة ليسوا منحرفين عن الدين، والصوفيون مخلصون للدين.. لكي تكون هناك سلطة يجب أن يكون هناك عبيد، ولكي يكون هناك أمان يجب أن يكون هناك خوف.. الخوف لا يمنع الموت بل يمنع الحياة.. المشكلة تعود إلى الذين ربّوا وعلّموا وأدخلوا الأفكار المتطرفة.. لو قلوبنا وجعتنا على بعض بجد فلن نحتاج إلى هذه "الميكروفونات".. إلخ.

إيجابيات وسلبيات

يعاني الفيلم أيضا من الاستطرادات وتكرار الفكرة. وعلى سبيل المثال فقد اتضحت تماما علاقة السلطة برجال الدين بالأثرياء من رجال "الطبقة الجديدة"، في المشهد البديع الذي يضم هؤلاء عندما يدعوهم أحد رموز الطبقة، خالد أبو حديد (لطفي لبيب)، إلى وليمة يجمع فيها بين الشيخ فتحي والشيخ حاتم، ورجال الأمن، وبعض أصدقائه الأثرياء، وهو مشهد مصاغ سينمائيا بشكل جيد يوصل ببلاغة فكرة الزواج الشيطاني بين الثروة والسلطة والدين. لذلك لم تكن هناك ضرورة إلى مشهد "الفلاش باك" الطويل الذي يروي خلاله "الشيخ مختار" قصة الشاب الذي عاد من الخارج ثم ارتكب "غلطة عمره" عندما اتصل بابن الرئيس يذكّره بأنه كان معه في المصحة التي كان "جلال" (المعادل السينمائي لجمال مبارك) يتلقى فيها العلاج من نوبات صرع، مما يعرض الشاب للاعتقال والتعذيب. فما الذي تضيفه هذه القصة الفرعية إلى الفيلم!

لمسات سينمائية

هناك رغم ذلك، لمسات سينمائية بارعة في الفيلم، الذي يتميز بتصوير جيد، ومشاهد كثيرة متقنة منفذة بمهارة حرفية عالية مثل مشهد غرق الطفل، ومشهد محاولة "نشوى" إغواء حاتم حيث تدور الكاميرا في حركة دائرية حول الاثنين مع المحافظة على اللقطة القريبة، ومشاهد البرنامج التلفزيوني التي تميزت بالحركة، حركة الكاميرا وحركة الممثل في فضاء الأستوديو (للتغلب على كثرة الحوار)، ومشهد الهجوم على الصوفيين والشيعة من جانب خطيب مسجد سلفي، ولكن هناك أيضا مشاهد زائدة مثل مشهد الحوار عن "ملك اليمين" بين أحد العاملين في البرنامج التلفزيوني وحاتم، والحوار بين حاتم وسائقه عن شرائط الشيخ محمد رفعت.

من المشاهد الجيدة الجريئة مشهد مظاهرة الأقباط عقب تفجير الكنيسة، وتصوير صمت السلطة وبالإشارة إلى احتمال تواطؤ الأمن، ومشهد اقتياد حاتم إلى أمن الدولة واحتجازه والتحقيق معه وتهديده، وهو يتميز بحواره الواقعي والأداء التمثيلي من جانب صبري فواز في دور المحقق، كما يتميز بالابتكار في التفاصيل (احتجازه في غرفة مصمّتة، التلصص عليه من وراء زجاج غير مرئي، تبوّله على الزجاج، الصلاة معهم وسخريته منهم.. الخ).

يتميز الفيلم بشريط صوت ثريّ يجمع بين الغناء (أم كلثوم والأناشيد الدينية)، وبين الموسيقى الحزينة، والأصوات المتداخلة والهمهمات وضجيج الشارع والأذان، وصوت ترديد آيات القرآن في خلفية كثير من المشاهد.

النهاية الصاخبة تجعل الفيلم يبقى في دائرة أفلام الميلودراما والمبالغات والدم والدموع. ولكن هذه هي طبيعة الأفلام التي يفضلها مجدي أحمد علي، فهو يعمل من داخل السينما التقليدية، يستخدم نفس قوالبها وأنماطها، همه الأول توصيل رسالة اجتماعية متقدمة وليس تطوير طرق السرد وأسلوب التعامل مع الصورة والتقليل من الحوار. وهو بهذا المعنى أقرب إلى سينما عاطف الطيب، أي "سينما الرسالة".

عن التمثيل

يمكن القول إن الفيلم هو أيضا فيلم عمرو سعد. إن عمرو هو الفيلم، والفيلم هو، ومن دونه لا يوجد الفيلم ولا يكون له تأثير. إنه يثبت في دور "حاتم الشناوي" أنه ممثل كبير، يتقمص الشخصية تقمصا كاملا، يتعايش معها ويعايشها، يحافظ على إيقاعه من مشهد إلى آخر، وعلى طريقته في نطق الحوار وكأن شخصيته صوّرت في يوم واحد وعلى لقطة واحدة. وهو يضفي على الشخصية لمسة من المرح وخفة الظل والسخرية المحببة. وهو بحركته الدائمة، وابتسامته المميزة، وقدرته على السيطرة على كل المشاهد التي يظهر فيها كخطيب في المسجد، وعلى ترديد آيات القرآن والتمكن من النطق السليم لعبارات الحوار، يرتفع كثيرا بالفيلم. ولا شك أن الفضل في اختياره والسيطرة على أدائه يعود إلى المخرج.

درة في دور "أميمة" زوجة حاتم تبدو تائهة ضائعة في الفيلم، لا نفهم دوافعها وتبدو بعيدة عن قلب الأحداث، وتبقى على الهامش، وبالتالي فالممثلة لم تختبر. أما ريهام حجاج في دور "نشوى"، فهي دون شك، صاحبة أجمل وجه لممثلة ظهرت بالحجاب في السينما المصرية، فهي تتمتع بالجاذبية الطاغية، ولكن أيضا بموهبة لا شك فيها وقدرة على الأداء الجيد بنظراتها وحركات جسدها ومعالم وجهها خاصة في اللقطات القريبة.

ومن المؤسف أن يأتي أداء أحمد مجدي في دور حسن، أداء باهتا، يفتقر للإقناع ويميل للتوتر الزائد المفتعل والمبالغة، وتظل ملامح وجهه ثابتة في كل المواقف.

وتألقت الممثلة الجميلة إيمان العاصي وصمدت في لقطات "الكلوز أب" القريبة لوجهها في المشهد الطويل الوحيد لها في الفيلم، حينما تقص على حاتم قصة شقيقها المتحول للمسيحية.

وجاء أداء فتحي عبدالوهاب الذي ظهر في مشهد وحيد في دور القس، أداء مقنعا واثقا، وهو يشرح لحاتم معاناة الأقباط وصبرهم، وكيف وقع التفجير محافظا على نبرة صوت تحاكي الطريقة الهادئة التي يتكلم بها القساوسة.

«مولانا» داعية يحاول تجديد الخطاب الديني

ريهام حجاج قامت بدور الفتاة المشاغبة

المخرج مجدي أحمد علي

مدن أوروبية تجتذب العشاق بالأجواء الرومانسية والتكاليف الزهيدة

وجهات سياحية عالمية تستقطب السياح للاحتفال بعيد الحب

أجواء مشتركة للاحتفال

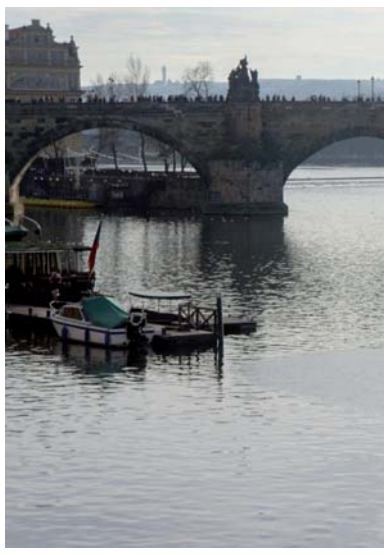

❏ **لندن** – يخطط الكثير من الناس منذ الآن للاحتفال بعيد الحب الذي يوافق الـ14 من شهر فبراير ببعض البلدان الأوروبية، ولكن وفق ميزانية تتناسب مع إمكانيتهم.

وتشتهر العاصمة الفرنسية باريس بأنها عاصمة الحب في العالم، ولذلك يقصدها الكثير من العشاق في المناسبات الرومانسية المختلفة، وخاصة أعياد الحب، غير أن الإقامة في هذه المدينة الساحرة الواقعة على نهر السين مكلفة للغاية، خاصة في المواسم السياحية، وهنا يمكن للعشاق الاستمتاع بالأجواء الرومانسية الحالمة في بعض المدن الأوروبية الأخرى، التي لا تقل جمالا وروعة عن باريس، لكنها تمتاز عنها بأسعار تتماشى وإمكانيات بعض السياح.

جسر الحب الأبدي

على الرغم من عدم انتشار الخضرة في العاصمة الهولندية أمستردام خلال شهر فبراير، إلا أنها تتمتع بأجواء ساحرة، وخاصة في المساء عندما تتم إنارة الشوارع والطرقات بالمصابيح. كما يمكن للأزواج والعشاق الانطلاق في جولة بالقوارب في العاصمة الهولندية، وعند تساقط الأمطار فإنه يمكن في هذه الحالة زيارة العديد من المتاحف البديعة طوال اليوم.

وعند زيارة أمستردام يمكن للأزواج احتضان بعضهم البعض على جسر ماغيرين الشهير، حيث يقال إنه عندما يتعانق العشاق على هذا الجسر فإنهم ينعمون بالحب الأبدي.

ونظرا لكثرة القنوات والممرات المائية في العاصمة الهولندية أمستردام، فإن الأماكن الرومانسية يكثر وجودها في جميع أنحاء المدينة.

أبرز الوجهات السياحية خلال 2016

لا تعد مدينة بورتو البرتغالية من الفئة الأولى للمدن الأوروبية الفاخرة، كما أنها تتمتع بشهرة أقل من لشبونة، إلا أنها تمتاز بأجواء رائعة للغاية، وقد ظهرت مدينة بورتو باعتبارها إحدى الوجهات السياحية البارزة خلال عام 2016 وفقا لجوائز اختيار المسافرين، التي تنظمها بوابة السفر والسياحة "تريب إدفايزر".

وتزخر مدينة بورتو بالكثير من المعالم السياحية البديعة مثل برج كليريجوس والجسر المقوس بونتي دوم لويس والكاتدرائية. وبالطبع تسود المدينة أجواء هادئة ورومانسية، ولذلك فإنها تعتبر من الوجهات السياحية للعشاق خلال عيد الحب.

وتمتاز الإقامة في مدينة بورتو بأنها منخفضة التكاليف نوعا ما، حيث توفر شركات السياحة العالمية أماكن إقامة في بورتو بتكاليف مناسبة، كما يمكن للسياح تصفح مواقع الإنترنت للتعرف على أفضل العروض والأسعار، ويمكن للسياح الاستمتاع بالطعام الشهي واللذيذ في مطعم ريبيرا وزيارة البلدة القديمة في بورتو الواقعة على ضفاف نهر دورو.

> العاصمة الفرنسية باريس تشتهر بأنها عاصمة الحب في العالم، غير أن الإقامة فيها مكلفة، ولذلك يمكن للعشاق الاستمتاع بالأجواء الرومانسية في بعض المدن الأوروبية الأخرى

باريس الشرق

تعرف العاصمة التشيكية براغ بأنها باريس الشرق، حيث تتمتع المدينة بتاريخ عريق يمتد لأكثر من ألف عام، وتحتل البلدة القديمة بها موقعا خلابا، فضلا عن أن موقعها على نهر مولداو جعل منها واحدة من أجمل المدن الأوروبية. بالإضافة إلى أنه يوجد بها أكبر قلعة مغلقة في العالم على جبل هرادكاني.

ووصفت الأجواء الرومانسية في المدينة بأنها أكثر من رائعة، لا سيما اللقاء الرومانسي على جسر كارلس، والذي يعتبر من أقدم الجسور الحجرية في أوروبا.

وتتدفق الأفواج السياحية خلال فصل الصيف على العاصمة التشيكية لدرجة أن المدينة تصبح مزدحمة للغاية، ولكن من حسن الحظ أن عيد الحب يصادف الـ14 من فبراير، وبالتالي فإن مدينة براغ تنافس باريس من حيث عدد السياح، غير أنها تمتاز بانخفاض أسعار الفنادق والمطاعم بها مقارنة بالعاصمة الفرنسية مما يجعل حظوظها أوفر في اجتذاب المزيد من السياح.

فينيسيا

تعتبر مدينة فينيسيا الإيطالية أكثر المدن الأوروبية ارتباطا بأجواء الحب والعشق، حيث تشتهر المدينة الواقعة على البحر الأدرياتيكي بقنواتها المائية المفتوحة وتعتبر بمثابة متحف كبير في الهواء الطلق، وبالتالي ينعم العشاق بها بالكثير من الأجواء الرومانسية الحالمة.

ويؤكد الكثيرون أن الحياة الحقيقية قد انتهت بمدينة فينيسيا منذ فترة طويلة، نظرا للإقبال الكبير من السياح من جميع أنحاء العالم، وخاصة خلال ذروة الموسم السياحي أثناء الصيف. كما تتمتع المدينة الإيطالية خلال الشتاء بأجواء رومانسية بديعة، عندما يخيم الضباب على المدينة، على عكس الشمس الساطعة، التي تغمر فينيسيا في شهري يوليو وأغسطس.

وتعتبر مدينة فينيسيا قبلة الأثرياء وصفوة المجتمع، ويقصدها العشاق من نجوم هوليوود ورجال المال والأعمال، حيث شهدت جنبات فندق "أمان فينيس" مثلا حفلات عقد قران كل من باستيان شفاينشتايجر وجورج كلوني، ويقع هذا الفندق الفاخر في الميدان التاريخي" بابادوبولي" على القناة الرئيسية بالمدينة.

وتوجد في مدينة فينيسيا أيضا بعض الفنادق، التي تتيح للعشاق الإقامة بها بأسعار أقل.

بديلا لعاصمة الأنوار

تجتذب العاصمة الإيطالية روما العشاق من جميع أنحاء العالم بفضل كنوزها التاريخية الرائعة وأجوائها الرومانسية الحالمة، ولذلك أكدت شركة توماس كوك السياحية أن روما تعتبر بديلا جذابا لباريس بالنسبة إلى الراغبين في الاحتفال بعيد الحب.

وتعتبر نافورة تريفي أو نافورة الأمنيات من أشهر المزارات السياحية في روما، وخلال المساء تتم إضاءة الكولوسيوم ليشع التاريخ والعظمة من داخله، بالإضافة إلى فرصة تناول نخب الحب على أضواء شموع الحي التاريخي من البلدة القديمة في روما.

وعلى غرار المدن الأوروبية الأخرى يمكن للأزواج الاستمتاع بزيارة روما خلال فبراير بعيدا عن ذروة الموسم السياحي في الصيف.

وتمتاز هذه المدينة الخالدة بأجوائها الهادئة، حيث لا تظهر سوى أعداد محدودة من السياح في مدينة الفاتيكان أثناء زيارتهم لكنيسة القديس بطرس أو كنيسة ستستين.

صورة + خبر

❏ تعد مدينة ويكي واتشي واحدة من أقدم الحدائق المائية في ولاية فلوريدا، والتي تسبح فيها حوريات البحر. ويصطف الأطفال في طوابير من أجل التقاط الصور مع حورية البحر، التي تجلس على اليابسة.

❏ تجيب كاتي فاغنر ذات الزعنفة الفيروزية بصبر وهدوء على استفسارات الأطفال، ومع كل ذلك، فإن تمثيل دور حورية البحر ليس بالمهمة السهلة، حيث يتعين عليها السباحة لدقائق والتمثيل والرقص تحت الماء.

❏ هناك العديد من عوامل الجذب السياحي في المنطقة، والتي تتمثل في إمكانية السباحة في العديد من الينابيع والأنهار في ويكي واتشي ومشاهدة خراف البحر، التي قد يصل طولها في بعض الأحيان إلى 4 أمتار.

❏ خطر على بال نيوت بيري، السباح والغواص الشهير، فكرة تجريب مد خراطيم الأكسجين تحت الماء، حتى تتمكن الحوريات من التنفس أثناء السباحة، بحيث لا تضطر إلى حمل أسطوانات الأوكسجين.

زوم على السياحة

● أفادت إمارة أبوظبي أن الشيخ منصور بن زايد، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير شؤون الرئاسة رئيس دائرة القضاء في أبوظبي، أصدر قراراً بإنشاء نيابة ومحكمة السياحة بأبوظبي في بادرة هي الأولى من نوعها عالميا.

● قررت الإيطالية مارينا بيرو (25 عاما) أن تستقيل من عملها وتسافر حول العالم مع كلبها، فحوّلت سيارتها إلى منزل متنقل لهذا الغرض. وعلى مدى الأشهر الماضية زارت مارينا وكلبها العديد من المناطق، وهي تخطط لمتابعة السفر.

● يخطط عدد من الوجهات بالولايات المتحدة الأميركية لاستضافة احتفالات بمناسبة السنة القمرية الجديدة يوم 28 يناير الجاري، والتي دأبت على الاحتفال بها كل من الصين وفيتنام ودول آسيوية أخرى.

ومن بينها ما ستقدمه ديزني كاليفورنيا من العروض الحية منها الألعاب البهلوانية الصينية والأزياء الملونة والكثير من الأنشطة.

مخاوف مبالغ فيها: الروبوتات لن تحل مكان البشر

الراغبون في محاربة الذكاء الاصطناعي يستقطبون المزيد من الحلفاء

يسعى المتخصصون في المجال التكنولوجي إلى التغلب على الذكاء الاصطناعي وخلق وظائف جديدة بالإضافة إلى الحد من سيطرته على حياة البشر. وقد أظهر بعض عمالقة التكنولوجيا رغبة في التعاون للحد من مخاطر أنظمة الذكاء الاصطناعي، واضعين اليد على عيوبه ومخاطره لتجاوزها في المستقبل.

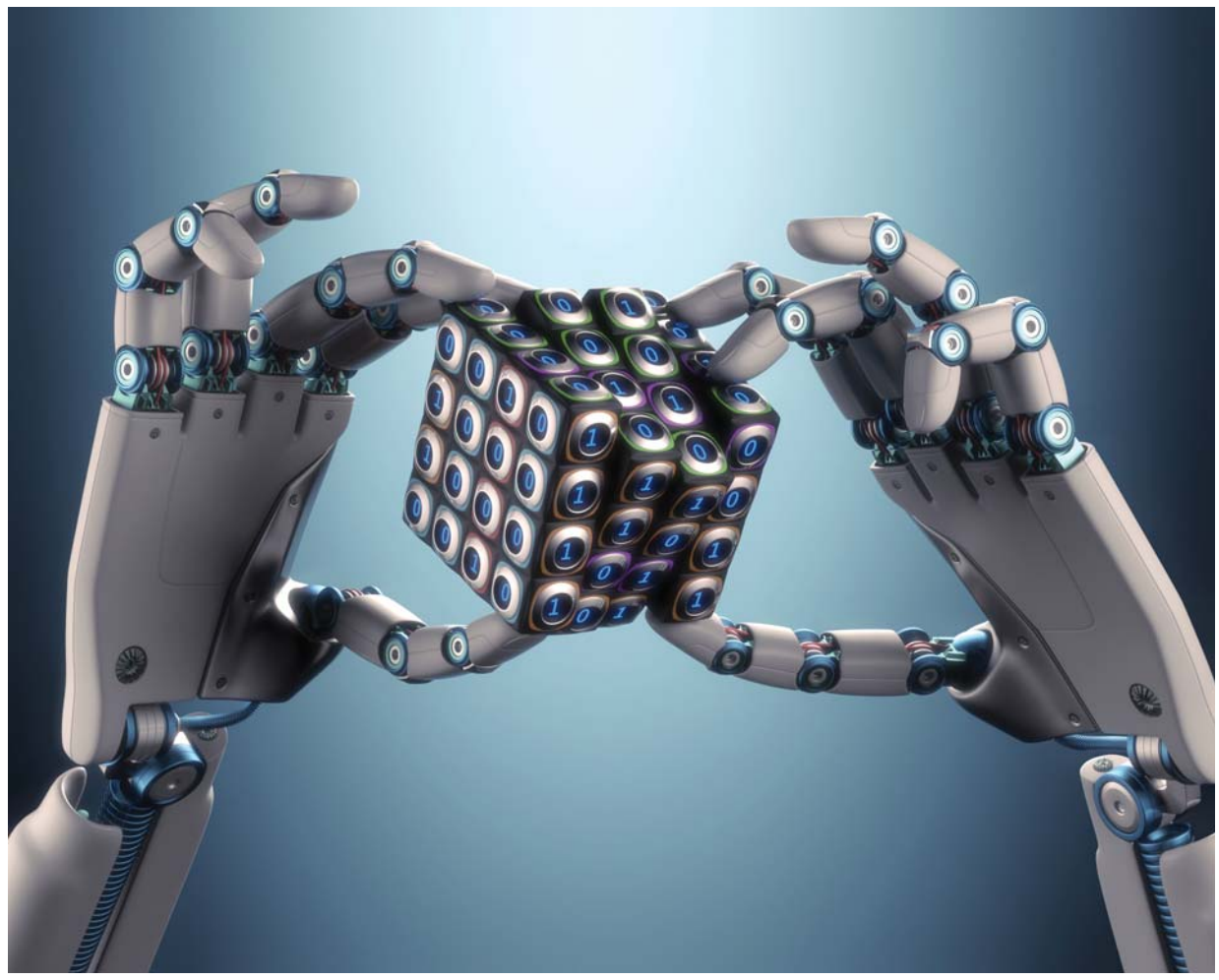

البشر لم يقولوا كلمتهم الأخيرة بعد

❑ **لندن** – أكدت العديد من الدراسات أواخر 2016 أن الذكاء الاصطناعي سيحل محل الإنسان في الكثير من الوظائف في المستقبل القريب، إلا أن مقالا نشرته وكالة رويترز مؤخرا حدد وظائف الروبوتات وكشف عن مهن جديدة للبشر.

وأفاد صاحب المقال بول والاس بأنه لطالما تحدثت أفلام سينمائية كثيرة عن مستقبل الروبوتات في حياة الإنسان، وتفاعل بعضها مع المخاوف المثارة حول سيطرة الروبوتات على وظائف البشر، متسائلا إن كانت هذه الأفلام تعرف أكثر مما يعرف العلماء والخبراء.

وقدم والاس لمحة حول آخر ما وصل إليه بعض عمالقة التكنولوجيا، على غرار شركة أمازون التي بلغ بها الاعتماد على الذكاء الاصطناعي حد القيام بأول عملية توصيل منزلي باستخدام طائرة بدون طيار في بريطانيا، بالإضافة إلى إطلاقها سلسلة متاجر "أمازون غو" بهدف القضاء على طوابير الانتظار في المتاجر.

وأضاف والاس أن عددا من شركات التكنولوجيا بدأ في تعليم الآلات كيفية الرد على التساؤلات، وحل المسائل شديدة التعقيد، وتحليل أحجام هائلة من البيانات بسرعة فائقة.

وتابع والاس بأن هذه التطورات وغيرها تؤكد أن نطاق عمل الروبوتات سيتجاوز إلى مجالات أوسع، لا سيما مع ظهور السيارات ذاتية القيادة والطائرات بدون طيار، والتي قد تكون سببا في أن تضرب البطالة قطاع النقل وخدمات التوصيل.

وقد أشار تقرير صادر في 2015 عن شركة «ديلويت» للمحاسبة أن الروبوتات ستحتل الوظائف الإدارية في المكاتب.

وكانت أبحاث قد قدرت أن 47 بالمئة من العمال الأميركيين مهددون بسبب الروبوتات خلال السنوات العشرين المقبلة، كما قدر كبير الاقتصاديين في بنك إنكلترا أن حوالي 15 مليون وظيفة في سوق العمل البريطاني ستذهب إلى الروبوتات.

ومع ذلك يرى والاس أن المخاوف المثارة مبالغ فيها، فبعض الوظائف ستحتاج قدرا من المهارة والتفكير والخبرة لا يتوافر لدى الآلات، مثل: وظائف السجلات المحاسبية والمحاسبة عموما التي تتطلب تفاعلات اجتماعية واسعة النطاق.

> بعض مراقبي أنظمة الذكاء الاصطناعي يرجحون أن تقود الروبوتات العالم إلى حتفه لذلك يجب عدم السماح لها بإدارة المنظومات الحاسوبية الحديثة

كما أن الكثيرين يخشون التحول إلى السيارات ذاتية القيادة، لا سيما بعد انتشار عدة تقارير عن وقوع حوادث مميتة لها.

وقد شككت دراسة صادرة عن المركز الأوروبي للأبحاث الاقتصادية في التقديرات التي جرى نشرها عن حجم الوظائف المهدرة في سوق العمل الأميركية بسبب الآلات. وقال المركز إن "9 بالمئة فقط من وظائف سوق العمل الأميركية، و10 بالمئة من وظائف سوق العمل البريطانية ستقوم بها الآلات".

ويعتقد والاس أن التقارير التي تتحدث عن عدد الوظائف التي ستذهب للروبوتات أغفلت الحديث عن عدد الوظائف التي سيجري خلقها في المقابل.

وأعطى والاس مثلا في أوائل القرن العشرين، حيث تنبأ خبراء بانهيار سوق الوظائف الزراعية، ولكن كان من الصعب عليهم التنبؤ بظهور وظائف جديدة، مثل أطباء الأشعة ومدربي اليوغا، مما حافظ على نسبة تصاعدية في عدد الوظائف المتاحة في سوق العمل.

وأشار إلى أن انتشار الإنترنت حمل عددا هائلا من الوظائف، لا سيما مع ظهور منصات التواصل الاجتماعي. واليوم، تزخر أماكن مثل وادي السيليكون بالمئات من الشباب الذين يصممون تطبيقات للهواتف المحمولة التي لم يمضِ وقت طويل على ظهورها.

كما يجري خلق العديد من الوظائف بشكل غير مباشر عبر رفع مستوى الإنتاج. فإذا تطورت صناعة الغذاء سيدفع ذلك الناس إلى الإقبال على المطاعم، مما سيخلق المزيد من الوظائف.

ويتساءل الكاتب حول ما إذا كان خلق وظائف جديدة سيسير بوتيرة أبطأ من ضياع الوظائف، ويجيب أن هذا يبدو مستبعدا. فعدد الوظائف لم يتأثر منذ انطلاق الثورة التكنولوجية، بدءا بالكمبيوترات الضخمة في منتصف القرن الماضي ووصولا إلى ثورة الكمبيوترات الشخصية والإنترنت في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين.

إن القلق السائد لا يتعلق بعدد الوظائف وإنما بجودتها. فبينما يزداد الاعتماد على الآلة في المزيد من الوظائف، يزداد عدد الوظائف التي تحتاج إلى المهارة. والسبيل الوحيد للتخلص من هذا القلق هو بذل مجهود مضاعف في التعلم، وتحسين مستوى المهارات والخبرات. وخلاصة القول هي أن الروبوتات ستقضي على الكثير من الوظائف، لكن البشر سيخلقون الكثير غيرها.

من جهة أخرى أبدت تقارير إعلامية أخرى مخاوف من مخاطر الاعتماد الكامل على أجهزة الروبوت والذكاء الاصطناعي، حيث رجّح بعض مراقبي أنظمة الذكاء الاصطناعي أنها قد تقود العالم إلى حتفه لذلك يجب عدم السماح لها بإدارة المنظومات الحاسوبية الحديثة. وكثيرا ما حذر عدد من خبراء التكنولوجيا من النتائج الخطيرة المحتملة لأنظمة الذكاء الاصطناعي ذات البراعة الفائقة.

ووفقا لأعداد أخرى من الناس فإن هذه المخاوف تنطوي على مبالغة، حيث يقول أندرو نغ، من جامعة ستانفورد، وهو في نفس الوقت كبير العلماء لدى شركة الإنترنت الصينية العملاقة بايدو "تشبه المخاوف من ظهور أجهزة روبوت قاتلة تلك المخاوف المتعلقة بالزيادة السكانية على كوكب المريخ".

مثل هذه الآراء لا تنفي أن الاعتماد المتزايد على أجهزة الذكاء الاصطناعي لا يحمل في طياته مخاطر حقيقية، فبينما تتزايد مشاركة المنظومات الذكية بصورة أكبر في عمليات اتخاذ القرار في العديد من المجالات، من الرعاية الصحية، إلى الأمور المالية، مرورا بما يتعلق بالعدالة الجنائية، كما تزيد احتمالية التعرض لمواقف لا تخضع فيها تلك المنظومات الذكية إلى الرقابة والتدقيق بالشكل اللازم.

كما أن استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي على نطاق واسع يمكن أن يؤدي إلى العديد من التبعات، مثل تغيير علاقات البشر بالأطباء في حالة الاعتماد على تلك الأجهزة بصورة كاملة في مجال الطب.

في الوقت الراهن يحاول البشر تعليم الذكاء الاصطناعي التجاوب مع السلوكيات المختلفة باستخدام كميات كبيرة من البيانات، مثل التعرف على وجه موجود ضمن صورة تضم عدة وجوه، أو اختيار حركة صائبة في إحدى ألعاب الهواتف الذكية، حتى أنه تم تطويع أجهزة الذكاء الاصطناعي لتعمل في العديد من المجالات، وقطاعات تمتد من الأمور المالية إلى النقل والمواصلات، ومراقبة سوق الأسهم لكشف أي عمليات تداول مشبوهة، أو للمساعدة في مراقبة الملاحة الجوية، وحركة المرور على الأرض.

كما تساعد في منع وصول رسائل البريد الضارة أو المزعجة إلى صندوق بريدك الإلكتروني. وهذه جميعها ليست إلا البداية بالنسبة إلى أجهزة الذكاء الاصطناعي. وكلما تطورت تلك التقنيات، ازداد عدد البرامج والتطبيقات التي تستعملها.

ودعا بعض الخبراء البشر إلى الوقوف على المخاطر الحقيقية التي تكمن في وضع ثقة أكثر من اللازم في الأنظمة الذكية التي يصنعونها بأيديهم، بدل الشعور بالقلق بشأن سيطرة أجهزة وبرامج الذكاء الاصطناعي على مستقبل البشرية.

ومن الأمثلة التي أظهر فيها الاعتماد على الذكاء الاصطناعي قصورا، استخدام أحد المستشفيات لنظام إلكتروني يعمل بشكل آلي بهدف تحديد المرضى المصابين بمرض الالتهاب الرئوي ليعرف من منهم في حالة خطيرة قد تؤدي إلى الوفاة، حتى يجري إدخاله إلى المستشفى بصورة عاجلة.

لكن ذلك النظام الآلي جاء بنتيجة مختلفة تماما، إذ صنّف المصابين بمرض الربو على أنهم أقل عرضة للموت، ولا يحتاجون لتلقي العلاج بصورة عاجلة في المستشفى، في حين أن من يعانون من الربو والمصابين بمرض الالتهاب الرئوي، ينقلون مباشرة إلى قسم العناية المركزة. وبذلك يحصلون على العلاج الذي يُقلل بشكل كبير من مخاطر الوفاة.

> 9 بالمئة فقط من وظائف سوق العمل الأميركية، و10 بالمئة من وظائف سوق العمل البريطانية ستقوم بها الآلات

وبما أن أجهزة الذكاء الاصطناعي تُصمم لتقييم أمور كثيرة في الحياة، بداية من التصنيف الائتماني إلى تقييم جدارة الإنسان في أدائه لوظيفة ما، وحتى احتمالات عودة بعض المجرمين لارتكاب جرائم معينة، فإن مخاطر وقوع هذه الأجهزة في خطأ في بعض الأحيان، يزيد الوضع سوءا.

ويعتقد خبراء التكنولوجيا أن الإنسان هو من يبتكر ويطور الذكاء الاصطناعي ليكون نسخة أخرى عنه، فمن المرجح أن يكون مثله تماما غير خال من العيوب. وقد كشفت مؤسستا "لينكد إن" و"إيباي" النقاب عن رغبتهما في الاستثمار ضد الذكاء الاصطناعي، حيث تمكن كل من ريد هوفمان مؤسس "لينكد إن" وبيير أوميديار مؤسس "إيباي" من جمع 10 مليون دولار، لتمويل الأبحاث العلمية التي تعمل على إيقاف التطوير العشوائي للذكاء الاصطناعي.

وأوضحت كلا المؤسستين أن الهدف من هذا الاستثمار زيادة الوعي لمنع الروبوتات والآلات من محاكاة البشر في المستقبل وألا تصبح هذه الأنظمة ضد الإنسان فيما بعد.

ومن المتوقع جمع المزيد من المستثمرين لتمويل البحوث التي ستُجرى في مختبرات ميديا لاب في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، ومركز بيركمان كلاين التابع لجامعة هارفارد.

وعلى الرغم من الفوائد الكثيرة التي استفاد منها البشر بفضل الذكاء الاصطناعي في عدة مجالات، مثل الطب والتعليم، إلا أن هناك العديد من الخبراء والمسؤولين التنفيذيين يرون أنه من المحتمل أن تؤدي العديد من الأنظمة الذكية إلى حدوث كارثة في نهاية المطاف.

ومن شأن التمويل المذكور أن يدعم الخبراء للعمل على البحث في تحقيق التعادل الاجتماعي في تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي وتركيزها على المجالات النافعة للناس، مثل التعليم، والطب، والنقل، وغيرها من المجالات الحياتية، دون المساس أو وجود احتمال لأذية العامل البشري الفعّال في المستقبل.

جديد التكنولوجيا

❑ أعلنت شركة مايكروسوفت أن متصفحها إيدج سيقوم بحظر معظم محتويات الفلاش مستقبلا، ويتم تشغيلها فقط حسب رغبة المستخدم.

وعللت الشركة الأميركية سبب إقدامها على هذه الخطوة بأنها تهدف إلى تعزيز الأمان والاستقرار وسرعة متصفح الإنترنت المتوفر ضمن نظام تشغيل مايكروسوفت ويندوز 10.

ويمكن للمستخدم تجريب هذه التعديلات الجديدة على متصفح إيدج من خلال الاطلاع على أحدث إصدارات المعاينة للمتصفح، وأكدت الشركة أن هذه التعديلات ستكون متوفرة لجميع مستخدمي ويندوز 10 عندما يتم إطلاق تحديث كريتور خلال فصل الربيع القادم.

وتهدف الشركات العالمية من خلال الحظر المفروض على محتويات فلاش بلاير إلى تجنب الثغرات الأمنية، التي يكثر ظهورها في برنامج الملتيميديا من أدوبي، بالإضافة إلى تشجيع المطورين على اللجوء إلى استعمال التقنيات الأخرى.

❑ نشرت شركة غوستك المتخصصة في صناعة الأغطية الواقية صورا لغطائها الواقي أتوميك المصمم للهاتف غالاكسي إس 8 على شبكة الإنترنت.

والمثير للاهتمام في هذه الصور أنها تعرض نموذجا للهاتف داخل هذا الغطاء الواقي في خطوة من الشركة لتظهر للمستهلكين كيف سيبدو الهاتف غالاكسي إس 8. وأظهرت الصور الهاتف بشاشة منحنية الطرفين مع فجوة كبيرة للكاميرا في واجهته الخلفية. كما تظهر الصورة كاميرا خلفية واحدة فقط، ولكن حجم الفتحة يمكنها بسهولة من استيعاب كاميرا خلفية مزدوجة.

ويلاحظ اختفاء الزر الرئيسي، مما يعني أن مستشعر البصمة سيكون أسفل الشاشة.

❑ أطلقت شركة غارمن موديلا جديدا من ساعاتها الذكية 5fnix، والذي يأتي بوظائف جديدة وثلاثة أحجام مختلفة.

وأوضحت الشركة السويسرية أن الساعة الذكية يبلغ قطرها 47 ملم، بينما يتناسب الموديل إس 5 مع معصم اليد الأصغر بقطر 42 ملم، في حين يظهر الموديل الضخم إيكس 5 بقطر 51 ملم. وتمتاز جميع الموديلات بسمات رياضية مختلفة.

وتزخر ساعات غارمن بتجهيزات تقنية حديثة، منها رقاقة نظام جي بي إس، وجهاز مدمج في جسم الساعة لقياس النبض. ومن المقرر طرح ساعات غارمن الجديدة خلال أبريل القادم.

❑ أزيح النقاب أخيرا عن حزمة جديدة من التطبيقات الإلكترونية التي يتم تنزيلها على الهواتف الذكية وتساعد في علاج الاكتئاب والقلق لدى المستخدم.

وأفاد الموقع الإلكتروني ساينس ديلي المعني بالأبحاث العلمية والتكنولوجيا بأنه يتعين استخدام حزمة التطبيقات الذكية ما يصل إلى أربع مرات يوميا، وهي تفيد في الحد من الاكتئاب ومشكلات القلق والنقد الذاتي.

وأظهرت دراسة أجريت في كلية طب جامعة نورث ويسترن بالولايات المتحدة أن استخدام حزمة التطبيقات الإلكترونية التي تحمل اسم إنتلي كير أربع مرات يوميا لمدة تصل إلى ثمانية أسابيع يؤدي إلى تراجع بنسبة 50 بالمئة في أعراض الاكتئاب والقلق.

شخصية الإنسان تحدد نوع تمارين اللياقة البدنية الأنسب له

تأثير ممارسة الرياضة نهاية الأسبوع يعادل ممارستها على كامل أيامه

اختزان النشاط لنهاية الأسبوع

قدم بعض خبراء اللياقة والباحثين في المجال الرياضي بمناسبة السنة الجديدة جملة من التوصيات لتعزيز اللياقة البدنية والحفاظ على صحة الجسم وسلامته.

ويرى المختصون أن الحصول على نتائج إيجابية لا يتحدد بكمّ الأنشطة التي يمارسها الفرد أو بوضع خارطة تحدد نسب استهلاكه للسّعرات الحرارية للتخلص من الدهون الزائدة، وإنما بتحديد ما يناسبه كأن يشارك الآخرين التمارين الرياضة أو ينأى عنهم، كما صدر بحث جديد يؤكد أن ممارسة الرياضة خلال نهاية الأسبوع تعادل تقريبا نفس القدر الذي تتم به ممارسة الرياضة على كامل أيام الأسبوع.

❏ **لندن** – قدم بعض المختصين في اللياقة البدنية بمناسبة حلول العام الجديد جملة من التوصيات للحفاظ على الصحة التي تعد في صدارة اهتمامات الناس.

وأشار المختصون إلى أن المحافظة على اللياقة البدنية تبدأ من تحديد شخصية الإنسان، موضحين أن الأفراد الذين يعرف عنهم أنهم اجتماعيون لديهم حافز قوي لتحقيق التوازن على المستوى الداخلي (النفسي) والخارجي (المظهر) مما يجعل أجسامهم مسترخية تمام الاسترخاء، مؤكدين أن هذا غالبا يترجم إلى حرق لمعظم السعرات الحرارية.

ويعتبر المختصون أن لكل إنسان ما يناسب لياقته البدنية من ممارسات، حيث أفاد الكثير من المدربين أن "أفضل وتيرة للياقة البدنية هي تلك التي يلجأ إلى تكرارها الإنسان باستمرار".

ويطرح المختصون تساؤلا على من يعتمدون في أنشطتهم الرياضية على هذا التكرار، إذا لم تعتمد الروتين الجيد، فكيف يمكنك التوصل إلى ما هو مفيد للياقتك البدنية، وما هو النسق الذي من شأنه أن يعزز مداومتك على ممارسته؟

يقول البعض إن عملية بحث الإنسان في شخصيته خارج عالم اللياقة البدنية يمكن أن يساعده في معرفة أفضل ما يمكن فعله داخل عالم اللياقة البدنية.

وفي هذه الحالة، على الإنسان أن يدرك ماهية شخصيته الرياضية، إذ قال بيت ماكول، المتحدث باسم المجلس الأميركي للتمارين "إذا كنت من نوع الشخصية (أ)، ربما يكون لديك هدف كمي. هل يمكن أن ترتدي أجهزة الاستشعار المستخدمة في مجال اللياقة البدنية، وربما تشعر بأنك بحاجة إلى سبب يدفعك للنشاط في الخارج".

وأضاف ماكول "من ناحية أخرى، إذا كنت تميل أكثر نحو التعاون، سواء كان هناك هدف كمي أو لا، فإن هدفك قد يكون حضور حفلة راقصة"، مضيفا بالقول "اسأل نفسك: هل الأهداف الكمية مهمة بالنسبة إليك؟ إذا كان الأمر كذلك، حاول استخدام أجهزة الاستشعار، الدراجات الثابتة، وجداول تخسيس الوزن وما شابه ذلك".

ويشدد بعض المدربين على الذين يحبذون ممارسة الأنشطة الرياضية ضمن مجموعات، أن يسارعوا بالانضمام إلى مجموعة ما، لأن ذلك بوسعه مساعدتهم على الحصول على التمارين الرياضة التي تعزز لياقتهم البدنية والذهنية.

وينصح يواف كاسيا دينتون، وهو مدير تدريب شخصي ومدير تدريبات بمؤسسة بالنس جيم بمدينة واشنطن، بتحديد ما الذي يجعل الإنسان أكثر نشاطا في حياته.

وأفاد دينتون بأن "أول شيء ينبغي النظر إليه هو معرفة ما الذي يقوم بإعادة شحن الجسم خارج العمل. هل هو حمام ساخن؟ أم مأدبة طعام مع الأصدقاء؟ هذا يمكن أن يحدد ما الذي يجعلك متحمسا"..

وبعبارة أخرى، هل أنت منطو أو منفتح؟ وأوضح دينتون، أن المنطوي على نفسه يحتاج إلى حضور دروس في اليوغا، حتى إذا كان محاطا بأشخاص من حوله، ينبغي أن تكون الغرفة مظلمة وينصبّ تركيزه على ما هو باطني.

وتابع دينتون "أم الثاني أي المنفتح فهو يخيّر حضور دروس اللياقة البدنية الجماعية مثل كوس فيت، أو اتباع نظام جداول التخسيس أو حضور المعسكرات التدريبية، حيث لا يمكنه رؤية الناس فحسب وإنما التعاون معهم على ممارسة الرياضة".

وأضاف دينتون "إذا كنت بصدد تناول مأدبة طعام مع الأصدقاء، قد يكون ذلك مناسبا، حيث يكون هناك قدر معين من التركيز على التفاعل مع الآخرين"، وبذلك يعمل الجسم على حرق السعرات الحرارية من خلال استفاد الطاقة في التفاعل مع الآخرين.

وقالت ليز كير، وهي من سكان واشنطن وتعمل في العلاقات الحكومية والشؤون العامة، إن شخصيتها تناسب جزئيا مع هذا الصنف في تتبع التدريبات ورؤية النتائج (وهي تحضر حصص ممارسة الرياضة باستخدام الدراجات الثابتة ثلاث مرات في الأسبوع، وتحاول ممارسة رفع الأثقال مرتين في الأسبوع)، ولكنها بمرور الوقت أضافت دروس اليوغا، والتي تعتبر أقل إجهادا من الناحية الكمية.

وأضافت كير "إنها تجعلني أشعر أني بشكل أفضل. من الصعب قياس ذلك، أشعر أني أكثر مرونة، وتوازني صار أفضل".

وأوضحت كير، التي تميل إلى ممارسة رفع الأثقال على انفراد، أنها غالبا ما تحضر إلى دروس اللياقة وتملؤها رغبة في العمل بجدّ، وذلك بسبب وجود كل من المدرب والناس من حولها.

وبعبارة أخرى، يمكنها أن تكون اجتماعية وتنافسية في نفس الوقت. وتفيد أن وجود مدرب جيد يشجع ويزيد من التحدي. وأكدت كير "إذا كان المدرب جيدا، فإن ذلك سوف يجعل الجميع، بغض النظر عن مستوى لياقتهم البدنية، يشعرون بالراحة، وهو ما سوف يدفعهم إلى بذل المجهود لتحصيل تدريب جيد". وأشارت كير إلى أنها تفضل مناخ صالة الألعاب الرياضية لأنها يمكن أن تختار حصصها العادية، وترفع الأثقال بمفرده، أو حتى تحاول تجريب شيء جديد تماما. ولكن بعض الناس يفضلون أستوديوهات البوتيك أو بدائل أخرى في الهواء الطلق. فكيف يمكنك معرفة ما هو الأفضل بالنسبة إليك؟ تضيف كير "اسأل نفسك: ما الذي يمكن أن يتناسب مع شخصيتك؟.. تتمثل الطريقة الوحيدة لمعرفة ذلك حقا في زيارة العديد من الأماكن، سواء أكانت الأستوديوهات أو البوتيكات أو صالات الرياضة أو المعسكرات التي تتم إقامتها في الهواء الطلق".

وشدد ماكول على أن "هذا الوقت مفيد جدا للاستفادة من عضوية صالات الألعاب الرياضية"، مضيفا أن العديد من الصالات الرياضية تقدم عضوية مجانية أو مخفضة في يناير من كل عام.

وأوضح ماكول "على غرار المطاعم المفضلة لديك لا يقتصر الأمر على مجرد تقديم الطعام، بل إنك تشعر بالراحة في تلك الفضاءات.. الشيء نفسه ينطبق على أستوديوهات البوتيك والبدائل في الهواء الطلق مثل المعسكرات ومجموعات الركض، التي تقدم في يناير من كل عام جملة من الامتيازات".

وأكد ماكول أنه بمجرد أن يتمكن الإنسان من تحديد شخصيته الرياضية ويبدأ بممارسة نسقه الرياضي، فإنه ينبغي عليه الحفاظ على ذلك النسق لمدة 6 أسابيع ثم ينطلق بعد ذلك لتحديد أهدافه التي يريد تحقيقها من خلال اللياقة البدنية لمدة عام.

وأوضح ماكول أن "التمرين هو ضغط على الجسم"، لذلك يحتاج المرء أن يسمح لجسمه بالتكيف مع تلك الضغوط بطريقة مدروسة. لا ينبغي أن يمارس هذا القدر الكبير من المجهود في العام الجديد، ولا ينبغي تكثيف النشاط بسرعة كبيرة.

ويرى المختصون في اللياقة البدنية أنه بالنسبة إلى المبتدئين قد يعني المشي السريع واعتماد جداول تنظيم الفترات الرياضية لمدة 30 دقيقة من 2 إلى 3 مرات في الأسبوع لمدة ستة أسابيع أمرا مفيدا للغاية.

وبين ماكول أن الإنسان في حال كان يحتاج إلى مساعدة في مجال تحديد الأهداف (هل هدفه هو إنقاص الوزن، أو تغيير نمط الحياة، أو بناء العضلات، أو ربما الدخول إلى المنافسات والمسابقات؟)، فعليه أن يسأل المدرب المباشر له.

وأضاف ماكول "في النهاية، ينبغي أن تكون الممارسة متعة، وتعزز حياتك ولا تقتصر على جعل مظهرك جيد، ولكن أيضا تجعلك تشعر أنك في حالة نفسية جيدة".

من جهتها ترى جامعة لوبورو البريطانية أن ممارسة الأنشطة الرياضية لا تحتكم فقط لشخصية الإنسان التي تحدد نمط ممارسته للرياضة، بل حتى الظروف التي تحيط به إذ غالبا ما لا يجد الإنسان الوقت للقيام بأيّ أنشطة رياضية تعزز لياقته البدنية وتساعده على الاسترخاء والتخلص من ضغوط اليوم، لذلك تنصح الجامعة البريطانية بالمحافظة على ممارسة الرياضة لمدة يومين في نهاية الأسبوع.

محاربو نهاية الأسبوع هم الناس الذين لا يمارسون الرياضة طيلة الأسبوع ولكنهم لا يتخلون عن ممارستها بكثير من الجهد خلال عطلة نهاية الأسبوع.

ويتفق الخبراء مع هذا النوع من الممارسات، حيث أن بحثا جديد أجرته جامعة لوبورو يفيد بأن تجميع الجهود المبذولة وممارسة الرياضة خلال يومين (يومي نهاية الأسبوع) تعادل تقريبا نفس القدر من التأثير عندما يتعلق الأمر بالحد من خطر الإصابة بالسرطان وأمراض القلب والأوعية الدموية، ونفس القدر الذي تتم به ممارسة الرياضة على كامل أيام الأسبوع.

> الإنسان المنفتح يخير حضور دروس اللياقة البدنية الجماعية، أو اتباع نظام جداول التخسيس أو حضور المعسكرات التدريبية، حيث لا يمكنه رؤية الناس فحسب وإنما التعاون معهم على ممارسة الرياضة

وبحسب المختصين يبدو الأمر رائعا، إذ أن هذا البحث سيغير التوصيات القديمة المتداولة بشأن ممارسة النشاط الرياضي. واعتبرت خبيرة الرياضة فيكتوريا وود أن التنزه لمدة كافية يجعل الأفراد يتخلون عن الأقراص الطبية المحلاة.

ولكن هل الباحثون المشاركون في هذا البحث الجديد محقون عند القول إن الذين يرهقون أنفسهم بشكل جيد في ممارسة الرياضة لمدة يومين لا يختلف أمرهم عن أولئك الذين يمارسون الرياضة طيلة أيام الأسبوع؟

في الواقع هذا ما توصلت إليه الدراسة التي تم إجراؤها على 63 ألف شخص من البالغين ما بين سنوات 1994 و2012.

وتوصل البحث إلى أن مزايا القيام بذلك واضحة، حيث أن المعدل الإجمالي الموصى به لممارسة الرياضة هو 150 دقيقة من النشاط المعتدل أو 75 دقيقة من النشاط القوي في الأسبوع.

وأشار المشرف الرئيسي على الدراسة إلى أنه "بالنسبة إلى الفوائد الصحية المثلى للنشاط البدني، فإنه من المستحسن دائما أن يتم تجاوز النصائح والتوصيات التي يقدمها الخبراء بخصوص النشاط البدني"، أي الزيادة في الجهد المبذول وفي مدة ممارسة الرياضة. ووفق ما نشرته صحيفة الغارديان البريطانية فإن الذهاب لمجرد التنزه لفترة زمنية أطول قليلا خير من انتظار الأخبار حول الأقراص الطبية المحلاة، وهذا ما يؤكد حاجة جسم الإنسان إلى فترة من المشي والتنزه أكثر من حاجته للأدوية.

ونصح البحث البريطاني بأن يحاول كل فرد لا يجد الوقت الكافي لممارسة أيّ أنشطة رياضية خلال كامل الأسبوع، أن يغير سلوكه عبر إقناع نفسه ببعض الأشياء كأن يقول "أنا خارج إلى صالة الألعاب الرياضية" بدلا من أن يقول لأحدهم "هل يمكن أن تحضر لي بسكويت واغون ويل من آلة البيع عندما أعود؟".

الاغتصاب الزوجي.. عنف مسكوت عنه عربيا

العقلية الذكورية أسست للاختلاف الجنسي رغم المساواة في الرغبة

طفا على السطح في الفترة الأخيرة مصطلح "الاغتصاب الزوجي"، والغريب أنه لم يأت من جانب المثقفين أو الحركات النسوية التي تحارب العنف ضد المرأة في المجتمعات العربية، بل جاء على ألسنة زوجات، على اختلاف مستوياتهن الاجتماعية والتعليمية، وخلفياتهن الثقافية والدينية، بعد أن قررن كسر التابوه بقولهن "نشعر أن أزواجنا يغتصبوننا".

شيرين الديدامونى
كاتبة من مصر

تشابهت الحكايات المسكوت عنها، والتي جمعتها مؤسسة قضايا المرأة بالتعاون مع مركز النديم في إطار حملة "بتحصل" لمناهضة الاغتصاب، وتضمنت الشهادات من تتعرّض للضرب والعنف والإجبار على المعاشرة الزوجية، ما أسفر عن مشاكل صحية كبيرة.

فهناك من يجبرها زوجها على المعاشرة وينهش جسدها، وأخرى دسّ لها زوجُها المخدر في المشروبات ليتمكن من معاشرتها بطريقة غير شرعية، حتى أدمنت المخدرات.

خروج سيدات على وسائل الإعلام ليتحدثن عن العلاقة الزوجية بتلك الطريقة أصاب المجتمع المحافظ بصدمة وذهول حيث نشأن على أن كل ما يتعلق بالعلاقة الحميمة للمرأة وفراش الزوجية "سر مقدس" لا يجوز أبدا خروجه من باب غرفة النوم، فهو حق زوجي مكتسب مسنود، ومبرر شرعا، مع انعدام وجود أيّ وسائل متاحة للنساء للتعبير عن رفضهن.

> **60** بالمئة من الزوجات المصريات يتعرضن للاغتصاب الزوجي، حيث سجلت الدفاتر 10 آلاف شكوى لزوجات وقعن تحت قبضة العنف الجنسي

العنف المسكوت عنه عربيا في غرف الملايين من النساء، لا يعتبر اغتصابا في مجتمعاتنا، فقد تؤخذ زوجات عنوة إلى الفراش، بحجة الحق الشرعي، وهن لا تمتلكن القدرة على قول "لا" حتى بينهن وبين أنفسهن وكيف تفعلن وهن من ترسخ في عقولهن على مدار عقود أنهن إذا رفضن ستلعنهن الملائكة طوال الليل، وثقافتهن الإسلامية والمجتمعية ونصائح الأمهات كل ذلك يشجع الزوجة على الطاعة التامة للزوج لأنها بذلك تحميه كي لا ينحرف ويقع في الرذيلة، ويقودها إرضاؤه إلى الجنة وإن تطلّب ذلك المرور على طريق جهنم الزوج أولا.

الزوجة التي لا تساعدها ظروفها النفسية أو الجسدية على ذلك التواصل كانت تحفظ دائما عن ظهر قلب ما يردده الفقهاء من أحاديث عن اللقاء الجنسي "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبانا عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح"، وترضخ الزوجة مجبرة ومكرهة لعلاقة أحادية الجانب تشعر فيها أنها مجرد وسيلة لحصول الرجل على ملذاته دون أن يكون لها اختيار، ما يترك آثارا سلبية عليها.

يساهم في تلك المعاناة رجال تمسكوا بحقهم الشرعي ووضعوا متعتهم الجسدية قبل أيّ اعتبار آخر، دون قيد أو شرط على أساس أنها جزئية مهمة من الدين، مع أنهم لا يلتزمون بأيّ من توجيهات الإسلام، فلا يقيمون الفرائض ولا يخرجون زكاة وليس لديهم أيّ قيمة لبرّ الوالدين، لكن عندما يتعلق الأمر بالعلاقة الزوجية تجدهم انتفضوا للدفاع عن حقوقهم، متسلحين بالأحاديث والفتاوى في حقهم بالمتعة.

ثوب الاعتياد

المجتمعات العربية تبرر دائما الانتهاك الجنسي من قبل الزوج على أنه مجرد حادثة عادية، وتلبسه ثوب الاعتياد، في تجاهل تام بأن العلاقة الجنسية تقوم على عقد قران قانوني بموافقة الطرفين، والعلاقة الخاصة هي التزامات مترتبة على هذا العقد كغيرها من الالتزامات الأخرى، كالشبكة والمهر والمؤخر، وما ينطبق عليهم يجب أن ينطبق عليها، لأن جميعها آثار مترتبة على عقد زواج واحد لا غير، فهل يجوز تهديد الزوج وإجباره بالعنف على الإنفاق على شريكة حياته؟ وكيف نجيز للمرأة ملاحقة الزوج قضائيا إن تسبب لها بكدمات أو خدوش سطحية ولا تلاحقه إن أقدم على اغتصابها دون إرادتها، كأنه اعتراف ضمني بأن ضرب الزوجة أشد على الزوجة وأقسى من اغتصابها؟

في الوقت الذي تعتبر فيه المجتمعات الغربية ذلك الأمر جريمة يعاقب عليها القانون، تتغافل بعض القوانين العربية عن وقائع كثيرة تمعن في إذلال الزوجة أو استغلالها أو إشعارها بأنها الطرف الأضعف في المعادلة، وأنها مُستباحة طوال الوقت للزوج.

وشرعن انعدام وجود قوانين رادعة تحافظ على إنسانية المرأة وكرامتها وسلامتها بالدرجة الأولى، عملية العنف، كما أن الخطاب الديني السلبي تجاه النساء وقضاياهن بشكل عام في بعض البلدان العربية، ضاعف من الأزمة.

ولا توجد في القانون المصري تشريعات لإدانة الاغتصاب الزوجي بالرغم من أن أرقام سجلات محاكم الأسرة في مصر أكدت على أن 60 بالمئة من الزوجات يتعرضن للاغتصاب الزوجي، حيث سجلت الدفاتر 10 آلاف شكوى لزوجات وقعن تحت قبضة العنف الجنسي و7 آلاف شكوى سجلت إصابة الزوجة بعاهات خلال الـ5 سنوات الأخيرة.

واعتبر قانون العقوبات السوري اغتصاب الزوج لزوجته، فعلا مباحا ومشروعا وغير مجرّم وغير معاقب عليه، أي أن المشرع استثنى الزوجة صراحة من دائرة جريمة الاغتصاب، وأباح القانون حالة الإكراه الجنسي بين الزوجين ولم يعاقب عليها.

في الفترة الأخيرة ذكرت منظمة هيومن رايتس ووتش في تقرير لها أنه يجب على البرلمان اللبناني التصدي لما أسمته بـ"الاغتصاب الزوجي" وسن تشريعات تغلظ العقوبة على الأزواج الذين يقومون باغتصاب زوجاتهم بذات الطريقة نفسها التي تتم في إطار ارتكاب جريمة الاغتصاب خارج إطار الزواج.

ألم نفسي

سلطت المراكز المعنية بشؤون المرأة مؤخرا الضوء على تلك المسألة ليكون سببا في لفت أنظار الحكومة والرجال بضرورة تغيير هذا الوضع، بعد أن جاءت شكاوى من سيدات تحولت حياتهن الجنسية إلى جحيم ودخلن في مراحل اكتئاب شديدة واضطراب ما بعد الصدمة اتسمت بمحاولات عديدة للانتحار بسبب عدم سعادتهن.

وأوضحت هايدي إسماعيل الباحثة بمركز المرأة للإرشاد والتوعية القانونية، لـ"العرب" أن الاغتصاب الزوجي يتواجد أكثر في الفئات غير المتعلمة، لأن لديهم جهلا بأسلوب التربية، حيث أن تفشي الظاهرة مرتبط بثقافة تكرِّس لدى الرجال منذ الطفولة، بأن العنف من شروط الرجولة وأن الزوجة بضاعة خاصة للرجل يتصرف فيها كما يشاء.

واستهجنت الباحثة إجبار زوجة مكتئبة على العلاقة متجاهلة سلامها النفسي، أو أخرى من الممكن أن تصاب بالضرر جسديا مثل فترات معينة من الحمل، وتساءلت هل من المنطقي أن يجبر الرجل زوجته على فعل يحتاج لأحاسيس ورغبة وقبول، لمجرد إرضاء رغباته؟

وأكد حامد عبدالواحد أستاذ الطب النفسي أن العقلية الذكورية أسست للاختلاف الجنسي بين الرجل والمرأة، رغم مساواتهما في الرغبة، وسعت بكل الوسائل إلى كبحها.

وإرغام الزوجة على العلاقة الحميمة يعتبر من الناحية السيكولوجية إذلالا لـ"الأنا الأنثوية"، كي يجعلها تشعر بالإهانة والاستعباد والدونية، متجاهلا ما تتعرض له من أمراض نفسية تؤثر على النوم وعدم القدرة على القيام بالمهام اليومية، ما يؤثر على علاقتها بأطفالها، لأنها تكون أكثر عصبية وحزنا.

وأضاف عبدالواحد لـ"العرب" أن الاغتصاب الزوجي يكسر الثقة والأمان ويدفن الحب حيا إن وجد في العلاقة بين الزوجين بسبب ما تحمله الزوجة من ذكريات مؤلمة ومشاعر سلبية ناحية زوجها.

الأمر برمته يتطلب ثورة أخلاقية، تعزّز مسألة أنسنة الرجل أكثر في تعامله مع الزوجة، مع تعريفها هي أيضا بالوسائل القانونية والاجتماعية التي تساعدها على حماية نفسها، وفي معرفة أنواع العنف السيء الذي من حقها كمعنفة أن تقول له بلا خوف "لا أريد".

في النهاية تبقى القضية شائكة ومعقدة، فلا يمكن وصف ما يحدث في غرف نوم الزوجية بأنه غير شرعي، فالعصمة من الزنا هي الجوهر، لكن أيضا الرضا في العلاقات الحميمة هو الأصل، والعلاقة الخاصة للزوجين ليست مونولوجا لطرف دون آخر، ولا يمكن أن تكون اغتصابا مقننا.

والحق أن هذه الرؤية التي تتبناها المراكز الخاصة بالمرأة ضد الرجل العربي، تعد بمثابة تشهير غير منصف له، حيث تعكس صورة بهيمية لا تليق أبدا بإنسانيته، وتظهره عديم الحساسية بدون مشاعر متنازلا عن كرامته وليس لديه كوابح لغرائزه، ولا يمكن أن نتجاهل المقولة السائدة "الحسنة تخص والسيئة تعم".

تخدير الإرادة

هناك من يجبرها زوجها على المعاشرة وينهش جسدها، وأخرى دسّ لها زوجُها المخدر في المشروبات ليتمكن من معاشرتها بطريقة غير شرعية، حتى أدمنت.

الحق الشرعي

تؤخذ الزوجات عنوة إلى الفراش، بحجة الحق الشرعي، وهن لا تمتلكن القدرة على قول "لا" حتى بينهن وبين أنفسهن وكيف تفعلن وهن من ترسخ في عقولهن على مدار عقود أنهن إذا رفضن ستلعنهن الملائكة طوال الليل.

قانون العقوبات السوري

يعتبر اغتصاب الزوج لزوجته، فعلا مباحا ومشروعا وغير مجرّم وغير معاقب عليه، أي أن المشرع استثنى الزوجة صراحة من دائرة جريمة الاغتصاب، وأباح القانون حالة الإكراه الجنسي بين الزوجين.

منظمة حقوقية

البرلمان اللبناني مطالب بالتصدي لـ"الاغتصاب الزوجي" وسن تشريعات تغلظ العقوبة على الأزواج الذين يقومون باغتصاب زوجاتهم بذات الطريقة التي تتم عند ارتكاب جريمة الاغتصاب خارج إطار الزواج.

باحثة بمركز المرأة للإرشاد والتوعية

الاغتصاب الزوجي يتواجد أكثر في الفئات غير المتعلمة، لأن لديها جهلا بأسلوب التربية، حيث أن تفشي الظاهرة مرتبط بثقافة تكرِّس لدى الرجال منذ الطفولة، بأن العنف من شروط الرجولة وأن الزوجة بضاعة له أن يتصرف فيها كما يشاء.

أستاذ طب نفسي مصري

الأمر برمته يتطلب ثورة أخلاقية، تعزّز مسألة أنسنة الرجل أكثر في تعامله مع الزوجة، مع تعريفها هي أيضا بالوسائل القانونية والاجتماعية التي تساعدها على حماية نفسها، وفي معرفة أنواع العنف السيء الذي من حقها كمعنفة أن تقول له بلا خوف "لا أريد".

الإكراه يرفع لحاف الشرعية عن فراش الزوجية

شيماء رحومة
كاتبة من تونس

لم تكن المرأة العربية، وإلى وقت قريب، صوتا يدافع عن حقوق مسكوت عنها تحت مسمى عيب وتدخل في خانة فضيحة، بالإضافة إلى القيود الدينية وقلة الوعي.

لكنها في تحد صارخ لمجتمعاتها العربية، ولا سيما العائلة كشفت المرأة عن الجوانب المظلمة من حياتها، وكسرت كل الحواجز التي كانت تشدها للصمت، لتضيف لونا آخر قاتما على ألوان آفة الاغتصاب التي تتعرض لها الكثيرات.

لم يعد مفهوم الاغتصاب مرتبطا بإكراه الأنثى قاصرا كانت أو مسنة من قبل أحد ذويها أو غريب من الغرباء، بل لصيقا شديد الالتصاق بفراش الزوجية.

ولسائل أن يسأل ما دوافع الزوج لتعنيف زوجته من أجل نيل حق شرعي، الامتناع والتقصير أم لممارسة سطوته الذكورية حتى أثناء اللحظات القليلة التي يمنّ فيها على أنثاه ببعض العواطف التي تقض بداخله المشاعر الإنسانية وتأخذه بعيدا عن أبراجه الإلهية المقدسة.

وقد يكون كلا الزوجين ضحية لخلفيات رسخت مفاهيم مغلوطة في المجتمعات العربية تقوم بالأساس على تفسير بعض الأحاديث النبوية وفق أهواء ذكورية تنشأ أغلب الإناث على احترامها وعدم الحياد عنها ليصبحن في المستقبل قوالب جاهزة يفرغ فيها سي السيد شحنة الكبرياء والتعالي باسم الامتثال لشرع "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبانا عليها، تلعنها الملائكة حتى تصبح"، وهو تهديد يخضع الكثير من النساء للرضوخ لاغتصاب حقهن في الرفض.

وإذا كانت هي تريد وهو لا فلا حرج عليه، أما إن كان هو يريد وهي لا فهي ناشز، بحسب أعراف وقوانين تحصر العلاقة الحميمية في رغبات الرجل وتتغاضى عن رغبات المرأة التي تحجم أحيانا كثيرة عن التصريح بها حتى للزوج لأنها كبرت وكبرت بداخلها جملة من الموانع التي تحرّم وتحلل ما تراه مناسبا لطبيعة كل فرد ذكرا كان أم أنثى.

تبادر إلى مسامعي ذات مرة أن أحد الشباب تقدم لخطبة إحدى الفتيات مشترطا عليها لعقد الزواج أن تعرض عليه سورة النور بوصفها تحدد طبيعة العلاقة بين الزوجين، من الجيد أن تبنى العلاقات الزوجية على أسس دينية صحيحة ولكن المؤسف أن ذلك يحصل بعد توجيهها لصالح الرجل.

وبعيدا عن التأويل الديني قد ترضخ الزوجة للاغتصاب دفعا لضريبة عدم التفكك الأسري وهنا أيضا يضع المجتمع العربي يدا ملطخة بدماء ضحيته الأنثى لأنه لم يرحّب بعد بالمطلقة.

الخوف من نظرات الاتهام تقود الزوجة إلى سرير مليء بأشواك التعذيب، ويناى بها عن أبواب المحاكم طلبا لحق شرعي ألا وهو الطلاق "إن أبغض الحلال عند الله الطلاق"، فيرفض مع أنه نص قرآني واضح وتأول الأحاديث تماشيا مع ما تراه المجتمعات مناسبا لنواميسها المقزمة لأنا الأنثى.

الابتعاد عن طرق مثل هذه المواضيع يخلق قطيعة بين المرأة ودرجة وعيها بما تتعرض إليه من ممارسات باسم الحق الزوجي.

لذلك لا بد أن تفهم المرأة أن اغتصاب زوجها لها لا يقتصر بالضرورة على التعنيف والإكراه بل حتى ممارستها للجنس القسري فقط لتتجنب غضبه وتبتعد عن الشجار أو لإرضاء رغباته لأنها تحبه على حساب رغباتها وحالتها النفسية والجسدية، هو اغتصاب لحقها في الاختيار، لأن المرأة كلما شاركت زوجها الفراش دون رغبة منها فهو يعتبر اغتصابا.

وعلى المرأة أن تتسلح بالوعي لتدرك أن زوجها الذي لا يكف عن ترديد "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم"، حين يجبرها على الجماع كلما بدا له ذلك بدعوة تطبيق ما جاء في هذه الآية، فهو بذلك أيضا يغتصب حقها في الرفض.

ومن بين طرق الاغتصاب الزوجي الأخرى إتقان بعض الرجال لفنون التلاعب بأعصاب ومشاعر زوجته مهما بلغت درجة تعليمها وشهائدها العلمية، فهو يدرك أن المرأة تقف في منزلة ما بين المنزلتين فهي إما شديدة الضعف أمام عواطفها أو حريصة على حفظ كرامتها، وفي كلا الحالتين يستغل هذه النقاط ليجمعها ظاهريا برضاها وباطنيا باغتصاب قناعتها.

وغالبا ما يستند في تلاعبه إما على تهديد سلامتها وسلامة أبنائهما، إلى جانب تسليط سياط لسانه عليها من شتم وألفاظ نابية أو بأن يكرر على مسامعها أنها لا تجيد إرضاء رغباته وأنها لا تحسن ممارسة العلاقة الحميمية وأنه سيبحث عن وعاء أنثوي رخيص لإفراغ شهواته دونها، لا سيما حين ترفض أن يجرها إلى ممارسات محرّمة.

الخوف من الهجر يقهر الأنا في داخل المرأة ويقيدها فترضخ دون رضاها.

ولكن هناك اغتصاب زوجي من نوع آخر ليس للمرأة فيه لا حق الاختيار ولا الاعتراض وهو أن يجامعها زوجها إما وهي نائمة أو بعد أن يخدّرها أو أن تكون في حالة سكر أو فاقدة للوعي.

المرأة المدخنة تجذب الرجال ويرفضونها كزوجة

الرجل ينظر إلى المدخنة على أنها خارجة عن المألوف

لم يعد التدخين عادة مقتصرة على الرجال فقط، فمع الانفتاح الذي نعيشه والحريات التي أخذتها المرأة في ضوء التطلع إلى تقليد الغرب، انتشرت ظاهرة تدخين السيدات بصورة كبيرة في المجتمعات الشرقية، وأصبحت من الحريات الشخصية التي لا يستطيع المجتمع منعها أو انتقادها، حيث أصبح حقا مكتسبا للمرأة تدخين "الشيشة" أو "السجائر"، دون أن يطعن ذلك في أخلاقياتها أو سلوكها، إلا أنها تظل مرفوضة من المجتمع، وينظر إليها الرجل على أنها منفتحة وغير منضبطة أخلاقيا وسلوكيا، فيرغبها كعشيقة ويرفضها كزوجة وأم لأبنائه.

التدخين ألد عدو للمرأة كما للرجل

❏ **القاهرة** – على الرغم من تحرر المرأة وتوجهها نحو تقليد الرجل بهدف المساواة، إلا أننا نجدها دائما ما تتطلع لمعرفة نظرته لها وهل سيأخذ العلاقة معها على محمل الجد خاصة في حالة مشاركته تلك العادة السيئة في التدخين، أم ستكون مجرد نزوة تأخذ وقتها ويخرجها من حياته.

وكشفت دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، عن نظرة الرجل للمرأة المدخنة، أن أكثر من 80 بالمئة من الرجال ينظرون إلى المرأة المدخنة على أنها تفقد أنوثتها وجاذبيتها بممارستها لتلك العادة السيئة التي تجعلها تتشبه بالرجال، مؤكدين أن التدخين عدو الأنوثة، بالإضافة إلى أن الكثير من الرجال لا يفضلون رؤية المرأة وهي تدخن، ويرون أن التدخين ألدّ عدو لجمال المرأة لأنه يفقدها النعومة والرقة، خاصة إذا كانت المرأة مدخنة بطريقة شرهة.

وأثبتت الدراسة أن التدخين يضر بجمال المرأة وببشرتها، بالإضافة إلى أن ابتسامتها ستكشف أن أسنانها غير صحية وبلون غير صحي، حيث تكون مائلة للون البني، وستؤثر على صوتها ونعومته.

وفي استطلاع للرأي أجرته الدراسة بين شريحة عريضة من الرجال تباينت آراؤهم حول نظرتهم إلى المرأة المدخنة، فهناك من رأى أنه لا يمكن قياس الزوجة وأخلاقها بتلك المعايير لأنها ليست سلعة تُباع وتُشترى،

> **80** بالمئة من الرجال ينظرون إلى المرأة المدخنة على أنها تفقد جاذبيتها بممارستها لتلك العادة السيئة التي تجعلها تتشبه بالرجال

كما أن التدخين لا يُعتبر صفة مشينة تقلل من أخلاقها ولكنها عادة سيئة يمارسها الرجل أيضا، فهو لا ينقصه شيء ولكنه تعوّد على تلك العادة وأصبح أسيرا لها، لذلك لا يمكن أن نحكم على المرأة المدخنة على أنها امرأة غير صالحة، في حين اعتبرتها شريحة أخرى أنها امرأة تتميز بقوة الشخصية والصلابة، وهذه كانت نسبة قليلة.

وعلى النقيض، رأى أغلب الرجال والذين استحوذوا على النسبة الأكبر، أن هذه المرأة محطمة للمستقبل وغير صالحة للزواج وللحياة الطويلة لأن التدخين من شأنه أن يدمر صحتها، كما أنها ستنقل هذه العادة إلى أبنائها في المستقبل عندما يرون أمهم تدخن فسيشبون على ذلك، فهي ليست قدوة صالحة، ووجد هؤلاء الرجال عدم وجود فرق بينهم وبين المرأة المدخنة، وأنهم يرون أنها ليست امرأة من الأساس.

وتقول عزة فايق، أستاذة علم النفس بجامعة القاهرة، "أصبحت ظاهرة انتشار التدخين بين السيدات لا تمثل قضية أخلاقية، خاصة مع وجودها بصورة كبيرة في المجتمعات الشرقية خلال الفترة الأخيرة، فإذا كان البعض يرفضه وينظر إليه على أنه تقليل من أخلاقها وسلوكياتها، إلا أن الكثير من أفراد المجتمع أصبح يتعامل معه بشكل من الواقعية المقبولة".

وأكدت أن نسبة المدخنات تزداد كلما اتجهت المرأة للعمل خارج منزلها، فهو لم يعد قاصرا على سن معينة، فقد انتشر بين العاملات وربات البيوت، الشابات والعجائز، المتزوجات والعازبات، مرجعة ذلك إلى رغبة المرأة في شعورها بالمساواة مع الرجل والانفتاح، واستقلالها من الناحية الاقتصادية بعيدا عن العائلة، مشيرة إلى أن الرجل ينظر إلى المرأة المدخنة على أنها خارجة عن المألوف، ولا تلتزم بالعادات والتقاليد التي نشأ وتربى عليها، بل وأحيانا ينظر إليها على أنها فريسة يسهل الوصول إليها، كما أنه يعدّ انفتاحا زائدا عن الطبيعي، فهي تعطي انطباعا غير محمود، حيث تفسر تلك العادة على أنها لا تتناسب مع القيم والأخلاق الموجودة في المجتمع.

وعن الأسباب التي تدفع المرأة للتدخين، أوضحت عزة كريم، أستاذة علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر قائلة "هناك العديد من الأسباب الاجتماعية والنفسية التي تدفع المرأة للتدخين، أهمها خروج المرأة للعمل ومشاركتها للرجل في كل شيء، بدءا من التعليم وحتى تقلد المناصب، الأمر الذي جعلها تشعر أن التدخين حق مكتسب لها بشكل علني مثلها مثل الرجل، وقد تفعل ذلك كنوع من التسلية ومشاركة صديقاتها لفعل جديد".

ولفتت إلى أن التدخين عادة سيئة سواء بالنسبة إلى الرجل أو المرأة، إلا أنه يؤثر على المرأة بشكل أكثر سلبية لاختلافها في طبيعتها الفسيولوجية عنه، كما أن هناك العديد من الدراسات الطبية التي أثبتت أن المرأة المدخنة تزيد فرصها في الإجهاض أثناء الحمل، أو ربما تحدث تشوهات للجنين، بالإضافة إلى أنها تؤثر بشكل سلبي على صحة أبنائها عن طريق التدخين السلبي، وتؤثر على سلوك الأطفال فيما بعد عندما ينظرون إلى أمهم المدخنة ويريدون تقليدها، لذلك تكون قدوة غير حسنة، ناصحة الأم المدخنة بضرورة الإقلاع عن التدخين لأنها تزيد من استعداد ابنتها للتدخين، كما أنه لن يزيد المرأة جمالا أو جاذبية.

هذا وأشار بحث اجتماعي إلى أن تدخين الأنثى هو فعل مثير جنسيا لكثير من الرجال في المجتمعات الشرقية، حيث وجد الباحثون أن طريقة تدخين الفتاة تعكس كثيرا من شخصيتها، الأمر الذي يساعد على انجذاب الرجل إليها عاطفيا وجنسيا، ولكن هذه العلاقة تكون قصيرة ومن باب التسلية والترفيه، لأن الرجل عندما يرغب في علاقة زوجية طويلة المدى لن يفكر في المرأة المدخنة، لأنه ينظر إليها على أنها متمردة غير مطيعة ترغب في المساواة معه، وهو يفضل المرأة التي تنفذ أوامره وفقا لطبيعة الرجل الشرقي.

ماذا استفادت الأسرة التونسية من البرامج التلفزيونية الاجتماعية

سماح بن عبادة
صحافية من تونس

❏ أصبح الشارع التونسي يعيش على وقع الرداءة والابتذال اللذين تكرسهما البرامج التلفزيونية الاجتماعية في مختلف القنوات الخاصة مثل برنامج "المسامح كريم" أو برنامج "عندي ما نقلك" أو "حكايات تونسية" وغيرها. تكريس يمر بإلحاح عبر الإعادة شبه اليومية لما بث في هذه البرامج دون مراعاة لخصوصيات العائلات ولا للأسرة المجتمعة أمام شاشة التلفزيون.

كثيرة هي العائلات التونسية التي تشترك في جهاز تلفزيون واحد لكل الأفراد، فليس كل الأسر تتوفر لديها إمكانيات مادية تسمح بأن يكون هناك العديد من الغرف في البيت وكل غرفة مجهزة بجهاز تلفزيون حيث يشاهد الأبناء ما يناسبهم وما يختارون من برامج على حدة والآباء كذلك.

المزعج في المسألة أن قنواتنا التونسية لا تراعي هذه المعطيات وما تنفك البرامج الاجتماعية تطالعنا بحلقات تمرر فيها حالات لمشاكل اجتماعية وعائلية وشخصية وعاطفية تكون أغلب حكاياتها محرجة ولا يسع الآباء والأمهات مشاهدتها مع أبنائهم. كما أنه أحيانا لا تجد مبررا لاختيار مثل هذه الحالات وتبحث عن الفائدة أو العبرة من تمريرها فلا تجد لها مبررا ولا موجبا.

لست أنظر لإتباع نظرية المسكوت عنه في قضايا كبرى تمس المجتمع والأسرة ولا في الإعلام. كما أن معدّي ومقدمي هذه البرامج عندما يلامون على اختيار بعض الحالات التي تكون حكاياتها مثيرة أو محرجة أو مستفزة يجيبون بأن لكل شخص آلة تحكم في التلفزيون وإن لم يعجبه البرنامج فبإمكانه تغيير القناة.

هم يتناسون أو يحاولون الهروب من اللوم بهذه الحجج فالحالات الأكثر إثارة للرأي العام والتي تمس المستوى القيمي والأخلاقي للفرد والمجتمع لا تقف عند عرض البرنامج بل تجد صداها على صفحات التواصل الاجتماعي وفي الإذاعات وفي حديث الناس في الشارع، ما يعني أنه حتى لو حال الآباء دون مشاهدة أبنائهم -صغار السن أو المراهقين- لحكايات مثل الاغتصاب والتحرش والعلاقات الجنسية خارج إطار الزواج واستهلاك المخدرات أو غيرها فإن الأبناء سيطلعون عليها أو يسمعون عنها في الشارع أو في المدرسة أو عبر حساباتهم في مواقع التواصل الاجتماعي. وهنا تبطل وتفشل كل الإجراءات وخطوات الحماية التي قام بها الوالدان.

صحافيون ومعدو برامج يلهثون وراء نسب المشاهدة ووراء الشهرة الزائفة ويتناسون أن دورهم في المجتمع هو البناء وليس الهدم، فبعض الحكايات يجب أن تعالج وتحكى في إطار مغلق وأمام مختصين في المسائل الاجتماعية والنفسية لإيجاد الحلول المناسبة والفعالة دون الوصول إلى مستوى التشهير والفضائح. فما هو المغزى والعبرة من استضافة فتاة قاصر حملت بعد أن اغتصبها عدد من أقاربها وأجوارها؟ وما هو جدوى استضافة أم تتحدث عن حالة الانحراف التي وصلها ابنها العاق إلى درجة أنه أصبح مجرما ومتعاطيا للمخدرات وأصبح يعنفها ويسرقها ليستولي على ما لديها من أموال؟ وما الفائدة من استضافة أم تتحدث عن أن ابنتها أنجبت طفلين خارج إطار الزواج؟ وما الفائدة من استضافة زوجين يتحدثان عن خلافتهما الزوجية وعن تفاصيل العلاقة الحميمية بينهما؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير أطرحها كلما شاهدت أحد هذه البرامج والتي أحيانا يصادف بثها وجودي في البيت وسط إخوتي ووالدي وأمي التي تصر على مشاهدة حلقات هذه البرامج فتجدني وإخوتي عاجزين عن رفع رؤوسنا أمام الشاشة ونحاول إظهار عدم الاهتمام وعدم الاستماع لإفادات الضيوف ولرأي وأسئلة مقدم البرنامج التلفزيوني الذي يتعمد طرح الأسئلة الأكثر إحراجا أو إثارة إما للضحك أو البكاء. والثابت أن الحرج الذي أشعر به وإخوتي يشعر به الكثير من الأبناء أمام آبائهم وأمهاتهم والإخوة الأكبر سنا.

ما ألوم هذه القنوات والعاملين فيها عليه هو اختيارهم للقضايا التي تطرح في برنامج تلفزيوني يدخل كل البيوت ويصل إلى الجمهور من مختلف الفئات والأعمار عبر جميع وسائل الاتصال والتواصل. حريّ بهم اختيار حالات ينبّهون من خلالها إلى مشاكل ومخاطر اجتماعية قد تحدق بالفرد والمجموعة بغرض توعية المشاهد وإثارة التساؤلات والقضايا التي يجب طرحها على مستوى الفرد والمجتمع وعلى مستوى الدولة وهياكلها المعنية بالشؤون الأسرية والاجتماعية.

ينعت الكثير من التونسيين وسائل الإعلام في بلدهم بإعلام "العار" تعبيرا منهم على رداءة المنتج الإعلامي المقدم إليهم سواء كان هذه البرامج الاجتماعية أو السياسية أو المواد المقدمة في الصحف التونسية، ورغم قسوة هذا النعت إلا أنه يبدو لي مستحقا في مستوى المادة الإعلامية التي تقدمها هذه البرامج الاجتماعية بالذات لأنه -مهما حاولنا أن نكون محايدين- فلا نجد فائدة ولا إضافة تذكر لهذه البرامج خصوصا بالنسبة إلى الأسرة التونسية ولكل المشاهدين عبر العالم فهي تشوه الصورة الحقيقية للمستوى الأخلاقي والقيمي في المجتمع التونسي من خلال تعمدها استضافة حالات شاذة في هذا المجتمع.

وبالرغم من أن إثارة قضايا اجتماعية مثل الجريمة والعنف والطلاق والتحرش والأمهات العازبات وغيرها من المواضيع ضروري في مجتمعاتنا العربية المحافظة لكي تحظى بالدرس والاهتمام في إطار البحث عن حلول لها، إلا أن طرق طرح هذه القضايا والوسائل التي تعالج بها أمام الرأي العام وعبر شاشات التلفزيون أو في الإطارات المخصصة لها هي التي من شأنها أن تحدث الفارق وتحدد إن كان المجتمع بمختلف مكوناته في طريقه نحو إصلاح الظواهر والآفات الاجتماعية من عدمه.

طبق اليوم

بازلاء مع الدجاج والبطاطا

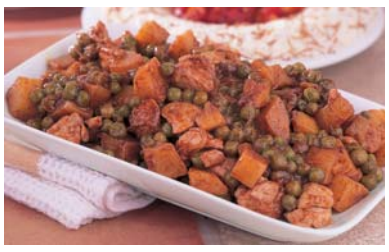

* **المقادير:**

- كيلوغرام من لحم الدجاج (صدور وأفخاذ) مقطعة إلى مكعبات.
- نصف كيلوغرام من البازلاء الخضراء.
- حبة بصل كبيرة مقطعة إلى شرائح على شكل هلال.
- من 2 إلى 3 ملاعق طعام من الزيت.
- ملعقة طعام من الزبدة.
- من 2 إلى 3 حبات بطاطا متوسطة الحجم، مقطعة إلى مكعبات.
- ملح وبهار حلو وقرفة ورشة من حب الهيل.
- من 3 إلى 4 حبات طماطم مقشرة ومفرومة.
- جزرتان مقشرتان ومقطعتان إلى مكعبات صغيرة.
- 2 ملاعق طعام من معجون الطماطم.
- ملعقة صغيرة من معجون الفلفل.
- 2 ملاعق طعام من الزيت.
- بصلة متوسطة الحجم مفرومة ناعماً.
- ملح وتوابل.

* **طريقة الإعداد:**

- يسخّن الزيت في مقلاة ويقلى فيه البصل حتى يذبل. تضاف إليه مكعبات البطاطا مع مواصلة القلي، ثم تضاف مكعبات الدجاج مع الملح والبهار الحلو والقرفة. ثم تضاف البازلاء وصلصة الطماطم المصفّاة. يغطى القدر ويترك على النار حتى تنضج البطاطا واللحم والبازلاء.
- في قدر آخر تسخن ملعقتا طعام من الزيت ويقلى فيهما البصل المفروم حتى يذبل. يضاف الجزر، والطماطم ومعجون الطماطم ومعجون الفلفل، والملح والتوابل. يطهى المزيج حتى يصبح مثل الصلصة وينضج الجزر ثم تسكب الصلصة فوق البازلاء والدجاج. ويقدم طبق البازلاء مع السلطة الخضراء.

موضة

أزياء تراوح بين الكلاسيكي والعصري

❏ أطلقت مصممة الأزياء اللبنانية ريم عكرا مجموعتها الجديدة لما قبل خريف 2017.

تلوّنت التصاميم بالأبيض والأسود والكحلي والوردي والأحمر والأخضر والبرغندي والذهبي والفضي هي الألوان التي اعتمدتها المصممة ريم عكرا في مجموعتها لما قبل خريف 2017 التي تضمّنت 27 إطلالة من الأزياء الخاصة بالمناسبات.

وقال خبراء الموضة أن عكرا حرصت خلال هذه المجموعة على أن تبتعد قليلاً عن طراز الإطلالات الهوليوودية التي عُرفت بها لتستقطب جيلاً جديداً من الفتيات اللاتي يهوين الإطلالات التي تتألف من قطعتين يمكن تنسيقهما مع بعضهما بعضا لطلة كلاسيكية، أو تنسيق إحداهما مع بنطلون من الدنيم لإطلالة عصرية لا تخلو من الأناقة.

ورغم رغبتها في التجديد واستقطاب فئات عمرية جديدة، لم تنس السيدات اللواتي يهوين تصاميمها التي تليق بمناسبات البساط الأحمر، ولذلك قدّمت لهن مجموعة من الأثواب الطويلة التي تميّزت بأقمشة فاخرة بقصّات قريبة من الجسم، وتطريز غنيّ.

وعلى الرغم من حفاظ الإطلالات التي اصطبغت باللون الأسود على طابعها الكلاسيكي فإن عكرا أدخلت عليها لمسات مبتكرة من حيث التطريز والتصميم.

مطبات صعبة أمام العرب في أمم أفريقيا 2017

صراع عربي رباعي مرتقب على اللقب القاري

يفتتح المنتخبان الجزائري والتونسي الأحد عقد مشاركة المنتخبات العربية في بطولة كأس أمم أفريقيا الغابون 2017، في انتظار الظهور الأول لكل من مصر والمغرب في سباق اعتبره محللون مليئا بالمطبات قبل الظفر باللقب الأبرز في القارة السمراء.

حوارات عربية شيقة مرتقبة في السباق القاري

رياض بوعزة
صحافي تونسي

❑ **تونس** – يحدو المنتخبات العربية المشاركة في نهائيات النسخة الحادية والثلاثين من بطولة كأس أمم أفريقيا لكرة القدم التي انطلقت السبت في الغابون تفاؤل كبير لبلوغ أدوار متقدمة من الدورة ولم لا الفوز بها، لكن إصرارها يصطدم بمطبات كثيرة نظرا لصعوبة المهمة التي تنتظرها أمام عمالقة اللعبة في القارة. ويقول النقاد والمحللون إن الاختلافات الكبيرة في مستوى الفرق العربية قد تكون سببا في نظر البعض إليها بعين الشك حول مقدرتها على تحقيق نتائج إيجابية على الرغم من النجوم التي تزخر بها قياسا بمستوى المنافسين الآخرين على غرار غانا وكوت ديفوار والسنغال.

ومنذ إعلان قرعة البطولة في أكتوبر الماضي، بدأت منتخبات تونس والجزائر ومصر والمغرب في إعداد العدة للحدث الأكبر على مستوى أفريقيا عبر معسكرات تدريبية استعدادا لهذا العرس، الذي قد يفاجئ الجميع بظهور حصان أسود جديد يقلب الطاولة على من لهم باع طويل في هذه البطولة التي ينتظرها الملايين من عشاق الساحرة المستديرة.

دربي عربي

يدخل المنتخب التونسي السباق وعينه على إعادة تحقيق إنجاز جنوب أفريقيا 1996 حينما قاد مدربه المخضرم هنري كاسبارجاك رفاق شكري الواعر آنذاك إلى النهائي. وستكون مباراته المفصلية مع جاره الجزائري أحد أضلاع المجموعة الثانية، التي ستدور مبارياتها في مدينة فرانسفيل، وهي من أصعب المجموعات بشهادة المحللين. ويصطدم المنتخبان العربيان في النهائيات بأسود "التيرنغا"، منتخب السنغال، الذي يملك بين صفوفه مجموعة من اللاعبين المميزين أمثال سيدو مانيه لاعب ليفربول الإنكليزي ومدافع نابولي الإيطالي كاليدو كوليبالي ومامي بيرام ضيوف مهاجم ستوك سيتي الإنكليزي. بينما يعد منتخب زيمبابوي الأضعف في المجموعة وربما بين منتخبات البطولة. ورغم أن منتخب "نسور قرطاج" تطور بشكل لافت في الفترة الماضية تحت قيادة المدرب البولندي كاسبارجاك الذي يسعى جاهدا إلى قيادة التونسيين مرة أخرى إلى تحقيق نتائج "تاريخية" قد تعطي زخما لإتمام مشوار المنتخب في تصفيات كأس العالم روسيا 2018، إلا أن مستوى البعض من اللاعبين قد لا يحقق له طموحاته.

> الاختلافات الكبيرة في مستوى منتخبات العرب تثير الشكوك حول قدرتها على تحقيق نتائج إيجابية رغم ترسانة النجوم التي تزخر بها قياسا بمستوى المنافسين على غرار غانا وكوت ديفوار والسنغال

ويمتلك المنتخب الذي يشارك للمرة 18 في تاريخه بالنهائيات الأفريقية، عناصر تتمتع بفنيات متواضعة رغم أنها تنشط خارج الدوري المحلي، أمثال مدافع فالنسيا الإسباني أيمن عبدالنور ومدافع كون الفرنسي صيام بن يوسف ومهاجم نادي لخويا القطري يوسف المساكني ومتوسط ميدان سندرلاند الانكليزي وهبي الخزري، لكن كاسبرجاك كان في حاجة ماسة لأن يقتلع البعض من لاعبيه مكانا أساسيا في أنديتهم، وهو ما لم يحصل مع البعض منهم. وهذه مشكلة في حدّ ذاتها. ويساور الجماهير التونسية الشك في بلوغ المنتخب الأدوار المتقدمة من النهائيات بالنظر إلى طريقة الاستعداد للبطولة والمباريات الودية التي خاضها لا سيما مع مباراته الأخيرة مع مصر والتي خسرها في الوقت بدل الضائع الأحد الماضي.

أما إدارة منتخب الجزائر التي سعت للابتعاد عن كافة الضغوط التي من شأنها التأثير على محاربي الصحراء لا سيما وأن الأجواء في الغابون لن تكون بمثل أجواء ملعب مصطفى تشاكر بالبليدة، وقد تغطي الرطوبة العالية أجواء فرانسفيل وينعدم الأكسيجين فتختنق كتيبة اللاعبين الذين ينشط أغلبهم في الدوريات الأوروبية، لذلك سيكون الإطار الفني للخضر بقيادة البلجيكي جورج ليكنس مطالبا بالتحضير النفسي والذهني من أجل إنهاء المسيرة على منصة التتويج.

وتضم كتيبة ليكانس نجوما لامعة تنشط في أقوى الدوريات الأوروبية على غرار ثنائي ليستر سيتي الإنكليزي رياض محرز الحاصل مؤخرا على جائزة أفضل لاعب أفريقي للعام 2016، وإسلام سليماني، فضلا عن نجم بورتو البرتغالي ياسين براهيمي، وفوزي غلام مدافع نابولي الإيطالي، إلا أن هذه الكتيبة من النجوم تحتاج إلى مدرب من طينة الكبار حتى يقوم بتوليفة ناجحة تضمن للمرشح الأبرز نيل كأسه الأفريقية الثانية التي لم تدخل خزائنه منذ العام 1990. وقبل انطلاق البطولة بأيام تلقى محاربو الصحراء خبر غياب النجم سفير تايدر لاعب وسط فريق بولونيا الإيطالي عن كأس أمم أفريقيا بداعي الإصابة. وهذا الأمر قد يربك حسابات المدرب رغم الأسماء اللامعة التي يقودها. كما أن استبعاد نجم وست هام يونايتد الإنكليزي سفيان فيغولي ومدافع ليغانيس الإسباني كارل مجاني سيكون له الأثر الكبير نظرا لقيمة اللاعبين الفنية.

وسيكون منتخب "الخضر" الذي يشارك في العرس الأفريقي للمرة 17 في تاريخ مشاركاته في بطولة القارة السمراء أمام تحد كبير آخر حين يخوض مباراة الدربي المغاربي في الجولة الثانية من تصفيات المجموعة والتي ستجمعه بجاره التونسي بعد أن يجتاز عقبة زيمبابوي. وستحدد هذه المباراة المصيرية بوصلة اتجاه محاربي الصحراء قبل الدخول في معركة مع "أسود التيرينغا" في الجولة الأخيرة. وتلقى محاربو الصحراء دفعا معنويا حينما انتزعوا صدارة المنتخبات العربية في التصنيف الشهري الصادر عن الاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا" لشهر يناير، متفوقا بذلك على منتخب تونس الذي تراجع للمركز الثاني.

إعادة الأمجاد

يعود المنتخب المصري إلى بطولة أفريقيا مرة أخرى بعد غياب دام سبع سنوات بجيل جديد يسعى لاستعادة مجد "الفراعنة" في البطولة التي حققوا لقبها لثلاث دورات متتالية بداية من عام 2006 وحتى عام 2010 قبل أن يغيب بسبب الاضطرابات السياسية التي طرأت على البلاد في العام 2011. وسيظهر فريق "الفراعنة" مجددا في النسخة الجديدة من الكان، ليحافظ بذلك على كونه المنتخب الأفريقي الأكثر ظهورا في نهائيات البطولة حيث يشارك للمرة الثالثة والعشرين في تاريخه، إلى جانب تحقيقه الرقم القياسي في الفوز بكأس البطولة.

ويدخل المنتخب هذه المغامرة في المجموعة الرابعة الشبيهة بمجموعة تصفيات كأس العالم روسيا 2018، والتي وضعته مع منتخبي غانا وأوغندا، إلى جانب منتخب مالي. وسيكون "الفراعنة" في "بروفة" أولية رغم رسمية المنافسة أمام كل من غانا وأوغندا تحديدا. ويعوّل منتخب الفراعنة كثيرا على مهارات وقوة الثنائي محمد صلاح مهاجم نادي روما الإيطالي، ومتوسط ميدان أرسنال الإنكليزي محمد النني، لكن المدرب الأرجنتيني هيكتور كوبر الذي حقق فوزا معنويا في مباراته الودية الوحيدة قبل التصفيات أمام "نسور قرطاج"، مطالب بإيجاد حلول عاجلة لخط الدفاع الذي يعتبر نقطة ضعف المنتخب الحالي لا سيما وأن هذا المكان كان في السابق حصنا أمام المهاجمين. ويضع صلاح الذي حصل مؤخرا على جائزة أفضل لاعب عربي لعام 2016 في حفل "غلوب سوكر" العالمي الذي أقيم بمدينة دبي الإماراتية، على كاهله آمال منتخب بلاده في التتويج بلقبه الثامن في المسابقة القارية، وتعزيز رقمه القياسي كأكثر المنتخبات حصولا على اللقب، رغم صعوبة المهمة.

ولا تضم قائمة المنتخب في البطولة سوى أربعة لاعبين فقط سبقت لهم المشاركة في المسابقة القارية وهم عصام الحضري حارس مرمى فريق وادي دجلة المصري، وأحمد فتحي مدافع الأهلي المصري وأحمد المحمدي لاعب وسط فريق هال سيتي الانكليزي ومحمد عبدالشافي مدافع الأهلي السعودي. ويتطلع المدرب لإعادة البسمة مرة أخرى إلى الجماهير المصرية حيث يقود مجموعة من اللاعبين الواعدين حملت على عاتقها مهمة إعادة الفريق إلى وضعه الطبيعي على منصة التتويج بعد اعتزال نجوم الفريق السابقين الذين أعادوا مصر إلى عصرها الذهبي في اللعبة الأشهر، مثل محمد أبوتريكة وأحمد حسن ووائل جمعة ومحمد بركات وعمرو زكي ومحمد شوقي ومحمد زيدان. وتشعر الجماهير المصرية بقدر كبير من التفاؤل إزاء قدرة منتخبها على المضي قدما في البطولة خاصة بعد النتائج اللافتة التي حققها الفريق في الآونة الأخيرة. ويتخوف المصريون من إقصاء منتخبهم من "كان 2017" بعد تهديد الاتحاد الإفريقي لكرة القدم (كاف)، في حال بثت القنوات المصرية مباريات كأس أمم أفريقيا.

مستوى متواضع

يدخل المنتخب المغربي غمار منافسات الحدث الأكبر في أفريقيا وكله طموح للذهاب بعيدا في مشوار البطولة التي يحضرها للمرة السادسة عشرة في تاريخه، وفك عقدة الخروج من الأدوار الأولى التي لازمته في البطولات الأربع الأخيرة. ويبدو المنتخب، الفريق الأضعف بين المنتخبات العربية المشاركة في البطولة القارية نظرا لتراجع مستواه كثيرا في السنوات الأخيرة. ولم يحقق طيلة تلك الفترة نتائج ملموسة تذكر، حيث حل في المجموعة الثالثة برفقة منتخبات كوت ديفوار والكونغو الديمقراطية وتوغو.

واستبعد بادو الزاكي، المدير الفني السابق للمنتخب المغربي، في تصريحات صحافية مؤخرا إمكانية تحقيق منتخب بلاده نتيجة جيدة في "كان 2017". وقال إن "المنتخب المغربي غير مرشح للظفر بكأس أمم أفريقيا". وأشار إلى أن الإنجاز الأبرز للمنتخب في البطولة هو تجاوز الدور الأول. وفي حال ما تأهل المنتخب للدور النصف النهائي فهذا يعتبر إنجازا عظيما، بحسب رأيه، باعتبار أن المنتخب لم يتوج بشيء منذ أكثر من 14 عاما. ويعول لاعبو منتخب "أسود الأطلس" كثيرا على خبرة وحنكة المدرب الفرنسي هيرفي رينار الملقب بـ"الثعلب" الذي يشرف على مقاليده منذ فبراير 2016. وسيكون المدرب تحت الضغط وكله أمل لتحقيق تتويج مع المغرب بعد أن توج بكأس أمم أفريقيا مرتين، الأولى في بطولة 2012 مع زامبيا والثانية في بطولة 2015 مع كوت ديفوار.

ويضم المنتخب في صفوف ترسانة من اللاعبين الكبار أمثال مدافع يوفنتوس الإيطالي مهدي بن عطية ولاعب فينورد روتردام الهولندي كريم الأحمدي ولاعب موناكو الفرنسي نبيل ضرار ولاعب أجاكس أمستردام الهولندي حكيم زياش ولاعب نيس الفرنسي يونس بلهندة، لكنه سيفتقد خدمات نورالدين أمرابط لاعب نادي واتفورد الإنكليزي ومتوسط ميدان ساوثامبتون الإنكليزي سفيان بوفال بسبب الإصابة.

وعلى الرغم من تطمينات الحكومة الغابونية، فإن بعثة منتخب المغرب لا تزال متخوفة من الظروف "الغامضة" التي تنتظره في مدينة أوييم، أفقر المدن في الغابون، والتي قد تؤثر سلبا على معنويات اللاعبين، حيث تفتقر المدينة للبنية التحتية الملائمة وخصوصا بنية ملعب "أوييم" التي تعتبر غير صالحة. ومع ذلك فإن المنتخب مطالب بالخروج من مواجهة كوت ديفوار بنتيجة جيدة حتى يتمكن من جمع النقاط اللازمة التي ستمكنه من المرور للدور القادم. ويبدو أن مثل هذه العوامل المعروفة في بلدان القارة الأفريقية لن يكون لها تأثير كبير خلال مشوار المغرب في النهائيات، وستذوب الفوارق مع انطلاق المنافسات حيث تظل حظوظ جميع منتخبات المجموعة متساوية في محاولة للبصم على مشاركة متميزة لأن الواقع الجديد للكرة الأفريقية لم يعد يؤمن بوجود منتخبات قوية وأخرى ضعيفة.

سجل عرب أفريقيا

- 7 مرات تفوز مصر بالبطولة وكان آخرها في عام 2010
- مرة واحدة فازت تونس بالبطولة وكان ذلك في عام 2004
- مرة واحدة فازت الجزائر بالبطولة وكان ذلك في عام 1990
- مرة واحدة فاز المغرب بالبطولة وكان ذلك في عام 1976
- مرة واحدة فاز السودان بالبطولة وكان ذلك في عام 1970

ستيفان بيتر هانسل يحرز لقبه الثالث عشر في رالي داكار

الفرنسيون يكتسحون و«بيجو» تتصدر المراكز الثلاث الأولى

توّج الفرنسي ستيفان بيتر هانسل جهوده ومسيرته الرائعة في سباق رالي داكار بلقبه الثالث عشر في تاريخ السباق، بعدما حافظ على صدارة الترتيب العام للسباق رغم احتلاله المركز الثاني خلف مواطنه سيباستيان لوب في المرحلة الأخيرة من السباق، والتي أقيمت السبت.

«السيد داكار» يترك الجميع خلفه

❏ **بوينس آيرس** – أنهى الفرنسي ستيفان بيتر هانسل الملقب بـ"السيد داكار" (51 عاما) بسيارته "بيجو" المرحلة الأخيرة من سباق رالي داكار في العاصمة الأرجنتينية بوينس آيرس بفارق 19 ثانية فقط خلف مواطنه سيباستيان لوب، ولكن هذا كان كافيا ليتوج بلقب السباق هذا العام، والثالث عشر له، حيث تصدر الترتيب العام للسباق بفارق نحو خمس دقائق أمام لوب الذي خاض السباق أيضا بسيارته "بيجو".

وأكد الفرنسي الآخر سيريل ديسبريه اكتساح "بيجو" لمنصة التتويج بالسباق، حيث حل ثالثا، ولكن بفارق أكثر من نصف ساعة عن المتصدر بيتر هانسل.

وأحرز بيتر هانسل لقب السباق، السبت، ليكون الثالث عشر له في تاريخ مشاركاته بسباق رالي داكار، علما بأنه السباق السابع له في سباق السيارات مقابل ستة ألقاب في فئة الدراجات النارية، وحافظ بيتر هانسل بهذا على اللقب الذي أحرزه في 2016.

وأنهى بيتر هانسل سباق هذا العام بزمن بلغ 28 ساعة و49 دقيقة و30 ثانية، بفارق خمس دقائق و13 ثانية عن لوب وبفارق 33 دقيقة و28 ثانية عن ديسبريه.

وفي سباق الدراجات النارية، كان اللقب من نصيب البريطاني سام سندرلاند على دراجته "كيه تي إم"، حيث أنهى السباق في صدارة الترتيب العام بزمن بلغ 32 ساعة وست دقائق و22 ثانية، بفارق 32 دقيقة عن النمساوي ماتيسا فاكنر و35 دقيقة و40 ثانية عن الإسباني جيرارد فاريس.

وكان الفرنسي بيتر هانسل فاز بالمرحلة العاشرة من رالي دكار بين شيليسيتو وسان خوان في الأرجنتين، بعد منحها في بادئ الأمر إلى مواطنه وزميله سيباستيان لوب، فتصدر الترتيب العام لفئة السيارات.

واصطدم بيتر هانسل بالدراج السلوفيني سيمون مارسيتش عند الكيلومتر الـ83، ثم توقف نحو ربع ساعة لكي يساعد المصاب الذي تعرض لكسر في ساقه اليسرى.

وتنص القوانين أنه في حال توقف أحد المتسابقين لمد يد العون لمتسابق آخر لأكثر من 3 دقائق، فإن ما أضاعه من وقت يحتسب له لاحقا.

وحسمت 14 دقيقة و13 ثانية من توقيت بيتر هانسل، فسجل أسرع وقت (4 ساعات و47 دقيقة)، متقدما بفارق 7.28 دقائق عن لوب، و10.01 دقائق عن الفرنسي الآخر سيريل ديسبريه، و19.03 دقيقة عن السعودي يزيد الراجحي سائق ميني" الذي حل رابعا.

في المقابل، فاز الدراج الفرنسي مايكل ميتج بهذه المرحلة، لكن البريطاني سام سندرلاند احتفظ بصدارة الترتيب العام، في حين خرج التشيلي بابلو كوينتانيا بعد تعرضه لإصابة في رأسه إثر سقوطه عن دراجته.

والجمعة، أي في المرحلة الحادية عشرة وقبل الأخيرة من السباق، أحرز لوب المركز الأول، والتي ربطت بين سان خوان وريو كوارتو (الأرجنتين)، في حين حافظ مواطنه وزميله في فريق "بيجو" بيتر هانسل على صدارة الترتيب العام.

وقطع لوب مسافة المرحلة الخاصة التي بلغت 292 كيلومترا بزمن 15 ساعة و21 دقيقة و3 ثوان، متقدما بفارق 18 ثانية فقط عن بيتر هانسل، فيما جاء سائق "ميني" الأرجنتيني أورلاندو تيرانوفا ثالثا، بفارق 37 دقيقة و6 ثوان عن متصدري النسخة الـ39 من رالي دكار.

وفي فئة الدراجات، كان المركز الأول من نصيب سائق "هوندا" البرتغالي باولو غونسالفيش قاطعا مسافة 288 كيلومترا بزمن 47 ساعة و18 دقيقة و3 ثوان متقدما على زميله في الفريق، الإسباني خوان باريدا بورت بفارق 9 دقائق وثانية واحدة، وسائق "ياماها" الفرنسي أدريان فان بيفيرين بفارق 38 دقيقة وثانيتين.

وسبق لبيتر هانسل أن أحرز لقب فئة السيارات ست مرات أعوام 2004، 2005، 2007، 2012، 2013 و2016، وذلك بعدما أحرز أيضا لقب الدراجات النارية ست مرات أعوام 1991، 1992، 1993، 1995، 1997 و1998.

وفاز لوب بخمس مراحل خاصة في رالي 2017 الذي شهد العديد من الانسحابات، وظروفا مناخية قاسية تطلبت إلغاء بعض المراحل وتعديل مسارات أخرى، بسبب الأمطار الغزيرة التي هطلت.

وفي نسخة 2017 التي انطلقت قبل أسبوعين من البارغواي، وعبر السائقون خلالها بوليفيا والأرجنتين، أحرز سندرلاند (27 عاما) لقب الدراجات النارية للمرة الأولى في مسيرته، وكان سندرلاند انسحب من السباق في العامين 2012 و2014، واستفاد هذه السنة من انسحاب حامل لقب العام الماضي الأسترالي توبي برايس في المرحلة الرابعة.

بيتر هانسل
الأسطورة في أسطر:

- الاسم واللقب: ستيفان بيتر هانسل.
- تاريخ ومكان الميلاد: السادس من أغسطس 1965 في فرنسا.
- عدد المشاركات في رالي داكار: 25 نسخة. المشاركة الأولى في السباق: 1988 (احتل المركز الثامن عشر).
- عدد الألقاب في رالي داكار: 13 لقبا.
- عدد الألقاب في فئة السيارات: سبعة ألقاب في أعوام (2004 و2005 و2007 و2012 و2013 و2016 و2017).
- عدد الألقاب في فئة الدراجات النارية: ستة ألقاب في أعوام (1991 و1992 و1993 و1995 و1997 و1998).
- الألقاب في بطولة العالم: لقبان في عامي (1997 و2001).

> بيتر هانسل يحرز لقبه الثالث عشر في تاريخ مشاركاته بسباق رالي داكار، وهو السابع له في سباق السيارات مقابل ستة ألقاب في فئة الدراجات النارية، وبذلك يحافظ على لقبه الذي أحرزه في 2016

أهداف الدقيقة التسعين والمقصلة

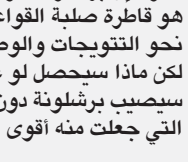

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ لا يعيش برشلونة هذا الموسم أفضل أيامه، والدليل على ذلك هو تنازله عن عرش صدارة ترتيب الدوري الإسباني لفائدة الغريم العنيد ريال مدريد، بفارق كبير نسبيا لا يتلاءم مع رغبة الفريق في التتويج مجددا باللقب.

هي وضعية يراها البعض غير مقلقة كثيرا مادام السباق لم ينته، ومازالت فرص التعويض قائمة، لكن ربما هي بعض المؤشرات الأولية التي قد تدفع البعض الآخر إلى التشاؤم بخصوص قدرة الفريق على قلب الطاولة على ريال مدريد أو المراهنة بقوة على لقب دوري الأبطال.

الأرقام الحالية ليست جيدة، والعلامة الكاملة التي كانت ميزة "البارسا" في المواسم الأخيرة لم تعد موجودة، فالفريق الكاتالوني خسر إلى حدود الأسبوع السابع عشر في الدوري مقابلتين وتعادل في خمس مناسبات كاملة، وشباكه اهتزت في 17 مناسبة، أي بمعدل هدف في كل مباراة، فضلا عن ذلك بات هذا الفريق المعروف بقوته الهجومية الضاربة يجد العديد من الصعوبات لحسم مصير عدة مقابلات ضد فرق متوسطة.

معطيات لا تخدع، وربما هو وضع صعب قد يتغير وقد يستمر لفريق بلغ المنعطف الأخير لحقبة ذهبية امتدت منذ أكثر من عشر سنوات.

اليوم وبالأمس وفي الغد القريب، يمكن القول إن برشلونة هو روح ميسي، وميسي هو قاطرة صلبة القواعد تجر كافة الفريق نحو التتويجات والوصول إلى قمة المجد، لكن ماذا سيحصل لو غاب ميسي؟ ماذا سيصيب برشلونة دون "جوهرته" الخالدة التي جعلت منه أقوى الفرق وأشدها قدرة على المراهنة كل موسم على كل البطولات؟

ربما أجابت المباريات الأخيرة عن هذا السؤال، فميسي أنقذ برشلونة في أغلب هذه المواجهات، إذ تكفل مرة أخرى بتجنيب الفريق الورطة تلو الأخرى، حصل ذلك في اللقاء الأخير لحساب كأس إسبانيا عندما سجل الهدف الثاني الذي رشح الفريق إلى الدور الموالي، وحصل ذلك أيضا في المباراة الأخيرة من الدوري ضد فياريال عندما سجل أيضا هدفا في الدقيقة التسعين جنّب به الفريق الخسارة، ميسي هو هداف الدوري إلى حد الآن برصيد 13 هدفا، وببساطة هو من يكتسي بفضل مهاراته العالية برشلونة لون الفوز والانتصارات والتألق.

قلنا إن برشلونة قد يعيش آخر مراحله الذهبية، والأمر لا يتعلق هنا بأهمية وجود ميسي، بل لأن الفريق بدأ يخسر ركائزه التاريخية الواحد تلو الأخرى، فأبناء الجيل الذهبي لمدرسة "لاميسا"، أي مدرسة التكوين في الفريق، بلغوا اليوم سن "الشيخوخة" الرياضية، غادر تشافي هيرنانداز، وفي الغد القريب سيغادر إينيستا وربما بيكي وبوسكاتس.

ماذا فعلت إدارة برشلونة كي تتجنب فقدان الفريق لجبروته؟ صحيح أن ميسي مازال في جرابه الكثير، وصحيح أيضا أن نيمار وسواريز مازالا أيضا قادرين على العطاء، لكن ماذا قدم المنتدبون في المواسم الأخيرة، وخاصة خلال هذا الموسم؟

الإجابة هي أن الإضافة تكاد تكون منعدمة، فماذا قدم أردا توران والكاسير ودونيس سواريز وأندري غوميس؟ فهؤلاء اللاعبين باتوا لدى البعض عبئا على الفريق، والمدرب لويس إنريكي بات في ورطة حقيقية، فماذا لو أصيب ميسي أو تراجع مستواه ولم يعد القادر الدائم على إنقاذ الفريق؟

الإجابة أيضا عن هذا السؤال لا تحتاج إلى الكثير من الجهد والبحث، فمصير إنريكي أصبح بين يدي ميسي، إذ أن مستوى ميسي وقدرته على التغلب على كل الصعوبات التي يمر بها برشلونة، وبالتالي الحصول على الألقاب هو السبيل الوحيد كي يتجنب إنريكي مصيره المجهول، أما إذا حصل العكس فإن الإقالة آتية و"مقصلة" الإبعاد لن ينجو منها المدرب.

خلال المواسم الأخيرة، غطت التتويجات على كلّ عيوب برشلونة في نسخته الحالية بإشراف المدرب لويس إنريكي، بل إن الفريق وبفضل تألق واضح ومبهر للثالوث ميسي ونيمار وسواريز تمكن منذ موسمين من الحصول على لقب دوري الأبطال والدوري المحلي، وفي الموسم الماضي توج الفريق بثنائي الكأس والدوري المحليين.

بيد أن كل هذه العيوب بدأت في الظهور هذا الموسم، ناهيك وأن إنريكي لم يحسن التعامل مع الرصيد البشري المتوفر لديه، وكل مباريات الفريق لم تعرف الاستقرار والتوازن المطلوبين على مستوى التشكيلة المثالية، والأهم من ذلك أن إنريكي يعتبره البعض غير قادر على إدماج كل وافد جديد صلب الفريق، ما شكل عائقا كبيرا أمام النادي الذي عانى كثيرا في العديد من اللقاءات هذا الموسم.

كل هذه المعطيات، تفطنت لها إدارة "البارسا" منذ فترة، لكنها لم تشأ إحداث التغيير على المستوى الفني دون دراسة معمقة، هذه الإدارة يبدو أنها استشعرت أن المدرب إنريكي لم يعد بمقدوره تقديم الإضافة وضمان النجاح المستمر لموسم آخر، فقررت منذ أشهر إرجاء مناقشة تجديد عقد المدرب إلى غاية شهر أبريل المقبل.

هذا القرار لا يمكن تفسيره إلا بكونه تمهيدا لإعلان الإقالة أو عدم تجديد العقد في صورة تواصل الوضع على ما هو عليه، في تلك الفترة يكون عمل أيّ مدرب صحيحا بما أن المنافسات تبلغ ذروتها في ذلك الوقت، والثابت أن أداء ميسي في تلك الفترة سيحدد بلا شك مصير مدربه، فإما الاقتراب من الحصول على الألقاب وإما فقرار إقالة إنريكي جاهز للتوقيع.

غينيا بيساو تصدم الغابون بتعادل قاتل

❏ **ليبرفيل** – بهدف في الدقيقة الأخيرة، وجه منتخب غينيا بيساو لكرة القدم لطمة قوية إلى نظيره الغابوني وانتزع تعادلا ثمينا 1/1 معه السبت، في افتتاح بطولة كأس الأمم الأفريقية الحادية والثلاثين بالغابون.

ودفع المنتخب الغابوني (الفهود) ثمن استسلامه للهجوم الغيني في نهاية المباراة، واستقبلت شباكه هدف التعادل في الدقيقة الأخيرة من المباراة الافتتاحية، لتكون النسخة الثالثة على التوالي من البطولة التي تنتهي فيها المباراة الافتتاحية بالتعادل.

وقدم المنتخبان أداء متوسط المستوى نجح من خلاله منتخب غينيا بيساو في تشكيل بعض الخطورة على منتخب الغابون.

وبدا منتخب غينيا بيساو جديرا بانتزاع نقطة التعادل على الأقل في مباراته الأولى ببطولات كأس الأمم الأفريقية، خاصة بعدما انتهى الشوط الأول بالتعادل السلبي وسط أداء أقل من المتوسط للفريقين.

وتحسن أداء المنتخبين في الشوط الثاني ونجح أوباميانغ نجم هجوم بوروسيا دورتموند الألماني وقائد المنتخب الغابوني في انتزاع هدف التقدم لأصحاب الأرض بهدف في الدقيقة 52.

وعاند الحظ منتخب غينيا بيساو في النصف الثاني من هذا الشوط، حيث ضاعت من الفريق أكثر من فرصة خطيرة قبل أن يحرز مارينهو سواريز هدف التعادل القاتل بضربة رأس في الدقيقة 90.

هدف اللحظات الأخيرة

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

بوابة الصحراء التونسية تدعو للتمسك بالعروبة

يحمل إحياء الدورة الـ49 من "مهرجان الصحراء الدولي في دوز"، جنوبي تونس، تزامنا مع الاحتفال بمرور 6 سنوات على اندلاع الثورة التونسية، دعوة للتمسك بالعروبة والعادات والتقاليد التونسية. وقد شارك في المهرجان العديد من السياح العرب والأجانب لإثبات حالة الاستقرار التي تعيشها البلاد رغم حالات الاحتقان ببعض المحافظات الواقعة في الجنوب التونسي.

الجنوب التونسي يحتضن العالم

❑ **دوز (تونس) – انطلقت فعاليات الدورة 49 لـ"مهرجان الصحراء الدولي في دوز"، جنوبي تونس، والتي ستمتد من 13 من الشهر الحالي إلى غاية الـ16 منه.**

ويأتي افتتاح هذا المهرجان تزامنا مع احتفال البلاد التونسية بمرور 6 سنوات على تاريخ اندلاع الثورة التونسية، وفي وقت تشهد فيه بعض المحافظات بالجنوب التونسي احتجاجات من قبل المواطنين وعدم استقرار أمني.

ويعد المهرجان الذي استقطب العديد من السياح العرب والأجانب، وافتتحت عروضه التي أقيمت وسط مدينة دوز التابعة لمحافظة قبلي (500 كلم جنوب تونس العاصمة)، بمشاركة فرق فلكورية من عدة دول عربية وغربية، من بينها الأردن وبلجيكيا وفرنسا ومصر، دليلا على إصرار البلاد التونسية على الصمود ومواصلة تحديات الثورة.

ويفترض أن ينظم المهرجان بشكل سنوي، غير أنه تعثر في السنوات الماضية لأسباب مختلفة، لكنه أقيم هذه السنة ليحمل رسالة على استقرار الأوضاع في البلاد رغم حالة الغليان ببعض المناطق ولا سيما بالجنوب.

وقد صرح على هامش الافتتاح وزير الثقافة التونسي محمد زين العابدين، أن "المهرجان تظاهرة ثقافية تاريخية في عمق الصحراء التونسية يحتفي بمعاني الحياة والإسهام الإنساني".

وأضاف زين العابدين أن تنظيم المهرجان يعود إلى عودة الاستقرار إلى تونس، مشيدا بحضور الآلاف لمواكبة الاحتفال. واستقبلت مدينة دوز التي يطلق عليها السكان المحليون اسم بوابة الصحراء، الآلاف من سياح المدن الداخلية، إضافة إلى أدباء وشعراء لحضور فقرات المهرجان الذي يختتم غدا الاثنين.

ووصف نصر الترك، عضو فرقة "عمون" الأردنية للتراث، المهرجان بالكرنفال الكبير.

وتابع الترك أن المهرجان له صدى واسع في العالم، وبإمكانه أن يتحول لأكبر مهرجان دولي للصحراء بالعالم، حسب قوله.

ومن بين الفقرات التي قدمها المهرجان "بيض الزْمَايل" وهي ملحمة كبرى تحاكي حَياة الصحراء بتفاصيلها المختلفة، وتختزل عمق التراث البدوي في مدينة دوز بالجنوب التونسي. و"بيض الزْمَايل"، باللهجة التونسية المحليّة، هي العمائم البيضاء التي يغطي بها البدو قديما رؤوسهم للتوقي من البرد شتاء وحرارة الشمس صيفا. وتحاكي الملحمة التي عرضت بساحة حنيش وسط مدينة دوز، قافلة للبدو الرحل تتنقل في عمق الصحراء التونسية بحثا عن الماء والمرعى.

وعندما يعثر هؤلاء البدو على بئر ماء يستقرون، ويمارسون حياتهم اليومية. وقبل استئنافهم للرحلة يتعرّض بدو القبيلة إلى غزو، فتحل المصيبة بالجميع لأشهر عديدة. ومع مرور الزمن تنمو قصة حبّ بين فارس شاب وفتاة تتردد على البئر، ويبلغ الخبر مسامع شيخ القبيلة تزامنا مع النجاح في تخليص القافلة من الغزو، فتعمّ الفرحة القبيلة ويتزوّج الفارس الفتاة.

وقال مخرج العمل منصور الصغير على هامش العرض "هو دعوة للتمسك بعروبتنا وعاداتنا وتقاليدنا التي تقوم على قيم الأصالة والشموخ"، مضيفا "أردنا من خلال الملحمة إحياء المظهر التراثي الصحراوي البدوي في بلادنا".

وأفاد بلقاسم جابر الباحث في التراث الشعبي بدوز بأن "عنوان الملحمة مفعم بدلالته الرمزية التراثية العميقة"، مضيفا بأن "بيض الزمايل، هم أهل الحكمة والصحراء والبداوة الذين يختزلون القيم البدوية العريقة من غيرة وفتوة، والكرامة التي رسخها مهرجان دوز".

واعتبر جابر مدينة دوز مخزنا للتراث الصحراوي بشمال أفريقيا، فأهلها لا يزالون يحتفظون بهذه القيم التراثية، في مخزونهم الشعري والأدبي وجمهورها متيم بالتراث البدوي رغم هذا التطور والثورات الرقمية.

ويقدم المهرجان لجمهوره العديد من الأنشطة التي تحاكي الصحراء والحياة البدوية لسكانها، علاوة على تنظيم سباق للخيل، ومسابقة الصيد بكلاب السلوقي والأعراس التقليدية.

صباح العرب

حكيم مرزوقي

ربيع تونس فصل خامس

❑ صباح الخير أيها التوانسة في ذكرى 14 يناير، صباح الخير أيها الشعب الطيب الملول، النزق الكسول، النسّاء الشكّاء، صانع أغرب المفاجآت ورافع كل الرايات.

صباح الخير أيها المزاجيون الذين يديرون ظهورهم لفكرة بنفس الحماسة التي ثاروا لأجلها، لقد كان احتفاؤكم بربيعكم قصيرا جدّا مثل شهر عسل بين زوجين فقيرين.. ربما لأنّ فواتير الديون والنفقات المترتّبة كانت ثقيلة، وبدأت بطرق الباب منذ صباحيّة الزفاف.

الحريات كانت هي الغنيمة اليتيمة، تلقفها الشعب التونسي، تفحّصها، جرّبها، وما لبث أن ملّها ثم سكت مثل عندليب يضرب عن الغناء حين يؤتى له بأنثى يسكن إليها في قفص الزوجية، لكن الحرية لم تكن المطلب الوحيد في قفص لا طعام فيه ولا أمان، فالأسباب تقف كثيرة وراء تعكير صفو هذا "الزواج" الذي يحمل طعم "الطلاق" في ربيع نبتت فيه الأشواك قبل البراعم.

عرس الربيع العربي جاء شبه جماعيّ، أسوة بتلك الحفلات التي تقيمها الشركات الراعية لضعاف الحال من الشباب العازف أصلا عن الزواج.. فكم زواجا سينجح وكم طلاقا سوف ينجح أيضا، وتغصّ به قاعات المحاكم المدنيّة والشرعيّة ذات شتاء عربي يكشر عن أنياب التطرّف وينذر بالمزيد من المآسي والأوجاع التي يخلفها الإرهاب.

بعض عرائس الربيع كنّ منتفخات البطون ليلة الزفاف، بعضهنّ قاصرات وبعضهنّ في سن اليأس، فيهنّ البكر والثيّب، العاقر والولود، الحرائر والإماء والأرامل، ذوات السوابق وذوات الرايات.. أمّا العرسان فلا ينطبق عليهم إلا المثل القائل "الفرس من خيّالها".

سنستمرّ في هذه المقاربة بين الأعراس والثورات العربية، ذلك أنه لا يثور إلا عاشق ولا يعشق إلاّ ثائر.

لست من أنصار تعدّد الزوجات الذي تمنعه قوانين تونس من أساسها، ويدعو إليه السلفيون والجهاديون سرّا وعلانيّة، لكنّني لا أقف ضد تعدّد الزيجات أو حتى مع الطلاق إن لزم ذلك، وحين يستحيل التأقلم بعد زواج جاء بالإكراه أو العدوى أو الغبن أو الاغتصاب.. أو ينذر بذرية من الدواعش والعياذ بالله، بعد أن كتبنا على بطاقة الدعوة عبارتي "بالرفاء والبنين" و"ممنوع اصطحاب الأطفال".

الانفلاتات الأمنيّة عاديّة ومتوقّعة في الثورات التي ولدت أصلا من رحم الغضب والحرمان، بل ضروريّة أحيانا مثل الخلافات الزوجيّة التي يشبّهها الناس بالبهارات في طنجرة الأكل، لكنّ جلّ ما نخشاه في مطبخ ربيعنا أن يحضر الطباخون بتوابلهم وطرابيشهم وسكاكينهم، ويغيب الطعام.

بالمناسبة – ومادمنا في المطبخ – ما زلنا ننتظر منذ ست سنوات القدر فوق النار، وهي نفس النار التي أشعلها البوعزيزي، وذكرها الحكيم الصوفي الزاهد، أبويزيد البسطامي حين ناجى ربه قائلا "إلهي إن كان في سابق علمك أن يوجد الجحيم فعظّم خلقي فيه حتى لا يسع معي غيري".

نساء القبعات الوردية يتظاهرن ضد ترامب

❑ **واشنطن – نظم نشطاء غاضبون من تعليقات الرئيس الجمهوري المنتخب دونالد ترامب بشأن الأقليات ومن بينهم المسلمون والمكسيكيون قبيل تنصيبه رئيسا للولايات، احتجاجات انطلقت يوم السبت الماضي وستتواصل على مدى أسبوع.**

وأثارت تعليقات ترامب المثيرة للجدل بشأن المهاجرين والنساء وتعهده بإلغاء قانون الرعاية الصحية، وهي أحد أهم إنجازات الرئيس باراك أوباما، غضب الكثير من اليساريين الذين يخططون لتنظيم سلسلة من الاحتجاجات.

وحتى الآن سيكون هذا الحدث من خلال تنظيم أكبر مسيرة للنساء في واشنطن بعد يوم من التنصيب، ويقول المنظمون إن المسيرة النسائية ستجتذب 200 ألف مشاركة.

وستشارك النساء في المسيرة من خلال الغزل، لتوفير القبعات الوردية للمتظاهرين في المسيرة النسائية في واشنطن العاصمة. ويخطط زعيم الحقوق المدنية القس آل شاربتون لقيادة مسيرة على امتداد الحديقة الوطنية وصولا إلى النصب التذكاري لمارتن لوثر كينغ على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من مبنى الكونغرس حيث سيؤدي ترامب اليمين كرئيس في الـ20 من يناير الجاري.

وحصلت حوالي 30 جماعة معظمها تقريبا مناهضة لترامب على تصاريح للاحتجاج قبل وأثناء مراسم التنصيب. وتعهد ترامب خلال حملته الانتخابية ببناء جدار على طول الحدود مع المكسيك وبتقييد الهجرة من الدول الإسلامية فضلا عن وعوده باتخاذ إجراءات صارمة ضد الشركات التي تنقل الوظائف إلى خارج الولايات المتحدة.

ويعجب أنصار ترامب بخبرته في مجال الأعمال التجارية كقطب للتطوير العقاري ونجم في تلفزيون الواقع ويرون أنه يمتلك القدرة على حل المشكلات والأزمات السياسية.

وقال شاربتون "مسيرة 2017 ستجمع الناس معا للإصرار على التغيير والمساءلة.. دونالد ترامب وإدارته بحاجة إلى الإصغاء لصوتنا ومخاوفنا".

وشاركت في مسيرة السبت الماضي شبكة العمل الوطني التي يتزعمها شاربتون والرابطة الوطنية لتقدم الملونين ومجلس لارازا الوطني بالإضافة إلى مشرعين ديمقراطيين بينهم كيرستن جيليبراند عضو مجلس الشيوخ عن نيويورك. ويقدر المنظمون أن المسيرة ستجتذب نحو 25 ألف متظاهر.

وتعهد أيضا الآلاف من المتظاهرين بعرقلة التنصيب من خلال إغلاق نقاط التفتيش الأمنية.

وتعتزم شرطة واشنطن وجهاز أمن الرئاسة نشر ثلاثة آلاف ضابط وخمسة آلاف إضافيين من الحرس الوطني أثناء التنصيب.

مايكل جاكسون يطل بوجه أبيض

❑ قالت باريس ابنة نجم البوب مايكل جاكسون إنها شعرت بالإهانة الشديدة بسبب حلقة تلفزيونية كوميدية جديدة يؤدي فيها ممثل بريطاني أبيض دور أبيها الراحل.

وكتبت باريس، البالغة من العمر 18 عاما، سلسلة تغريدات على موقع تويتر بعد عرض الإعلان الترويجي للحلقة الأسبوع الماضي على قناة سكاي أرتس البريطانية الفضائية وقالت إن الحلقة تبعث على القيء.

ويقدم مسلسل "إيربان ميث" الذي تعرضه سكاي أرتس قصصا حقيقية عن شخصيات معروفة وأدى فيه الممثل البريطاني جوزيف فاينس دور جاكسون.

وتدور أحداث الحلقة الخاصة بجاكسون حول نزهة في سيارة عبر الولايات المتحدة يقال إن المغني الراحل قام بها مع الممثلين الراحلين مارلون براندو وإليزابيث تيلور في 2001. وتوفي جاكسون –الذي كان يعاني من البهاق الذي تسبب في تفتيح لون بشرته– في يونيو حزيران 2009 عن 50 عاما بعد تناول جرعة زائدة من مهدئ بروبوفول. واستجابة لطلب معجبين بالرد على أداء فاينس للدور قالت باريس إنها شعرت بإهانة.